المسيحيّة البروتستانتيّة وعلاقتها بالصِّهيونيّة في الولايات المتّحدة
(دراسة عقديّة تحليليّة)

إعداد

راجح إبراهيم محمد السباتين

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

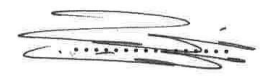
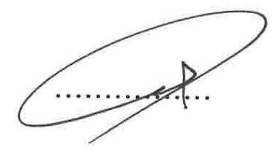
كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠٠٧م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الاطروحة (المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة – دراسة عقدية تحليلية) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٧/٥/١٤

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد أحمد الخطيب، مشرفاً استاذ عقيدة – أصول الدين	
الدكتور بهجت الحباشنة، عضواً استاذ مقارنة أديان – أصول الدين	
الدكتور محمد أحمد الحاج، عضواً محاضر متفرغ عقيدة ومذاهب معاصرة – أصول الدين	
الدكتور حسين بني خالد أستاذ عقيدة (جامعة اليرموك)	

الإهـــــــداء

إلى والديَّ الكريَمين، اللذين بذلا الغالي والرّخيص حتّى أنشآنا هذه النشأة على طاعة الله تعالى، ومحبّة حبيبه المُصطفى صلّى الله عليه وسلم. ولم يبخلا لحظةً بالدّعاء والرضا والمحبّة، فكانت النتيجة هذا التوفيق من الله العليّ القدير.

إلى فارس الفُرسان أخي أيسر في غُربته، تكريماً له على ما كافحَ وصبرَ وقدَّم لنا وتحمَّل في سبيل النّهوض بعائلتنا والحفاظ عليها متماسكةً ... واحدةً ... عزيزةً ....

إلى زوجتي الغالية الحبيبة التي لم تدّخر جهداً في توفير سبل الراحة والهدوء والتي تحملت طول غيابي عن البيت وكانت أكبر داعم ومؤازر وكانت شريكا حقيقيا أعانني على إنجاز الدراسة والبحث.

إلى أولادي الأحباء الذين اسأل الله تعالى أن يجعل درب العلم دربهم.

إلى أهلنا الذين أتعبَتْهم وطأةُ الحياة في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس، فصبروا وصابروا وسدّدوا وقاربُوا ورابطوا، لم يثنِ عزيمتهم رصاصُ الصّهيونية.

إلى كلِّ المجاهدين في ذرى الجبال وكهوفها الذين تركوا لذة الحياة ومتاعها الزائل وكانت صلاتهم ونسكهم ومحياهم ومماتهم لله رب العالمين.

لهؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

شكـــــرٌ وتقديــــرٌ

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات. وبعد؛ فلا يسعني في صفحة الشُّكر والتقدير هذه إلاّ أن أتقدّم بكلِّ محبّةٍ وإجلالٍ وتقديرٍ لأستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب، الذي تفضّل مشكوراً بالموافقة على الإشراف على هذه الرّسالة ولم يبخل عليَّ يوماً بنصيحتـــه أو وقته أو علمـــه .... أحببتُ أخلاقه وإقتنعتُ بعلمه وشخصيّته مذ تتلمذتُ عليه قبل ما يزيد على الثماني عشرة سنة. وما زاده تواضُعه في عينيّ إلاّ محبّةً ورفعةً وإحتراماً، في زماننا هذا الذي ضاعت فيه الرفعة والتواضع إلاّ عند أهل الله وخاصّته من العلماء الزاهدين.

كما يسعدني أن أتقدّم بشكرٍ خاصٍّ وخالصٍ للدكتور العَلَم العلاّمةِ راجح عبد الحميد الكردي على ما قدّمه لي ولزملائي من منهجيّةٍ علميّةٍ فريدةٍ ونصائح وأحاسيسَ صادقةٍ لانجدها إلاّ عند الصّالح من آباء المسلمين.

ويسعدني كذلك أن أتقدّم بشكرٍ وإمتنانٍ عظيمين للأستاذ الدكتور بهجت الحباشنة الذي كان قدومه إلى الجامعة الأردنية بهجةً حقاً، وإستطاع خلال فترةٍ قصيرةٍ من أعمارنا أن ينقش إسمه في قلوب وذاكرة طلبة قسم العقيدة ليبقى إسمه ما عاشت هذه القلوب وما دامت هذه الذاكرة.

كما يسعدني أن أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تحمّلهم عناء مراجعة هذا البحث وتفضّلهم بتقديم ملاحظاتهم التي هي موضعُ تقديري وإحترامي، جزاهم اللهُ عنّي كلَّ خيرٍ.

في الختام أشكر الأخ الأستاذ سامي محمد سعيد أمين، مكتبة كليّة الشريعة بالجامعة الأردنيّة الذي رافقني طيلة وقت دراستي وبحثي وكان بحقٍّ أخاً كبيراً كريماً حرصَ كلَّ الحرص على توفير الجو الملائم للدراسة لي ولزملائي، ولم يتوانَ لحظةً في تقديم العون والمراجع والكتب اللازمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهـــــرس المحتويـــــات

المحتويات | **الصفحة**

المسيحيّة البروتستانتيّة وعلاقتها بالصّهيونيّة في الولايات المتّحدة
(دراسة عقديّة تحليلية)

إعداد

راجح إبراهيم محمد السباتين

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

مُلخَّص

لقد إشتُهرَ "مارتن لوثر" في التاريخ المسيحيّ بإعتباره الرّجل الذي خلّص الكثيرين من المسيحيين من سُلُطات البابا الكَنَسيّة، وردّهم إلى حرّية الدّين والتعامل المباشر مع النَّص، دون وصايةٍ من رجال الكنيسة. وقاد "لوثُر" الإنشقاق الذي إنتهى بظهور المذهب "البروتستانتي" الذي يدينُ به اليوم أغلبُ الأمريكيين والإنجليز... بدأ "مارتن لوثر" ذو الأصل الألماني ثورته ضدَّ البابا في "روما" بعد أن إنتشرت ظاهرةُ بيع "صكوك الغفران" على يد البابوات، وإعتبر "لوثرُ" هذه الظاهرةَ تحويلاً للدِّين إلى تجارةٍ دنيويّةٍ، وتحريفاً له عن قصده. وعبّر عن ذلك بصياغة الأطروحات الخمس والتّسعين والتي حملت عنوان "بحث في بيان قوّة صكوك الغُفران". وفي خضمِّ خصومته مع البابا، وجد لوثرُ أنَّ من الأفضل له التقرُّبَ إلى اليهود، فإنتقدَ موقفَ السُّلطة البابويّة منهم، والتعاملَ معهم على أنهم "كلاب لا بشر"، حسبَ تعبيره، وكتبَ حول هذا الموضوع كُتيّباً صغيراً يحمل عنواناً ذا دلالةٍ أصبح فيما بعد أحدَ الشّعارات الأساسية لدى أتباع المسيحية الصهيونية. كان عنوان الكُتَيِّب: "المسيح وُلِدَ يهوديّا". وكانت دوافعُ "لوثر" في ذلك الموقف دوافعَ تنصيريّةً إلى حدٍّ ما؛ فهو يجادل في كُتيّبه بأنَّ التعامل الفظَّ الذي تمارسه السلطةُ الكنسيّةُ ضدَّ اليهود هو الذي ينفِّرُهم من المسيحيّة، ويجعلهم يفضّلون البقاء على دينهم. وحتى حينما يقررُ بعضُهم إعتناقَ المسيحيّة فإنه يجدُ نفسهَ تحت طغيانِ الكنيسةِ وإبتزازها، فيندمُ على هجر دينه الأصلي.

ويتابع مارتن لوثر كاشفاً عن دوافعه التنصيريّة وراء التعاطف مع اليهود حيث قال: "آملُ أنَّ الواحدَ منّا لو تعاملَ مع اليهود برفقٍ، وعلمهم بكياسةٍ من خلال الكتاب المقدّس، فيتحوّل العديدُ منهم إلى مسيحييّن مُخلِصين". لكنَّ أهمَّ فكرةٍ في هذا الكتيّب بالنسبة لبحثنا هذا هي قول "مارتن

لوثر" مخاطباً المسيحيين: "قبل أن نتفاخرَ بموقفنا يجبُ أن نتذكَّر أننّا مجرّدُ "أغرابٍ" أمّا اليهود فيتّصلُ نسبُهم بالمسيح، نحن غرباءُ وأباعدُ، أمّا هم فأقاربُ وبنو عمومةٍ وإخوةٌ للرب".

وطرحُ هذه الفكرة في كتاب "لوثر" تدلُّ على أنّه وقع تحت تأثير العهد القديم والنُّصوص العبريّة الأخرى، فإزدحمت المشاعُر تجاه اليهود في عقله وقلبه ونادى بإحترامهم وتقديرهم وأنّهم أصل المسيحيّة كلهّا.

ومن الواضح أن "مارتن لوثر" لم يكنْ يدرك قيمة الأفكار التي طرحها، وأثرها التاريخي الآتي، وخصوصاً فكرة "كون المسيح وُلِدَ يهوديّا" التي طوّرها أتباعُ "لوثر" من رجال الدين "البروتستانت" حتى أصبحت تعني عندهم اليوم من ضمن ما تعنيه:

* إنّ اليهود هم أهلُ المسيح وعترته، فلهم ذمّةٌ وحُرمَةٌ خاصّة بسبب ذلك، تقتضي دعمهم وخدمتهم و"تطييب خواطرهم" كما ورد في العهد القديم.
* إنّ اتهام اليهود بسفك دم المسيح ليس وارداً، كيف وهم أهلُ القرابة والرحم؟؟ وكلُّ نصوص الإنجيل الواردة في ذلك يجب تأويلها أو ردّها.
* إنّ اليهود "أبناء الرب".
* إنّ اليهود هم الشّعبُ المُختار ولابدَّ من قبول ذلك. والقولُ بأن المسيحيين إحتلوا تلك المكانة بمجيء المسيح قولٌ مردود.

ومن الواضح أنّ "لوثر" لم يقصد نشر فكرته إلى هذا المدى، وما كان في وسعه ذلك، وهو إبنُ عصره، العصر الوسيط الأوروبي. بل إن لوثر هو أولُ مَن تخلّى عن أفكاره الواردة في كتيبّه هذا؛ فكتب قبل وفاته بسنتين كتابه المُعنوَن "أكاذيب اليهود" أو "نفاق اليهود"، وهو يُعتبرُ أشدَّ الكتبِ على اليهود خلال قرونٍ عدّةٍ، وأبعدَها أثراً في النفسيّة المسيحيّة المُعَادِية لهم.

لكنَّ اليهود أدركوا قيمة الفكرة التي طرحَها "لوثر" في كتيّبه "المسيح وُلِدَ يهوديّاً" وعرفوا أنها تحملُ بذور إنقلابٍ تاريخيٍ في النّظرة المسيحيّة إلى اليهود. لذلك يذكرُ بعض مؤرِّخي المسيحيّة أنَّ اليهود نشروا الكتيّبَ ووزّعوه على نطاقٍ واسع في أوروبا كلّها. وقد أدركوا خطورة تلك الفكرة جيداً وأخذوا في الإعداد لإحياء حلمهم القديم، فعملوا هم وأتباعُ "لوثر" (مثل زوينجلي وجون كالفن) على نشر هذا الفكر حتى إنخرطَ مع قائمةِ الأفكار المُتصَارعة داخل أوروبا فيما قبل عصر النّهضة، التي شهدت على مدار قرنين إقتتالاً حادّاً بين رجال المذهب الكاثوليكي وأنصار المذهب المسيحي

البروتستانتي المتهوّد الجديد. وبالرّغم من قوة مقاومة الكنيسة البابوية والنّظام القديم، إستطاع المذهبُ الجديدُ الإنتشار لسببٍ أساسيٍ هو إرتداؤه لثوب الثورة والإصلاح.

وجاء الإنتصارُ الكبير بنشأة جماعة "البيوريتان" أو "المتطهّرين" في الجُزُر البريطانية وهم مَن واجهوا النِّظام الملكيَّ وهاجموا المذهب الكاثوليكي،وعملوا على إحياء اللغة العِبرية وإستدعاء الشخصيّات التوراتية. والأهمُّ من ذلك نجحَ هؤلاء في جعلِ مقولاتِ العهد القديم المصدرَ الأول للمعلومات التاريخيّة في القارّة الأوروبية بشكل عامٍ. وساعدَ إختراع المطبعة على إنتشار ذلك الفكر في أرجاء أوروبا كُلِّها.

وحتّى يبتعد "البيوريتان" عن مُضايقات الحكومات الإنجليزية المتعاقبة لهم، فرّوا إلى القارّة الجديدة والعالم الجديد (أمريكا) حيث أسّسوا فيها مستعمراتهم الأولى على أساسٍ دينيٍ بحتٍ ورأوا فيها "كنعان الجديدة" وصنّفوا أنفسهم على أنّهم الصَّفوةُ التي إختارها الربّ لحمل رسالته للعالم وآمنوا أنّ هنالك عهداً بين الربّ وبينهم وأنّه جعل لهم دوراً مركزيّاً وهامّا في خطته للكون وكانت تلك المعتقداتُ بدايةً للتطرُّف الدّينيّ اليمينيّ الذي نراه في الولايات المتحدّة الآن. لقد تغلغلت الآراءُ والمعتقدات الصهيونيةُ في التربة الأمريكية منذ إكتشافها وكان لها دورٌ أساسٌ في كلِّ السياسات الخارجية للحكومات الأمريكية المتعاقبة وبالذات حكومة "المحافظين الجدد" التي ظهرت على ساحة العمل السياسي في الستّينات وتطوّرت في الثمانيات حتّى وصلت إلى ما وصلت إليه في يومنا هذا.

المقدمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات. والصَّلاة والسّلام على خيرِ خلقهِ، الرّحمةِ المُهداةِ، السِّراج المنيرِ وصاحب البركات، الذي حثّنا على طلب العلم وجعله فريضةً على المسلمين والمُسلمات.

هذي سبيلنا، سبيل العلم والنور، إخترتُ لنفسي أن أسلكها لأبصِّرَ نفسي وأهل ديني بحقيقة بعض عقائد أعداء هذا الدِّين، الذين يتحوّلون كلَّ فترةٍ ويتلوّنون كالحِرباء كلّما واجهت الخَطَر.

إنّ المسلمين يقفون اليوم في مواجهة أفكارِ وعقائدِ أُممٍ كاملةٍ وحضاراتٍ قائمةٍ، إجتمعتْ لها كلُّ الأسباب الماديّة اللازمة للنهوض والتفوّقِ، فأخذت تتصارعُ فيما بينها، حتّى إذا إنتهت من صراعاتها الدّاخليّة تفرّغت لنا وإتّخذت منّا عدواً تعملُ على إخضاعه ما إستطاعت إلى ذلك سبيلاً ... وكان من وسائل الإخضاع التي أجادتْ إستخدامها حربُ الثقافة والفكر والعقيدة ... ولمّا إجتمع هؤلاء لمحاربتنا كافةً وجبَ علينا النهوضُ لمحاربتهم كافةً. وكان الجانب الذي يتهدّدنا منهم هذه المرّة جانب "البروتستانت المتهوّدين" أو "المسيحيين المتصهينين" ومَنْ لفَّ لفهم من "المحافظين الجُدد" الذين قبلوا مسخ دينهم بأيديهم وإرتضوا أن يكونوا مطيّةً لليهود وأن يُسخِّروا كلَّ مقدّرات بلادهم وخيراتها ومنجزاتها لخدمة الصهيونيّة العالميّة ومخطّطاتها.

ولما إتفق هذان الخصمان على أنّ شعب الله المختار هم اليهود وأنّ فلسطين خالصةٌ لهم وأنّ المسجد الأقصى يجبُ هدمه ليقوم مكانه الهيكلُ الثالثُ، وأنَّ المجيْءَ الثاني للمسيح لن يتمّ إلاّ بعدَ تنفيذ ذلك، وجبّ عليَّ وعلى طُلاب العلم الشرعيّ النهوضُ لعرض عقيدة هؤلاء المسيحيين الصهاينة ونقدها ونقضها، خصوصاً وأنّ أتباع هذه العقيدة قد أخذوا في تطبيقها وتحقيق نبؤاتها؛ فسلبُونا الأرضَ وأخضعوا المسجد الأقصى وأذلّوا الأهل ونالنا من أذاهم ما نالنا ونحنُ في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس.

هذه الدراسة توضِّحُ بما لا يدعُ مجَالاً للشكّ، للمسلمين لماذا يكرهُنا هؤلاء ويُحبّون اليهود؟ ولماذا يحاربوننا ويدعمون اليهود؟ ولماذا يتركون "النعيم" في "أمريكا" ويأتون للسّكن في مستعمرات اليهود؟؟ إنّهم يستعدّون للمجيء الثاني وللمملكة الألفيّة ولحُكمها السّعيد ولوقوع معركة "هرمجدّون" التي يرونها نوويّةً (بالمعنى الحرفي وليس الرمزي) وينتظرون القدوم الثاني للمسيح، وهو منهمَ براءٌ، ليضربنا بسيفه ويرمينا لنذوب في بحيرة النّار والكبريت ....

أهميةُ البحث والحاجة إليه:

تظهر أهميّة هذا البحث من خلال ما يلي:

١. الحاجة إلى معرفة كيفيّة نشوء الطائفة البروتستانتيّة وتطوّر عقائدها.

٢. الحاجة إلى فهم طبيعة العلاقة والرابط العجيب بين الكيان الصهيوني والولايات المتّحدة وكونه رابطاً دينياً قائماً على عقيدةٍ مشتركةٍ بينهما قبل أن يكون رابطاً مصلحيّاً سياسيّاً.

٣. الإجابة عن تساؤلات كثيرةٍ أبرزها سبب معاداة الحكومات الأمريكيّة المُتعاقبة للعرب والمسلمين وأسباب دعمها المتواصل غير المشروط للكيان الصهيوني.

٤. الحاجة إلى توضيح النبؤات التوراتيّة التي يسعى اليمين المسيحي الأمريكي لتحقيقها في أيّامنا هذه.

٥. الحاجة إلى معرفة وفهم موقف كنائس العالم الأخرى من البروتستانتيّة المتهوّدة التي تدعمُ اليهود وتنادي بتحقيق نبؤاتهم التوراتيّة.

مشكلة البحث (إشكاليةُ البحث والأسئلة التي يُجيبُ عليها).

١. تقومُ هذه الدّراسة في أساسها على عرضٍ تفصيلي لعقائد وشرائع الطائفة البروتستانتيّة التي أسَّسها الرّاهب الألماني "مارتن لوثر" تحت إسم حركة الإصلاح الديني، والتي عُرفتْ فيما بعد بإسم حركة "البروتستانت"، أيْ حركة المحتجيّن، وكان ذلك بعد أن أنكر "مارتن لوثر" سُلطة الكنيسة وإحتجّ هو وأتباعه على قرارات مؤتمر (ورمس) الذي تحالف فيه الإمبراطور "شارل الخامس" مع البابا ضدَّ لوثر.

٢. ثم تعرض الدراسة بعض أفكار قادة هذه الطائفة الذين جاؤوا بعد "مارتن لوثر" وهما الراهبان "زوينجلي" و"جون كالفن".

٣. كما تعرضُ الدّراسة لكيفية إنتشار البروتستانتية في بعض الدول الأوروبية وبالذات "إنجلترا" ومن ثمّ القارة الأمريكية بواسطة المهاجرين الجدد آنذاك، وإستقرارها بعد ذلك في المجتمع الأمريكي. كما تذكر لنا الدراسة كيفية وصول هذه الدعوة إلى مراكز صنع القرار في ذلك المجتمع.

٤. تعملُ هذه الدراسة على إبراز العلاقة بين عقائد التوراة وعقائد البروتستانت قديماً وحديثاً وبخاصّةٍ فيما يتعلّقُ بوجوب العمل على إعادة (شعب الله المختار) إلى الأرض المقدَّسة وتأثير هذا المعتقد على علاقة الولايات المتحدة بالكيان الصهيوني.

٥. وتأتي الدراسة بمعلومات هامة تتحدّث عن نشأة وتطور تيّار "المحافظين الجُدد" في الولايات المتحدة، والتقاء أفكاره ومعتقداته مع أفكار ومعتقدات الصهيونية العالمية.

أهداف البحث

يهدفُ هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. إبراز مدى خطورة المعتقَدات التي حملها "مارتن لوثر" والتي ساهمت في عودة اليهود إلى واجهة الأحداث في القارّة الأوروبيّة، بعد أنْ طوى التاريخُ صفحتهم وتفرّقوا في "الشّتات" مئات السنوات.

٢. بيان الإرتباط الوثيق بين المعتقدات الكالفينيّة ومن ثمّ الطّهوريّة "البيوريتانيّة" والمعتقدات اليهودية فيما يتعلّقُ بالشّعب المُختار والأرض الموعودة.

٣. توضيح كيفيّة عودة اليهود إلى "إنجلترا" بعد طردهم منها وبيان مدى مُساهمة "أوليفر كرومويل" في ذلك.

٤. بيان أنّ دوافع "كريستوفر كولومبس" لإكتشاف القارّة الجديدة (أمريكا) كانت دينّيةً بالدّرجة الأولى وكان على رأس هذه الدوافع محاربة "إمبراطورية محمد الشّريرة" على حد وصفه لها.

٥. إبراز الأسباب الكامنة وراء هجرة البيوريتان (الطهّوريين) إلى العالم الجديد (أمريكا) وسعيهم لإقامة (مملكة الله) أو (كنعان الجديدة) على الأرض الأمريكيّة.

٦. بيان ميلاد الصهيونية المسيحيّة وأنّها سابقةٌ على صهيونيّة "هرتزل" التي أعلن عنها في مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م.

٧. إيضاح دور الحكومة الأمريكية ودور الكونجرس في دعم إقامة الكيان الصهيوني.

٨. تفنيد النبؤات التوراتيّة القائمة على إنتظار المجيء الثاني للمسيح وإقامته للمملكة الألفيّة بعد مقدّماتٍ هامّةٍ منها تدمير المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثالث مكانه ...

٩. توضيح كيفيّة ميلاد الإتجاه اليميني المسيحي المحافظ في الولايات المتّحدة وتطوّره إلى تيّار المحافظين الجُدُد.

١٠. بيان المرتكزات الفكريّة والعقديّة للمحافظين الجدد وتفصيل القول فيها.

الدراسات السّابقة

لقد سبقت هذا البحث دراسات معاصرةٌ عديدةٌ تناولت الموضوع ذاته من جوانب مختلفةٍ، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال:

١. **كتابا الكاتبة والصحفيّة الأمريكيّة غريس هالسل (النبّوءة والسياسية) و(يد الله)** حيث تعرّضت "غريس هالسل" للمنطلقات الفكريّة لبعض المنظّمات الدينيّة البروتستانتية المتحالفة مع الصهيونية. وهي منظماتٌ تعمل تحت ظلالٍ كَنسيّةٍ من أجل ترويج أفكارها وبالتالي تكوين ضميرٍ دينيٍ جماعيٍّ بوجوب دعم إسرائيل، تحقيقاً لنبوءاتٍ مُستخرَجةٍ من التوراة بما يتوافق مع الأهداف الإستراتيجية للكيان الصهيوني في فلسطين وفي الوطن العربي.

ولعلّ ما يُعطي كتابيها أهميّةً خاصّةً هو أن المؤلفة مسيحيّةٌ إنجيليّةٌ نشأت في بيتٍ مؤمنٍ بالتعاون والتّحالف المسيحيّ البروتستانتي مع الصّهيونية.

٢. **كتاب الكاتب المصري إميل أمين (ذئاب في ثياب حملان) الذي نشرته دار المريّخ المصريّة** وفيه حاول الكاتبُ إثباتَ صحّةِ الفكرةِ التي إنطلق منها وهي أنّ هناك منظومةً فكريّةً خاصّةً تربط بين القرارات السياسيّة الأمريكية الآن وممارستها الداخلية والخارجيّة، وهي منظومةٌ أصوليّةٌ متطرّفةٌ قديمة جاءت إثر الاختراق اليهودي لأحدِ أوجه الفكر المسيحي الأوروبي قبل قرنين على يد الإصلاحيّ الديني "مارتن لوثر". ثم تحدّث عن كيفية تطوّر هذه المنظومة الأصولية وُحكمها للولايات المتحدة ورفض الكنائس الكاثوليكيّة لهذه المنظومة وموقفها منها.

٣. **كتاب الدكتور محمد السّماك (الأصولية الإنجيليّة أو الصّهيونية المسيحية والموقف الأمريكي)** الذي نشرته دار النفائس، وقد حاول المؤلفُ في كتابه هذا مواكبة مسيرة حركة التهويد التي تعرّضتْ لها الكنيسة الأوروبية والأمريكية، وذلك بلفت إنتباهنا إلى حركةٍ في غاية الخطورة وهي "الصهيونية المسيحية" وما تحملُ من أفكارٍ عنصريّةٍ ودورها في صناعة القرار السياسي في أوروبا وأمريكا. وقد فصّل الدكتور السّماك القول في المراحل التاريخية التي مرّت بها الحركة الصهيونية المسيحيّة في أوروبا والولايات المتّحدة حتى يومنا هذا ثم توسّع في ذكر بعض المؤسسات الصهيونية المسيحية والحديث عن القائمين عليها وداعميها.

ما الذي يميّزُ هذه الدراسة عن بعض الدراسات السابقة لها؟؟

١. إعتمادها على منهج التتبُّع التاريخي لنشأة البروتستانتية وإنتشارها في أوروبا.
٢. تتبعها لكيفية وصول البروتستانتية إلى القارة الأمريكية الجديدة وثباتها فيها لما بعد، وكيفيّة وصولها لمراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية.
٣. تركيزها على المنطلقات التوراتيّة لمعتقدات البروتستانت.
٤. تفصيل روايات التوراة التي تدعم مزاعمَ اليهود في أرض فلسطين بإعتبارها أرض الميعاد.
٥. تفصيل روايات الكتاب المقدس التي تدعم النبؤات المستقبلية للمسيحية الصهيونية.
٦. تفصيل ردّ الكنائس الأخرى على نبؤات المسيحية الصهيونية.
٧. تفصيلها القول في نشأة اليمين المسيحي المحافظ في الولايات المتحدة.
٨. تتبُّعها لأجيال المحافظين الجُدد وتفصيلها القول في المُرتكزات الفكريّة لكلّ جيل منها.
٩. مقارنتها لعقائد المحافظين الجدد بعقائد التيار المسيحي الصهيوني.

منهجّية البحث التي تمّ إعتمادها في هذه الرسالة

لقد إعتمدت هذه الدراسة على العديد من المناهج العلمية ومن أبرزها مناهج ثلاثة هي:

١. المنهج النقلي التاريخي.
٢. المنهج الإستقرائي.
٣. المنهج التحليلي الإستنباطي.

١. أمّا عن المنهج النقليّ التاريخي فقد تمثّل فيما فيه من تتبُّع أصول عقائد البروتستانتية من خلال ما كتبه مؤسسها نفُسه "مارتن لوثر" ومن خلال ما كتبه مَن جاء بعده مِمّنْ حملوا بعض أفكاره وآمنوا بمعتقداته مثل "زوينجلي" و"جون كالفن" ونشرهما للبروتستانتية في سويسرا وإنجلترا وبعض الدول الأوروبيّة الأخرى ومِن ثمّ تتبّع دخولها إلى القارّة الأمريكية الجديدة مع المستعمرين الجدد وإنتشارها فيها وبقائها إلى يومنا الحاضر. مع ملاحظة عرض تفاصيل حياة أبرز أعلامها والتعريف بأشهر ما كتبوه وذلك لتكوين فكرةٍ مُتكاملةٍ عن شخصيّاتهم وتفكيرهم.
٢. أمّا عن المهنج الاستقرائي في هذه الرسالة؛ فهي تقوم على نوعٍ واحدٍ من الإستقراء ألا هو الإستقراء النّاقص غير التام ويتضّح ذلك عند عرض موقف كنائس العالم من تهويد البروتستانت للمسيحيّة وعرض موقف هذه الكنائس من نبؤاتِ المسيحيّة الصهيونية المتمثّلة في عودة اليهود إلى فلسطين وكونهم شعبّ الله المختار والمجيء الثاني للمسيح وإقامته للمملكة الألفية.

أمّا عن المنهج التحليليّ الإستنباطي في هذه الرسالة فتتضّحُ معالمهُ من خلال عرض بعض مؤلّفات ومواقف أعلام البروتستانتيّة والكثير من كلماتهم وإستنتاج الأوجه الحقيقيّة لدلالتها وتوجيهها التوجيه السليم نحو مرادها ... كما تظهرُ معالم هذا المنهج التحليلي من خلال عقد مقارنات بين معتقدات المحافظين المسيحيين اليوم وبين معتقدات الطّهوريين الأوائل الذين كانوا يعتقدون أنّهم النُّخبةُ والصّفوة التي إختارها الله من بين البشر وتكليفها بواجبٍ تجاه الآخرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الفصول التي تضمنتها الرسالة

الفصل الأول: البروتستانتية والإصلاح الديني

المبحث الأول: أصول سلطة الكنيسة وعوامل إنطلاق حركة الإصلاح الديني.

المبحث الثاني: مارتن لوثر.

المبحث الثالث: أوضاع اليهود في أوروبا قبل مجيء البروتستانت.

المبحث الرابع: كتاب المسيح وُلِدَ يهودياً.

المبحث الخامس: كتاب أكاذيب اليهود.

المبحث السادس: من زعماء البروتستانتيّة (زوينجلي وكالفن).

الفصل الثاني: (البروتستانت التطهيريون "البيوريتان" في إنجلترا وأمريكا)

المبحث الأول: البيوريتان "التطهيريون"

المبحث الثاني: البروتستانتيّة في أمريكا.

المبحث الثالث: المسيحيّة المتهوّدة في أمريكا قبل قدوم البروتستانت.

المبحث الرابع: التراث البروتستانتي الصهيوني.

الفصل الثالث: نبؤات المسيحيّة الصهيونيّة

المبحث الأول: أرض الميعاد والشعب المختار.

المبحث الثاني: مملكة المسيح والحُكم الألفيّ السّعيد.

المبحث الثالث: بناء الهيكل الثالث.

المبحث الرابع: نبؤة وقوع معركة هرمجدّون ونهاية العالم.

المبحث الخامس: موقف كنائس العالم من المسيحيّة المتهوّدة ونبؤاتها.

الفصل الرابع: المحافظون الجدد

المبحث الأول: ظهور الفكر المحافِظ في القارة الأوروبية.

المبحث الثاني: اليمين المحافظ الأمريكي.

المبحث الثالث: ماذا يقول المحافظون الجدد عن أنفسهم؟؟

المبحث الرابع: المرتكزات الفكرية لأجيال المحافظين الجدد.

المبحث الخامس: تحالف المحافظين الجدد مع المسيحيين الصهاينة.

الخاتمة. وقد تضمنت أهمَّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

الفصل الأول

سلطة الكنيسة وعوامل إنطلاق حركة الإصلاح الديني

المبحث الأول

أصول سُلطة الكنيسة

من أين استمدت الكنيسة الرومانية صلاحياتها وسلطانها الذي كانت تمارسه على الناس؟ ومن أين جاءت الكنيسة بنظرية "البابا خليفة الرسول بطرس ووريث صلاحياته"؟ في الإجابة على هذين السؤالين أقول: إنّ الكنيسة وأتباعها يستندون في ممارسة هذه الصلاحيات والسلطة (المتوارثة) إلى نصوصٍ واردةٍ في "إنجيل متى" وهذه النصوص هي:

أولاً: ما ورد على لسان المسيح عليه السلام "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة إبني كنيستي وقُوّات الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون قد رُبط في السماء، وما تحله على الأرض يكون قد حُل في السماء".[١]

ثانياً: ما ورد على لسان المسيح عليه السلام "فالحقَّ أقول لكم: إنّ كلَ ما تربطونه على الأرض، يكون قد ربط في السماء وما تحلّونه على الأرض يكون قد حُلَّ في السماء"[٢] وبناءً على هذه النصوص قامت سلطة البابوات والكنيسة وفسّروا هذه الآيات على النحو الذي يخدم مصلحتهم، ومن هذه التفسيرات ما يلي:

١. "إنَّ إبنَ الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيسٍ لها. وإنّ أساقفة روما ورثوا سلطات بطرس في تسلسلٍ مستمرٍ متصلٍ، ولذلك فإنّ البابا ممّثلُ الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين، حكاماً كانوا أو محكومين"[٣]

٢. ومن هذه التفسيرات كذلك: "إنّ الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمدّ هي ملوك الأرض وامراءها بالنفوذ، وإنّ البابا له مركزٌ فذ في العالم، فهو الذي يولّي الأساقفة ويخلعهم وله الحق في خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذي لا يُسألُ عمّا يفعل وهم يُسألون"[٤]

---

(1) متّى: ١٦: ١٨ – ٢٠.

(2) متّى: ١٨: ١٨.

(3) راجع ول ديورانت، "قصة الحضارة"، الجزء الرابع عشر، ص ٣٥٢ ترجمة عبد الحميد يونس، طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

(4) محمد حسونة ومحمد رفعت ، معالم تاريخ العصور الوسطى، ص ١٣٧ المطبعة الرحمانية، مصر، ط١، ١٩٢٥.

الإصلاح الدِّيني

لقد كانت المرّة الأولى التي إستُخدِمَ فيها مصطلح "الإصلاح الديني" في القارة الأوروبية، عندما بعث "مارتن لوثر" خطاباً إلى "الدوق جورج"[١] طالب فيه بالإصلاح الديني حيث قال لوثر: "يجب القيام بإصلاحٍ دينيٍ عامٍ للطبقات الروحية والزمنية"[٢]، وقد علّق المؤرّخ "ول ديورانت" على ذلك بقوله "وقد أضفت هذه الكلمة على ثورة لوثر إسمها التاريخي"[٣]

عوامل إنطلاق حركة الإصلاح الديني

لقد تضافرت مجموعة من العوامل الأساسية الهامة وشكّلت الخلفيّة التي إنطلقت منها حركة الإصلاح الديني وهذه العوامل هي:

أولاً: إصدار الكنيسة لصكوك الغفران:

لقد كان التنافس بين البابوات شديداً؛ حيث كان يحاول كلٌّ منهم أن يثبت أنه قدَّم للكنيسة وللمسيحّية خدماتٍ لم يقدّمْها سابقوه ولم تخطر على بالهم ومن ذلك إبتداعُ "سندات" أو "صكوك" تغفُر وتجبُّ خطايا الإنسان الذي يشتريها. وفي بادئ الأمر كان إنتشار هذه الصكوك محدوداً وقليلاً وقد رضي بها عامّةُ الناس؛ لأنَّ الأموال التي كانت تُجبى من خلالها كانت تُستخدم، على ما ذكره البابوات[٤]، لأمرين هامّين هما:

الأمر الأول: بناءُ كنيسة جديدة تحمل إسَم القديس "بطرس" وذلك بسبب قِدَم الكنيسة الحاليّة وعدم صلاحيتها للترميم.

الأمر الثاني: تمويل الحروب الصليبية التي كانت موجّهةً نحو الشرق بهدف القضاء على الجيش العثماني (الأتراك) وإقامةٍ إمارة صليبيةٍ مقُّرها بيت المقدس.

هكذا كانت بداية صكوك الغفران وتحت هذين السببين السابقين ثُم جمع الأموال، **ولكنّ الذي ظهر بعد ذلك أنّ البابوات وجدوا في هذه الصكوك باباً واسعاً لجلب الأموال ولزيادة ثرواتهم الشخصية وتوسيع ممتلكاتهم الخاصة فأعطوا هذه الصكوك مدىً أوسع وأفقاً أكبر في غفرانها للذنوب وللخطايا وجرّدوها من الأحكام والصفات الأخلاقية التي كانت مُلازِمةً لإستخدامها أصلاً، بحيث أصبح الذي يدفع أكثر ويشتري صكوكاً أكثر في غير حاجةٍ للذهاب إلى الكنيسة للإعتراف**

---

(1) حاكم مقاطعة فتبزغ التي كان لوثر يعيش فيها آنذاك.
(2) ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٣ ص ٢٠.
(3) المرجع السابق نفسه ص ٢٠.
(4) وبالذات البابا ليو العاشر.

والتوبة؛ فدفعه للمال، على النحو الذي آلت إليه الصكوك فيما بعد، يضمن له غفران الذنوب ليس في الحياة فقط بل بعد الممات. بل إنّ بعض أنواع الصكوك كانت تضمن لأصحابها أن تُفتحَ لهم أبوابُ جنة النعيم وتُغلقَ أمامهم أبواب العذاب!! ومن نماذج هذه الصكوك والتي إشتهرَ بتوزيعها الراهب الدومينيكاني (جوهان أو "يوحنا" تيتزل) بأمرٍ مباشرٍ من البابا "ليو العاشر" ما يلي:

"ألا فليرحمك الربُّ يسوعُ المسيح ويغفر لك بفضل ما لقى من آلامٍ مقدّسةٍ. وإنا بتفويضٍ منه ومن رسولَيه المباركَين "بطرس وبولس"، ومن البابا المقدَّس منح لى وعَهدَ به إليَّ في هذه الأجزاء أن أُحِلَّك أولاً من كل لَومٍ دينيٍ مهما كانت الطريقة التي تعرَّضتَ لها، ثم من كل خطاياك ومن كل تجاوزٍ للحدود وكل إفراط في الملذات مهما بلغَتْ من الجسامة، بل حتى من أي إثم تحتفظ بتقريره وإدراكه السدّةُ البابوية، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدسة أعفيكَ من كلّ عقابٍ تستحقُّه في المَطْهَر[1] بسبب هذه الآثام، وأعُيدكَ إلى القُربان المقدَّس للكنيسة وإلى البراءة والطهر اللذين حُزْتَهُمَا في العِماد، ولهذا فإنكَ عندما تموتُ ستغلقُ أمامك أبواب العذاب وتُفتح لك أبوابُ جنّة النعيم، وإذا لم تمُتْ الآن فإنّ هذا الفضلَ سوف يظلُّ في أوج قوَّتهِ عندما تصبحُ على وشك الموت باسم الأب والإبن والروح القدس"[2]

ويرى هربرت فيشر[3] "أنَّ فكرةَ كون البابا قادراً على إصدار صكوك غفران تجبُّ الخطايا من كلّ نوعٍ مستمدةٌ من النظرية القائلة بأن القدّيس "بطرس" وخلفاءه قد خُلِعتْ عليهم ميِّزةُ توزيع فيضٍ لا ينضبُ من الثواب على المؤمنين. وهذا الفيض من الثواب يرجع أصلاً إلى تضحيات المسيح؛ ثم زاد على مر السنين بالأعمال الخَيّرة التي قامت بها أجيالٌ متعاقبةٌ من المسيحيين المؤمنين. وقد تجاوبتْ فكرة الثواب على أنها ليست أمراً موقوتاً ولا شخصياً؛ بل حصيلةٌ من الثروة الروحية يمكن إدّخارها لصالح الأحياء والأموات وتجاوبت في نفس الوقت مع الخيال الديني والمطالب المالية للبابوات على حدٍ سواءٍ".

يُستفاد ممّا سبق أنّ البابوات ومندوبيهم في التحصيل، قد تجاوزوا في إصدارهم لهذه الصكوك كلَّ الحدود والقوانين والصلاحيات لدرجة وصلت إلى تدخُّلِهم فيما هو من صفات الله وحده، فهم لم يتجاوزوا، بصكوكهم هذه، عن العقوبة على الخطيئة بل زعموا القدرة على محو

---

(1) آمن الكاثوليك أن الإنسانِ لابد أن ينال جزاء ما فعله من شرٍ في حياته. فإما أن يكون هذا الجزاء في الدنيا، أو بعد الموت حيث يُطهر الإنسان من شره بعد الموت بعقابه فترةً من الزمان وتُعرف عندهم (بالمطهر) ثم بعدها يذهب الإنسان للحياة الأبدية.

(2) ول ديورانت، [م. س] الكتاب ٢٣، ص ٥.

(3) هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ترجمة د. زينب عصمت راشد ود. أحمد عبد الرحيم مصطفى ص ٩٩ طبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٥.

الخطيئة ذاتها؟!! وضمنوا للمخطئين الجنَّة وجنّبوهم المسُاءَلة أو المحاسَبة في المطهر؟!! وقد ثارت ضد هذه الصكوك موجهةً عارمةً من الإنتقادات والإحتجاجات من قبل الرهبان قبل غيرهم وهاجموا البابا من خلال مهاجمتهم لسلوك وكلمات ووعود الراهب (يوحنا تيتزل) الذي تفرَّغ منذ عام (١٥٠٠م) لتوزيع صكوك الغفران فقط. غير أنَّ "مارتن لوثر" هو الذي تجرأ وهاجم (يوحنا تيتزل) أولاً ثم هاجم البابا بشخصه ثانياً، وسيأتي تفصيل هذا الهجوم الكلامي في المباحث اللاحقة. ومن الشواهد التي أسوقها للتدليل الإنتقادات الموجهّة لـــ (يوحنا تيتزل) ما يلي:

أ. "سمع مايكونيوس، وهو راهب فرنسسكاني، ربما كان معادياً للدومينيكان بصنيع "تيتزل" فكتب تقريراً عن هذا عام ١٥١٧م، يقول[١]: "إنّ ما قاله هذا الراهب الجاهل وبشَّر به أمرٌ لا يُصدّق. لقد أعطى خطاباتٍ مختومةً ضمَّنها أنَّ الخطايا التي يعتزم المُرء أن يرتكبها سوف تغُفرُ له، وقال إنّ البابا يملك سلطاناً يفوق سلطان الرسل والملائكة والقديسين، بل يفوق سلطان العذراء مريم نفسها، لأن هؤلاء جميعاً كانوا أتباعاً للمسيح أمّا البابا فإنه نِدٌّ للمسيح"[٢]

ب. "إنه ليس من المعقول ما ذهب إليه هذا الراهب الجاهل الأحمق حين قال للناس إنهم إذا ما ساهموا عن طواعيةٍ وإشتروا الثواب وصكَّ الغفران، فإن "كلَّ تلال "سانت أنابورج" ستستحيل إلى كتلةٍ هائلةٍ من فضةٍ صافيةٍ وأنه ما إن سُمِعَ رنينُ العملة في الصندوق حتى تكونَ روحُ مَنْ دُفِعتِ الأموالُ من أجله في طريقها إلى الفردوس"[٣]

ثانياً: موقف الكنيسة من العلم والعلماء وتقييدها للعقل ومحاربتها التفكير الخارج عن إطار الكتاب المقدس:

إن الحديث في هذه النقطة غايّةٌ في الأهمية؛ وذلك لأنّ النتيجة التي ترتّبتْ على حرب الكنيسة ضد العلم والعلماء وضد العقل والعقلاء كانت، دون أدنى شك، توجُّهَ العالم المسيحي بشكل عام إلى الإلحاد والتخلي عن العقائد الموروثة التي تتناقض في مجملها مع منطق العقل وأبسط مراتب البحث والتفكير العلمي. كيف لا؟ وقد شقت "أوروبا" طريقها نحو العلم والنهضة الصناعية والعلمية والعمرانية بعد أن أزاحت الكنيسة من حياتها وأبعدتها عن التدخُّل في شؤون الحياة العامّة والخاصّة للمجتمعات والدول. وقد كان ذاك الإبعاد والعزل للكنيسة، كما أسلفتُ، مقدمةً للنهضة فتحولت "أوروبا" خلال سنوات معدودة من عصر الظلمات إلى عصر التنوير. **والملخَّصُ المفيد**

---

(1) ول ديورانت، [م. س] الكتاب ٢٣، ص ٦.
(2) المرجع السابق نفسه، ص ٦.
(3) هربرت فيشر، [م. س]، ص ١٠٠.

لحكاية الحرب هذه بين الكنيسة والعلم أنّ رجال الكنيسة كانوا يزعمون أنّ الكتاب المقدس يتضَّمنُ كل أنواع العلوم التي يحتاجها الناس سواء أكانت علوم دين أم علوم دُنيا "وأنَّ أساس كلّ علمٍ، عندهم، هو الكتاب المقدّس وتقاليد الكنيسة وأنَّ الله لم يقصُرْ تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدين فقط بل علَّمنا بالوحي كلَّ ما أراد أنْ نعلمه مِن الكون، فالكتاب المقدّس يحتوي من المعرفة على المقدار الذي قُدّر للبشر أن ينالوه، فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض، وما فيها، وتاريخ الأمم ممّا يجب تسليمُه مهما عارضَ العقلَ، أو خالفَ شاهِدَ الحسّ، فعلى الناس أن يُؤمنوا به أولاً، ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه"[١]

ولكي تكون الأمور أكثر تحديداً ووضوحاً فإنني سأذكر نصوصاً وشواهد أستدلُّ بها على ما يخدُم موضوع رسالتي هذه، وهذه النصوص كلّها يذكرها النصارى في كتبهم، لنرى بوضوحٍ وحياديّةٍ كيف يحاكمُ النصارى (موقف الكنيسة من العلم) وذلك من خلال عدم إقتناعهم بالكثير من العقائد والشرائع التي سنّتها الكنَيسةُ والتي تُناقِض العقل، ومن خلال عدم إقتناعهم بالكثير من نصوص الكتاب المقدس التي تصادمُ الكثير الكثير من الحقائق العلمية التي أثبتَ العلمُ الحديثُ صحّتها وبالتالي بطلان نصوص الكتاب المقدَّس الواردة في هذا المجال ومن ذلك ما قاله "مارتن لوثر": "**أنت لا تستطيعُ أن تقبل كُلاً من الإنجيل والعقل فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر**"[٢]. **ومن ذلك قوله: "إنّ كلَّ آيات عقيدتنا المسيحية التي كشف لنا الله عنها في كلمته أمام العقل مستحيلةٌ تماماً ومنافيةٌ للمعقول وزائفةٌ. فإذن كيف يعتقد ذلك الأحمق الصغير الماكر**[٣] **أنّ هناك شيئاً يمكن أن يكون أكثرَ مجافاةً للعقل وإستحالةً من أنَّ المسيح يعطينا جسدهَ لنأكله ودمه لنشربه في العشاء الأخير؟ ... أو أنَّ المسيحَ إبنَ الله حملت به مريمُ العذراء وولدته ثم غدا رجلاً يتعذَّبُ ثم يموتُ مِيتةً مخُجلةً على الصليب؟ ... إنّ العقل هو أكبرُ عدوٍّ للإيمان** "[٤]

ولا تخفى على أيّ منا السمعةُ الكبيرة التي يتمتع بها "مارتن لوثر" في العالم المسيحي والصدى الواسع الذي كانت كلماته ونشراته تلقاها في العصور الوسطى، ومن السهل الواضح لكل

---

(1) محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة، ص ٢٧ وما بعدها بتصرف، مطبعة المنار، مصر، ط٣، ١٣٤١ هـ.
(2) ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٣، ص ٥٦ بتصّرف.
(3) يقصد البابا
(4) ول ديورانت، [م. س] الكتاب ٢٣، ص ٥٦ بتصُّرف.

قارئٍ لكلمات لوثر السابقة أن يلمس تعارض الكثير من العقائد التي فرضتها الكنيسة مع العقل السليم، لا أقول المبْدِع أو المُبتكِر بل أقول العقل السليم.

وكما أسلفتُ؛ فلم تكن العقائدُ الكنسيّةُ قد صادمت العقل في عرضها لقضايا الإيمان فقط بل أنها قد صادمته عندما تحدّثتْ عن العلم والمادة العلمية كخلق السموات والأرض والشمس وخلق آدم وحواء؛ فقد كان رجال الكنيسة يؤمنون بأن الأرض مُسطّحةٌ وأن السماء مخلوقة من مادة صلبةٍ كالأرض وأنّ الشمس تدور حول الأرض وأنَّ آدم وحواء هما أول المخلوقات، فكانت معتقداتهم هذه (في نظري) جريمةً بحقِّ علوم الفلك "والجيولوجيا" وظواهر الطبيعة، حيث أنّ الكتاب المقدس، كما رأيت من قراءاتي الخاصة فيه، لا يقدّم لنا في مجال هذه العلوم سوى نظريات خاطئة متناقضة لا تعدو كونها مجموعةً من الأساطير والأقاصيص الخرافية والتاريخية.[*]

ومن الشواهد التي تُثْبِتُ ذلك ما يلي:

أ. قيام مجموعة من رهبان الكنيسة المسيحية في عام ٤١٥م بقتل "هيباثيا" إبنة "نيون السكندري" الذي كان مُديراً لمكتبة الإسكندرية وقد كانت "هيباثيا" آخرَ أكبر عالمةٍ رياضياتٍ وفلسفةٍ في مدرسة الاسكندرية آنذاك، وقد تّمت عملية القتل بناءً على توجيهاتٍ وأوامر من أسقف الإسكندرية "سيريل" الذي جعلته الكنيسة البابوية قدّيساً فيما بعد**!!**

"وبعد إعدامها بلا محاكمة، قام الجناة بسحب جثتها داخل الكاتدرائية وتولّى الرهبان تقطيع جسدها. وكانت حُجّةُ المسيحيين في النيل منها أنها كانت مدرّسة رياضياتٍ بارعةً وتمثّل تهديداً ضد إنتشار المسيحية بسبب تعليمها العلوم وفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ويمثّل مقتلُها نقطة تحولٍ كبرى إذ غادر العديدُ من العلماء مدينة الإسكندرية متّجهين إلى الهند أو فارس ولم تعد الإسكندرية تمثّل مركز الإشعاع العلمى في العصر القديم".[١]

ب. جاء العالم "كوبر نيكوس" بنظريته التي تقول بأن الشمس هي مركز الكون وليست الأرض، وإن الأرض والكواكب الأخرى تدور حول الشمس بسرعةٍ، فإذا نظرنا إلى السماء فتصوَّرنا أن الأجرام السماوية تتحرك، فما ذلك إلا نتيجةٌ لدوران الأرض في الاتجاه المعاكس. وظلت نظرية "كوبرنيكوس" ناقصةً، ولكنّ عالم الفيزياء الألماني "يوهانز كيبلر". تمكّن من توفير الأدلّة الحسابية على صحتها، ثم قام الفلكي "جاليليو جاليلي"، بإجراء إختبارٍ عمليٍّ تجريبيٍّ لتلك

---

[*] للتوسع في هذا الموضوع راجع ما كتبه (موريس بوكاي) في كتابه، التوراة والإنجيل والقرآن، في ضوء العلم الحديث.

[1] إنريكو ريبوني، الإلحاد وأسبابه "الصفحة السوداء للكنيسة" ترجمة د. زينب عبد العزيز، ص ٦٩، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٤.

"الفرضّية" عن طريق رصد الكواكب "بالتليسكوب" وسآتي على الحديث عن "جاليلو" في النقطة الرابعة القادمة.

وقد لاقت نظرية "كوبر نيكوس" محاربةً شديدةً من قبل رجال الكنيسة، لأنَّ فيها، كما يقولون، مخالفةً لما جاء في الكتب المقدسة، ومن ذلك ما كتبه "فروماندوس" وهو أحد رجال الدين، في مقالته التي سمّاها "أرسطارخس" حيثُ بدأ أول صفحةٍ منها بلعنة "كوبرنيكوس" ثم أعلنَ "أن التنزيل يقاوم "كوبر نيكوس وأنصاره"[١]

"ومن أجل أن يبرهن على فساد نظرية "كوبر نيكوس" وأنها ضرب من ضروب الكفر والإلحاد، رجعَ إلى النصوص المقدَّسة التي تتحدث عن شروق الشمس وغروبها وثبات الأرض، حيث إستندَ إلى نصٍّ من التوراة جاء فيه، أنَّ الأرضَ ثابتةٌ إلى الأبد، ومن ذلك ما ورد في الإصحاح الأوّل من سفر الجامعة: "ما الفائدة للإنسان من كلِّ تعبهِ الذي يتعبهُ تحتَ الشمس، دورٌ يمضي ودورٌ يجيء، والأرض قائمةٌ إلى الأبد والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق"[٢]

ج. جاء العالم "جيوردانو برونو" بفرضيّةٍ علميّةٍ وصفَ من خلالها الكون بأنه "لا نهائي" كما تضمَّنت فرضيتهُ معلوماتٍ أُخرى منها على سبيل المثال (أنّ هنالك أشكالاً من الحياة خارج الكرة الأرضية) مما أثار غضب رجال الكنيسة الذين كانوا يعتقدون بأن الأرضَ منبسطةٌ، وبناءً على ذلك فقد وجَّهت الكنيسة تهمة (الهرطقة)[3] إلى "جيوردانو برونو" وقامت بمحاكمته لمدّةٍ قاربت الثماني سنوات "تمَّ خلالها إنتزاعُ الإعترافات من "برونو" عن طريق التعذيب وحُكِمَ على "جيوردانو برونو" بالموت لأنه "متعنّتٌ مُصِرٌّ على هرطقته" ... وكان قد جاهد ليشرح أنّ أفكاره ليست خطأً، دون جدوى. وتم حرقُه حيّاً في "كامبو دي فيوري" وقد كمّموه قبل أن يأخذوه إلى المحرقة لتفادي أن تتسبّبَ عباراته في قلقلة معتقدات الجمهور الذي حضر لمشاهدة المحرقة. وقد تم إضفاء رتبة "كبير علماء الكنيسة" عام ١٩٣٠م على "الكاردينال بلّلارمين" الذي تولّى إدانة "برونو" رسميا ..."[٤]

---

(1) آندرو ديكسون وايت، بين العلم والدين، ترجمة اسماعيل مظهر، ص ٧٣، دار العصور، مصر، ١٩٣٠.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ٦١.

(3) كلمة إغريقيّة الأصل عرفها د. رمسيس عوض بأنّها تعني الخروج على مجموعة الأفكار الدينية التي يؤمن بها السواد الأعظم من الناس في مجتمع وما وزمن ما. وعرفها د. ميلاد حنّا بأنّها أن يفكر الإنسان لنفسه أو يتساءل متشككاً في سلطة الكنيسة.

(4) للتوسع في هذا الموضوع راجع ماكتبه إنريكو ريبوني [م. س] ص ١٠٠ فما فوق.

د. كما ذكرتُ في النقطة الثانية أنَّ العالم **(جاليليو جاليلي)**، وهو أحد علماء الفلك الأكثر شهرةً في تاريخ إيطاليا قد تمكّن من إجراء اختباراتٍ عمليةٍ تجريبيةٍ أثبتَ من خلالها صحّة نظرية "كوبر نيكوس" وذلك عن طريق رصده للكواكب بإستخدام "التليسكوب" وأثبت دوران الأرض حول الشمس على خلاف الإعتقاد الكنَسيّ القائم على أنّ الأرض ثابتةٌ لا تتحرك، وأنّها مركز الكون، كما إستطاع هذا العالم الفذ المُبدِعُ أن يُثبت أن هنالك كواكبَ سيّارةً تدور حولها، وأنَّ عددها يزيد عن سبعة كواكب على خلاف الإعتقاد الكنسي السائد آنذاك والذي كان يحصرها في سبعة كواكب فقط، فثارت ثائرةُ الكنيسة وأعلنت هرطقة وكفر وإلحاد هذا العالم مُستندةً إلى أنَّ أقواله تخالف ما ورد في الكتاب المقدس. وتمَّ تحويل **(جاليليو)** إلى محكمة التفتيش[*] في روما.

"وأجبرته لجنة المحكمة على الرجوع في رأيه بأن عرضتْ عليه أولاً وسائل التعذيب المستخدَمة إذا ما أصرَّ على رأيه... وكانت أعمالُ "جاليليو" قد أُدينت ووُضِعت في كشف الممنوعات منذ عام ١٦١٦م.[١] وقد أمضى بقية حياته معتقلاً في منزله إذ أنَّ شهرته العالمية قد سمحت له بتفادي العواقب الوخيمة، فكانت عمليّةُ اعتقاله في منزله هي الوسيلة الوحيدة لتفادي عمليات التعذيب الرسمية التي تمارسها اللجنة.."[٢] خصوصاً بعد أن صدر الحكم عن محكمة التفتيش بسجنه وتعذيبه بشدّةٍ مما إضطّره للتراجع عن نظرياته العلمية [التي أثبت العلُم الحديث صحَّتها تماماً] وأعلن أمام البابا "أربان الثامن" تراجعه وتوبته عمَّا قاله وقال في إعلانه هذا "**أنا غاليليو، وفي السبعين من عمري، سجينٌ جاثٍ على ركبتيَّ، وبحضور فخامتك، وأمامي الكتاب المقدس، الذي ألمسُه الآن بيدي أعلن أني لا أشايع، بل ألعنُ وأحتقر خطأ القول وهرطقة الإعتقاد بأن الأرض تدور!**"[٣]

يُستفادُ مما سبق أن الكنيسة حاصرت العقول الحرّة وحاولت جاهدةً أن تحجر عليها وأنها لم تعترف بالحرية الفكرية إلا تلك التي تدور في فلكها وتوافق هواها وتبدأ من عندها وتنتهي إليها؛ فما وافق أمزجة البابوات كان حريةً فكريةً وإبداعاً، وما خالفها كان "هرطقة" وتمرّداً وخروجاً عن جادة الصواب وإستحق الحرمان والقتل والإحراق البطيء المؤلم بالنار... وبعد كل ما سبق يطل علينا البابا "بنديكت" السادس عشر من جامعة "ريتسبون" بألمانيا يوم الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/١٢ ليقول: "إنّ

(*) سيأتي ذكرها وشرحها بالتفصيل لاحقاً.

(1) قامت اللجنة الخاصة بالحكر على الفكر التابعة للكنيسة بإصدار (الإندكس) أو قائمة الكتب التي يمُنع نشرها وتداولها وكان من ضمنها كتب (كوبر نيكوس) و(جاليلو).

(2) إنريكوريبوني، [م. س]، ص ١٠٣.

(3) آندرو ديسكون وايت، [م. س]، ص ٧٩ – ٨٠.

الإسلام لا يتفق مع العقل؟؟!! وإنّ جزءً كبيراً من الإسلام قائمٌ على الإيمان بالغيبيّات والقدر، وإنّ في ذلك تغييباً كبيراً لوجود العقل!! لقد كان حرياً بالبابا أن يتكلم عن كل جوانب المسيحية سوى جانب (الإيمان والعقل) لإنه الجانب الأشدُّ ظلمةً وسواداً فيها كما ثبت بالتجربة والبرهان والأدلّة السابقة، وصدق الله الحق إذ يقول: "وإن تعجب فعجبٌ قولهم"[1]. ولعلّ موقف البابا هذا يقودنا إلى النقطة التالية والعامل الآخر من عوامل الدعوة إلى الإصلاح الديني والمتعلق برجال الدين والبابوات وممارساتهم الخاطئة.

ثالثاً: إنحراف البابوات ورجال الدّين ونسيانهم لدورهم الأخلاقيّ والدينيّ.

كما ذكرتُ في فيما سبق؛ فقد كان من المفترَض في البابوات أن يكونوا خلفاء الرسول "بطرس"، كبير الحواريين وأن يحملوا رسالته ويسيروا على نهجه، وهم أنفسهم قد ذكروا أحقيّتهم في هذه الخلافة لبطرس، وعلى أساسها أقاموا الكنائس ودعوا إلى الصلاة فيها ودعوا إلى الرهبانية والعبادة ... إلخ. ولكنّ الأسئلة التي تطرح نفسها بقوّةٍ وبصوت مرتفع هي: هل حقّاً حمل البابواتُ رسالة الرسول "بطرس" وساروا على النهج المطلوب وكانت أفعالهم إنعكاساً لتعاليم المسيح عليه السلام، وأخلاقه وتواضعه وزهده ومحبّته للآخرين؟؟ وهل حقاً طبّقوا أقوال المسيح، عليه السلام (فأسهلُ أن يدخلَ الجملُ في ثقب إبرةٍ من أن يدخل الغنيُّ إلى ملكوت الله)[2]؟؟ وهل حقاً أحبّوا أعداءهم وباركوا لاعنيهم لكي يستحقوا أن يكونوا أبناء أبيهم الذي في السماء؟؟ وهل حقّاً أداروا خدودهم اليسرى لمن لطمهم على خدودهم اليمنى؟؟ إنّ الإجابة الصحيحة الوحيدة على هذه الأسئلة كلها هي **لا، لم يكن البابوات كذلك. بل العكس من ذلك هو الجواب الصحيح؛ حيث أنهم مارسوا أشد أنواع التنافس في الدنيا لا لإعمارها ولا لإعمار حال الرعيّة ورعاية شؤونهم ومصالحهم بل لإعمار قصورهم هم وثرواتهم وممتلكاتهم الخاصّة، وكانت أيديهم ملطّخةً بدماء كُلّ مَن خالفهم سواءٌ أكان مسيحياً "كاثوليكياً" أم غير "كاثوليكي"، وسواءٌ أكان قسيساً أم غير ذلك، وسواءٌ أكان رجلاً أم إمرأةً، وبأقلام هؤلاء البابوات تمَّ التوقيعُ بالموافقة على إقامة محاكم التفتيش والقيام بعمليات إحراقٍ وإعدامٍ جماعيّةٍ وقتلٍ للعلماء والمفكّرين المعارضين** وقد "كان بابوات عصر النهضة غالباً شخصياتٍ فخمةً عالميّةً تتّقدُ حيويةً؛ فهم طيّبو المنبت، على ثقافةٍ عاليةٍ، ويُغدقون من كرمهم على رعاية الفنون والآداب، ويأخذون بنصيبٍ كاملٍ نشطٍ من عواطف عصرهم ومنافساته السياسية ومن شهواته الوضيعة أيضاً. كان لهم "أبناءُ إخوةٍ" و"بنات إخوة" جاؤوا من إتّصالاتهم غير

---

[1] من الآية (٥) من سورة الرعد.
[2] انجيل مرقص (١٠ : ٢٥).

الشرعية، وكان من أعزّ أمانيهم أن يوفروا لهم مناصب تتّفق ومكانهم، وكثيراً ما أذكوا نار الحروب وتعّرضوا لفضائحَ صارخة. وقام بلاطهم على الإتجارِ بالمناصب الكنَسيّة وجَمْعِ رجلِ الدين لعدة مناصب وعدم إقامته في مقّر عمله."[١]

وقد تسببت الخلافاتُ بين البابوات في فقدان الكثيرين من المسيحيين لإيمانهم بالكنيسة الرسمية؛ ومن ذلك الخلافات البابوية في حصن "أفينيون" والإنفصام الأعظم[٢] عندما حاول ثلاثة من البابوات إثبات أحقّيتهم في خلافة القديس "بطرس" في الوقت نفسه. ولم يتوقف البابوات عند هذا الحّد في التصارع فيما بينهم وهم أحياء بل إنهم حاكموا أسلافهم الموتى ونبشوا قبورهم؛ فقد "حدث في عام ٨٩٧ للميلاد أن قام البابا "إيتيان" السادس بإخراج جثمان سلفه، البابا "فورموز"، بعد دفنه بعدّة أشهر. وأُحضر الجثمانُ مسحوباً من قدميه أمام السينودس المنعقد بأمره. وبعد أن قام بإدانة المتوفى بصورةٍ طنّانةٍ، أمر بقطع ثلاثة أصابع من يده اليمنى، ثم أمر برمى جثمانه في نهر "التيبر". وقد تم انتشال جثمانه من النهر ودفنه سرّاً دون علم البابا!! وفي عام ٩٠٥م علم البابا الجديد "سرجيوس" الثالث بهذه الواقعة فأمر بإخراجه من مقبرته وإرتدائه الثياب البابوية وأجلسه على العرش وأُعيدت محاكمته. ثم قطعت رأسه وثلاثةُ أصابع أخرى، ثم أعيد إلقاؤه في النهر. وهذه المرة لم يهتم أحد بأنتشاله ودفنه!. وسببُ كل هذه المهانة الغريبة أنه تمت تعدّياتٌ كهونتيةٌ عند تعيينه، ولم يلتزم بالحرمان الذي كان البابا "يوحنا" الثامن قد نطق به، ولم يلتزم بالقسم الذي أدّاه في مدينة طرواده عام ٨٧٨م بألاّ يحتال على الوظائف أو المهام الكهونتية!!"[٣]

رابعاً: إبتداع الكنيسة لنظام "محاكم التفتيش" الخاصّة بمحاربة الهرطقة[*]

ليس هناك إنسانٌ قرأ التاريخ الأوروبي إلاّ وقد وقف على الإضطهاد والتعذيبِ والمعاناة التي كانت محاكم التفتيش هذه تُنزله بمَن يحوّلُ إليها للمحاكمة، بغضّ النظر عن إسمه ومركزه ومذهبه الديني أو الفكري فصدقت فيها العبارة القائلة (الداخل عندنا مفقود، والخارج من عندنا مولود)؛ وذلك لما لازمَ سمعة هذه المحاكم من القهر والظلم والإستبداد ونسيان كل مفردات وتراكيب الرحمة ... ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه بقوّةٍ هو: هل غاب عن عقول الأساقفة والرهبان القائمين على هذه المحاكم وصايا المسيح، عليه السلام، بالرحمة والمحبة والتسامح مع الآخرين وأن (الله

---

(1) هربرت فيشر،[م. س]، ص ١٧١.

(2) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب كارين آمسترونج، معارك في سبيل الإله ، ص ١١٠، ترجمة د. فاطمة نصر ود. محمد عناني مطابع لوتس، ط١، ٢٠٠٠.

(3) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب إنريكو ريبوني [م. س] الصفحات ٧١ فما فوق.

(*) سبق التعريف بها.

محبة) كما يقولون؟؟؟ هل يُعقل ذلك؟؟ الجواب هو قطعاً لا. لم يغب عن عقولهم رحمة المسيح ومحبتّه وتسامحه ولكنّهم كانوا يستندون في بطشهم وتعذيبهم هذا لنصوصٍ من الكتاب المُقَدّس هي الأخرى كانت صريحةً وواضحةً في الحثّ على الإحراق والتعذيب وإضطهاد كلِّ مُخَالفٍ، لا بل إنهم قد ذهبوا إلى أبعد مِن ذلك فجعلوا الإضطهاد نتيجةً طبيعيّةً لعقيدة الخلاص؛ "لأن الإيمان متى إشتدَّ، إرتفع فوق كلّ إحتمالٍ للجدل، وإعتقد أهلهُ أنَّ كلّ مَن يخالفهم في الرأي، مصيره جحيمٌ يصلى فيه شقاءً أبدياً! لأن الإيمان متى كان متزمّتاً متعسّفاً أغرى أصحابه بإضطهاد كل مَن لايدين بدينهم ويساير نزعاتهم، لايحدُّ من غلوّهم في الإضطهاد، إلاّ حاجتهم إلى السلطة"[١]

أما عن مستندات وشواهد الكتاب المُقدَّس التي كانت تؤيّدُ إحراقَ المخالفين أو (الهراطقة) وتعذيبهم فهي ما يلي:

أولاً: ".... فلا تستجبْ له ولا تُصغِ إليه ولا يُشفقْ قلبُكَ عليه ولا تترأف به ولا تتستّر عليه، بل حتماً تقْتلُه، كُنْ أنت أول قاتليه ثم يعقبكَ بقيّة الشعب، آرجُمْه بالحجارة حتىّ يموت".[٢]

ثانياً: "إن كان أحدٌ لا يثبُتُ فيّ، يُطرحُ خارجاً كالغصن فيجفُ، ثم تُجمعُ الأغصانُ الجافةُ وتُطرحُ في النار فتحترق"[٣]

ثالثاً: "صاغ القديس "أوغسطين" مبدأ الإضطهاد لهداية الأجيال التالية، وأقامهُ على أساسٍ من الكتاب المقدَّس، فإستند إلى كلماتٍ فاهَ بها المسيحُ في مَثَلٍ من أمثاله التي كان يسوقها لحوارييه إذ قال ما معناه: (أجبروهم على إعتناق دينكم) .... وتمشّياً مع هذا المنطق، سلّم "أوغسطين" بمعاقبة المُلحِد بالنفي والجلد وفرض الغرامات، ووضع للكنيسة دستوراً تلتزمه إزاء كل حركة إلحادية، فمضت الكنيسة بعد هذا جاهدةً في تحقيق هذا الدستور ....!"[٤]

لقد كانت محاكم التفتيش تستند إلى الشواهد السابقة في تعذيبها للمخالفين والهراطقة إضافة لإستنادها لمؤلفات (القديس توما ألاكويني) الذي يُعَدُّ من أعظم فلاسفة الكاثوليكة منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر وهو صاحب كتاب (مجمل اللاهوت) والذي يُصنَّفُ بأنه المرجع الأساسي في المنهج الكاثوليكي الحاضر... ومن أهم ما يتناوله القديس "توما" في كتابه هذا (مجمل اللاهوت) ضرورة قتل الهراطقة إذ يقول: "فيما يتعلق بالهراطقة، هناك شيئان يجب أخذهما في الإعتبار: واحدة تقع

---

[1] د. توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في الإسلام والمسيحية ص ٦٢، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٤٧.
[2] سفر التثنية، ١٣: (٨ – ١٠).
[3] انجيل يوحنا، (١٥: ٦)
[4] د. توفيق الطويل، [م. س]، ص ٥٩.

على الهراطقة، والأخرى تقع على الكنيسة؛ ما يقع عليهم هو الإثم والخطأ الذي بمقتضاه لا يستحقون أن يفُصَلوا من الكنيسة فحسب، ولكن أن يُستأصلوا من الدنيا بالموت. في الواقع، إنّ محاولة إفساد العقيدة التي تؤدي إلى حياة الروح، لأكبرُ ذنباً من تزييف النقود التي لا تفيد إلاَّ الحياة الدنيا. وبالتالي، إذا ما كان المزيّفون أو المجرمون يُعاقَبون فوراً بالموت عن إستحقاقٍ وبفضل العدالة، فمن البديهي أن يتمّ معاملة الهراطقة، ما أن تثبت عليهم التّهمَةُ، لا بإستبعادهم عن الكنيسة فحسب وإنما بقتلهم بكل الحق" ... و"أما إذا عاد الشخص مرّةً أُخرى إلى الهرطقة، فذلك يوضِّحُ زعزعة إيمانه. لذلك إذا ما رجع عنها ثانية فيؤخذ للعقاب مع عدم إستبعاد عقوبة الموت".(١)

وبالعودة إلى الحديث عن محاكم التفتيشس وممارساتها أقول: إنَّ مهمة إكتشاف وتعقُّبِ (الهراطقة) كانت منوطةً بالأساقفة. ولما أثقلت كواهلهم، وذلك بسبب كثرة عدد الهراطقة وصعوبة ملاحقتهم دوماً، فقد إتّخذ البابا(*) عام (١٢٣١م) قراراً بإنشاء مؤسّسةٍ مُستقلّةٍ تتفرغ لإقتلاع وقتل الهراطقة والسَّحَرة فتمَّ إنشاءُ محاكم التفتيش، التي يذكر صاحب (الصفحة السوداء للكنيسة) أنها أبادت أكثر من مليون هرطيق خلال عملها.(٢)

أما الآليّةُ التي تتم وفقها المحاكمات فهي التالية: "يُؤتى في البداية بالمتَّهم بالهرطقة، ويكون الجلادون قد إرتدوا قمصاناً سوداء، وغطاءً للرأس به فتحتان للعينين وفتحة للأنف وأخرى للفم، ويُمسِكون المتّهم وينزعون عنه ثيابه حتى الخصر، ويضعونه أمام لجنةِ المحكمة التي تتوسَّلُ للمتّهم أن يعترف بأخطائه. فإذا ما إستمَّر في إنكارها، أمرت المحكمة الجلادين بتعذيبه بعد أن تحذره اللجنة بأنه في حالة ما إذا تمَّ كسرُ إحدى عظامه أو أصابَه أيُّ تمزقٍ أو مات فإنَّ المسؤولية تقع عليه وحده لأنَّ ما أصابه من تعذيبٍ لم يكن إلا نتيجة عناده وتشبّثه برأيه"(٣)

ومما يجدر ذكره في هذا الموضوع أن البابا (إينوسنت الرابع) قد أقرَّ مبدأ التعذيب للحصول على إعتراف المتّهمين والجناة والهراطقة، فكان من السهل جداً للمحكمة أن تنطق بأحكامها بناءً على إعترافاتٍ تمَّ الحصول عليها بالتعذيب، تماماً كما يحدث في أيامنا المعاصرة، والفضل في ذلك بالطبع يعود إلى هذا البابا (إينوسنت الرابع) الذي يعني إسمه بالعربية البريء!!! وحتى يشعر كلُّ مَن يقرأ هذه الكلمات بمدى الغيظ الذي كان يختلجُ صدور الناس في أوروبا من ممارسات الكنيسة

---

(1) انريكو ريبوني، [م. س]، ص ٨٠ – ٨١ نقلاً عن (مجمل اللاهوت) للقديس توما الاكويني ج٢ المسألة ١١، الهرطقة/ البندان ٣+٤.
(*) هو البابا جريجوري التاسع.
(2) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب إنريكو ريبوني [م. س] ص ٨٠ فما فوق.
(3) المرجع السابق نفسه ص ٨٩.

ومحاكم التفتيش هذه فإنني أذكرُ أنواعاً أخرى من الأحكام التي كانت محاكم التفتيش تُصدرها وهي أحكامُ إدانةٍ تختلف عن الموت ومنها:[١]

١. **إرتداء علامة الصليب:** ويعني ذلك أنَّ الجانى عليه أن يرتدى زي "السان بنيتو" وهو رداءٌ حِيكتْ عليه علامة صليب كبرى بالنسيج، لمدى الحياة أو لعدة سنوات. ولم يكن بإستطاعة المحكوم عليه خلع هذا الزي إلاّ في بيته عند النوم فقط.
٢. **السجن:** وكان عادةً ما يُحكمُ به مدى الحياة. وهذه "الحياة" كانت قصيرة جدا نظراً لظروف السجون آنذاك ولم تكن تتعدى بضعة أسابيع. فكثيراً ما كان السجناء يموتون أثناء المحاكمة من جرّاء التعذيب.
٣. **الحج:** كان يُجبَرُ "الجاني" على القيام برحلة إلى الأماكن المقدسة سيراً. وفي تلك الأيام كانت مثل هذه الأحكام توازي الحكم بالموت، فلم يحدث أن عاد أحدهم من إحدى هذه الرحلات.

وفي ختام الحديث عن محاكم التفتيش ألفتُ النظر إلى أنَّ هذه المحاكم في نهاية محاكماتها لم تكن تنطق بحكم الموت بحقِّ الجناة والمتّهمين والهراطقة، مع قدرتها على ذلك، بل كانت تأخذ المتهم وأدلة إدانته وإعترافاته (المأخوذة تحت التعذيب طبعاً) وتقدّمها إلى المسؤول مِن قِبَلِ السلطات المدنيّة لينطق هذا المسؤول المدنيُّ بحكم الموت، لتقول الكنيسة فيما بعدُ: إنها لم تقتل أحداً ولم تحرق أحداً ولم تعذب أحداً؟!!!!.

خامساً: فرض الكنيسة للكتاب المقدَّس باللغةِ اللاتينية وإحتكارها لفهمه وتفسير نصوصه وفرضها من خلال ذلك لعقائدَ وتشريعاتٍ لم توجد فيه أصلاً:

لعلَّ هذا العامل الخامس من عوامل الإصلاح يشتمل على مجموعةٍ من الأسباب والعوامل الفرعية التي تكاتفت هي الأخرى لتعبِّرَ عن الضغط الديني والذهني والنفسي الذي كانت الكنيسة الكاثوليكية في "روما" تسببه للناس آنذاك؛ فقد كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية "للإكليروس"[*] الروماني، و"كان الكتاب المقدس قبل حركة الإصلاح متكوباً باللغة اللاتينية والتي تسمى "الفولجاتا"[٢] وكان عامة الشعب لا يعرفون اللاتينية، وبالتالي لا يفهمون الكتاب المقدس"[٣]

---

(1) للتوسع في هذا الموضع راجع ما كتبه ول ديورانت في (قصة الحضارة) وما كتبه هربرت فيشر في (أصول التاريخ الأوروبي الحديث) وما كتبه محمد حسونة ومحمد رفعت في (معالم تاريخ العصور الوسطى) إضافة لما كتبه انريكور يبوني في (الصفحة السوداء للكنيسة) عند الحديث عن محاكم التفتيش.

(*) طبقة كبار رجال الدّين.

(2) الفولجاتا: كلمة لاتينيّة تعني (الدارجة).

(3) د. صموئيل رزقي، تجديد الفكر الديني في المسيحية، ص ١١٤، دار الثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٣.

ولعلّه من السهل لكل قارئ لكلماتي هذه أن يتصوَّر منظر الناس في الكنيسة وهم يصلُّون بلغةٍ لا يفهمونها ويردّدون تراتيل الكنيسة بلغة لا يفهمونها!! ومن هنا جاءت الحاجة إلى ترجمة الكتاب المقدس باللغات الأوروبية المحليّة حتى يفهم الناس كتابهم المقدس ويُقيموا صلاةً يفهمون معناها ويحيون شعائر يفهمون مضامينها. ولكنَّ الكنيسة وقفت لتلك المحاولات بالمرصاد ومنعتها فقتلتْ من إستطاعت الوصول إليه مِمّن قاموا بالترجمة وحكمت عليه بالهرطقة وحاربت مَن لم تستطع الوصول إليه وشوَّهت سمعته ومنعت بل حرّمت قراءة ترجمة الكتاب المقدس التي وضعها. وتفصيل ذلك ما يلي:

أ. في عام ١٣٩٠م بدأ أحد قساوسة مدينة "براج" بإلقاء مواعظه الكنيسية باللغة "التشيكية" بدلاً من اللغة اللاتينية. إعتبرت الكنيسة هذه البدعةَ هرطقةً لا تُغتفر!!! وتمّ إتّهام القس "يان هس" (جون هس) بالهرطقة. فهرب من مدينة براج. وعند إنعقاد مجمع "كونستانس"، قام الملك بمنح "هَسّ" تصريحا بالسفر ليدافع عن نفسه ويشرح وجهة نظره للمجمع. لكنَّ هذا "التصريح بالمرور سالما" لم يكن إلا فخّاً منصوباً له. فما أن وصل إلى مدينة إنعقاد المجمع حتى تمّ القبض عليه وسجن في "نوفمبر" ١٤١٤م. وتبعت هذه الواقعة محاكمةٌ من محاكم التفتيش الشهيرة والتي إنتهت بإدانة "يان هَسّ" لإصراره على عدم التخلّي عن رأيه. وتَّم حرقه حيّاً في السادس من شهر يوليو عام ١٤١٥"[١]

ب. "في عام ١٥٣٧م قامت الكنيسة بإخضاع (وليم تنديل) لمحكمة التفتيش التي حكمت عليه بالهرطقة ومن ثم الموت حرقاً، لأنّهُ قام بترجمة العهد الجديد إلى اللغة الإنجليزية الدارجة آنذاك"[٢].... ولكنه، قبلَ قتلهِ حرقاً، كان قد إستطاع القيام بتهريب عددٍ من نسخ ترجمته هذه إلى إنجلترا.

ج. في عام ١٥٤٥م أصدر مجمع "ترنت" قراراتٍ كان من ضمنها منع قراءة ترجمة الكتاب المقَّدس التي وضعها "مارتن لوثر" "لِما كان قد ظهر من الإختبار أنه إذا سُمِحَ لكلّ إنسانٍ بدون تمييزٍ قراءة الكتاب المقدّس المترجم إلى لغة الشعب. فإنّ تهوَّر البشر الناجم عن قراءته يسبب شراً أكثر من الخير، لذلك وجب الحصول على إذن خاصٍ للسماح بقراءة الكتاب المقدس المترجم إلى لغة الشعب"[٣].

---

(1) إنريكو ريبوني، [م. س]، ص ٨٧، ٨٨.
(2) هربرت فيشر، [م. س]، ص ٩٧، ٩٨ بتصرف.
(3) د. صموئيل حبيب، المسيح ثائراً ص ١٢٤، دار الثقافة، مصر، ط١، ١٩٩٥.

يُستفاد من كل ما سبق أنّ الناس كانوا يصلّون بلغةٍ لا يفهمونها، ويرتّلون في الكنيسة ترانيم لا يفهمونها، ولا يقرأون كتابهم المقدس وذلك لأنه مكتوب بلغةٍ لا يفهمونها، حيث كانت قِلّةٌ قليلةٌ من فئات المجتمع الراقية والمتعلّمة ورجال الدين هي فقط التي تعرف اللاتينية؛ وأنّ الناس لمّا حاولوا أن يتّجهوا لفهم دينهم وترجمة كتابهم المقدّس وقفت الكنيسة في وجوههم ومنعتهم من ذلك!!! ولكنْ هل إكتفت الكنيسة بممارسة هذا النوع من التجهيل الديني المقصود؟ الجواب لا، ولكنها تجاوزته إلى ما هو أبعد من ذلك حيث فرضت على أتباعها عقائد وشعائر لم تردْ في الكتاب المقدس قَطُّ، وليس هناك ما يدعمها من نصوصه لا من قريبٍ ولا من بعيد، وهذه العقائد والشعائر كلُّها بلا إستثناءٍ تتعارض مع العقل والفهم السليم تعارضاً واضحاً، وتُصادِمُ أدنى أبجديات التديُّن الصحيح. وقد كانت هذه العقائد نقطةً إنطلقَ منها الرهبان المطالبون بالإصلاح الديني وكانت هي عينها المآخذَ التي أخذها فلاسفةُ عصر التنوير والنهضة الأوروبية على الكنيسة والذين أدى الأمر بمعظمهم إلى الإلحاد (حسب التصور الكاثوليكي له) وبالتالي مطالبتهم بتحييد الدِّين عن حياة الناس وحصره داخل أسوار الكنائس فقط، **ومن أبرز هذه العقائد والشعائر هي التالية:**

١. عصمة البابا وتقديسه وإمتلاكه القدرة على محو الذنوب وغفرانها.
٢. إحتكار الكنيسة لفهم وتفسير نصوص الكتاب المقدس.
٣. وجوب الصلاة باللغة اللاتينية فقط.
٤. أخذ الأحكام والعقائد والعبادات والشرائع من الكتاب المقدس ومن قرارات المجامع وآراء البابوات وقراراتهم وإعلاناتهم والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحداً عن الآخر.
٥. تحريم الزواج على الكهنة والرهبان ورجال الدين.
٦. إباحة وضع صور وتماثيل القدّيسين ومريم العذراء، عليها السلام، في الكنائس وأماكن العبادة، وجواز التوجه لها بالصلاة والدعاء.
٧. إنّ إمتزاج لحم المسيح ودمه بلحم ودم مَن يحضرون الإحتفال بالعشاء الرباني (التناول) هو إمتزاج حقيقي وليس رمزياً.
٨. إعفاء رجال الدين من دفع الضرائب ومن التشريع الجنائي الذي يخضعُ له العامة وإخضاع العامّة لتشريع الكنيسة الجنائي.

سادساً: العاملان السياسي والقومي، ودورهما في حركة الإصلاح الديني:

أمّا عن العامل السياسي فقد تمثّل في تدخّلات البابوات المستمرة في شؤون الحكام والملوك والقياصرة ومحاولاتهم المستمرة لإخضاعهم وإذلالهم وتذكيرهم على الدوام بأنهم إنما يستمدّون شرعية حكمهم وعروشهم من "البابا" والكنيسة، وأنّ أيّة محاولة للخروج عن هذا النص فإنها ستكلّف هذا الحاكم عقوبة الحرمان؛ وهو "نوع من العقوبة أخذهُ المسيحيون عن قدماء الوثنيين، وفي العهد الذي كان للبابا الحق تتويج الأباطرة، كان الحرمان يسلبهم تيجانهم وعروشهم، وقد حرم البابا "بيوس" الخامس ملكة الإنجليز "اليصابات" عام ١٥٧٠ وأباح لرعاياها عصيانها، وحرّم البابا "بيوس" التاسع في النصف الأخير من القرن الغابر ملك إيطاليا "فيكتور عمانويل" لاستيلائه على أملاك الكرسي الرسوليّ. أما حرمان غير الملوك والاباطرة فكان على نوعين، حرمان المحروم من بعض المزايا الكنيسية ــ متى كان جرُمهُ بسيطا، فإن كان الجرمُ كبيراً، طُرد المحروم من عضوية الكنيسة ــ إن كان عضواً بها، وحرم من معاشرة المسيحيين، ودُفِنَ على غير الشعائر المسيحية، وقد أيَّدت القوانينُ المدنيّةُ عقوبة الحرمان الكنسي، فسلبت المحروم حقوقه المدنية في وظائف الدولة وصادرت أملاكه، وحرمته من الرُّتب ونحوها. وقد يصدرُ البابا قرار الحرمان ضد أمّةٍ كاملة، وعندئذٌ تغْلَقُ كنائسها ويمنعُ الزواج بين أهلها، ولا تُباركُ الكنيسة دفنَ موتاها ..." [١]

يُستفادُ ممّا سبق أنّ علاقة الحكام المدنيين السياسيين بالكنيسة لم تكن على الدوام علاقة ودٍ ومحبةٍ وولاء إنما كانت بالدرجة الأولى علاقة خضوع تربط المحكوم بالحاكم والمقهور بالقاهر. ومن هنا نستطيع أن نفهم ونفسّر أسباب دعم بعض الحكام والقياصرة للثورات التي كانت تقوم ضد الكنيسة بين الحين الآخر ولا أدلَّ على ذلك من حماية أمير "سكسونيا" "فريدريك الحكيم" "لمارتن لوثر" بعد أن صدر بحق لوثر قرار الحرمان الكنسي. كيف لا وقد منح البابوات أنفسهم صلاحياتٍ مطلقةً وإدّعوا لأنفسهم الأحقية في حُكم العالم وجعلوا من ذواتهم مصادر التشريع والسلطة والسيادة؟؟؟ ويشهد على ذلك، ما أعلنه البابا "غريغوري" السابع: "إن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمدُّ هي ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ، وإنّ البابا له مركز فذ في العالم، فهو الذي يولّي الأساقفة، ويخلعهم وله الحق في خلع الأباطرة لأنه سيِّدُهم الذي لا يُسألُ عما يفعل وهم يُسألون"[٢]

---

[1] د. توفيق الطويل، [م. س]، ص ٨١.
[2] محمد حسونة ومحمد رفعت ، [م. س]، ص ١٣٧.

كما يشهد على ذلك بيان البابا "نيكولاس الأول" ".... "إنَّ البابا ممثّلُ الله على ظهر الأرض، يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين"[١]

وأما عن العامل القومي فقد تمثل في إشتداد النّزعة القوميّة التي بدأت تسود القارة الأوروبية آنذاك حيث كان الحكام والشعوب، على حدٍّ سواءٍ، يرغبون في الإنفصال عن الإمبراطورية الرومانية والإستقلال بسيادتهم الذاتية على بلدانهم بعيداً عن الخضوع لسلطان الكنيسة.

ويرى المؤرخ "هربرت فيشر" أن الإصلاح الديني "قد تجاوب مع مدّ القوميّة الصاعدة وأسرع خطاه تحوّلُ البابوية إلى دولة إيطالية. وكانت قد سبقته ثم تمشّت معه حركةٌ قويةٌ من التحرر الفكري، بحيث أنّ آلاف الجداول الصغيرة المنفصلة من الشك والنقد والاحتجاج ــ وهي الجداول التي كانت تتجمّع طيلة جيل من الزمان ــ قد إلتقت أخيراً في نهرٍ صاخبٍ من الثورة. هنا طرح الفكر العام أوضاع الماضي وتهاوت القيود القديمة التي كانت تكّبل الفكر وتحصيل المعرفة"[٢]

ويدعم صحة كلامي عن نمو العامل القومي في أوروبا آنذاك ما نقله ول ديورانت على لسان "مارتن لوثر" حين وصف كنيسة "روما" آنذاك بأنها (سلطة أجنبية) فقال: "**لماذا يتحتّم على الكنيسة الألمانية أن تدفع هذه الجزية الدائمة إلى سُلطةٍ أجنبّية؟ فليتخلص رجال الدين الألمان من تبعتهم لروما ولينشئوا كنيسةً قوميةً تحت زعامة كبيرة أساقفه ماينز**"[٣]

وملخَّصُ الحكاية أنّ "الإمبراطور ماكسمليان" كان قد دعا المجلس النيابي الإمبراطوري إلى الاجتماع في "أوجسبورج" للنظر في طلب البابا "ليو" العاشر فرض ضريبة على ألمانيا للمعاونة في تمويل حملةٍ صليبيةٍ جديدةٍ ضد الأتراك، "وأوضح المجلس النيابي للقاصد الرسولي (مندوب البابا) أن المانيا كثيراً ما فرضت على نفسها الضرائب للحملات الصّليبيّة فوجدت أنّ الأموال تُنفقُ في أغراض البابا الأخرى وأن الناس يعارضون بشدة أيَّ تنازلٍ آخر عن المال لإيطاليا وأنّ المبالغ السنوية التي تدفع للبابا عن ريع أول عام ورسوم التثبيت الديني ونفقات القضايا الكنسية المُحالة إلى روما كانت عبئاً ثقيلاً لا يطاق، وأن التبرّعات الألمانية كانت تُعطى مثل ثمار البرقوق إلى القساوسة

---

(1) للتوسع في قراءة هذا القرار وتفاصيله راجع كتاب ول ديورانت [م. س]، ص ٣٥٢.

(2) هربرت فيشر، [م. س]، ص ٩٥.

(3) ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٣، ص ٢٩.

الايطاليين"[١]. وقد ساهمت كل هذه الردود في إثارة حنق البابا وحفيظته على ألمانيا وحُكّامها و"مارتن لوثر".

ومما يجدر ذكره في ختام حديثي عن العاملين السياسي والقومي كإثنين من العوامل الدافعة للقيام بالإصلاح الديني أنَّ أموال الكنيسة وممتلكاتها التي صُودرت بعد إعلان الثورات على الكنيسة في بعض البلدان الأوروبية قد وُضِعتْ تحت وصاية الحُكّام والأمراء وأصبحت جزءً من ثرواتهم وممتلكاتهم مما يعطينا إنطباعاً بأنَّ دعم الحكّام والأمراء لبعض الثورات كان فيه إعتباراتٌ خاصةٌ تراعي مصالحهم وتعود عليهم بالنفع وأنها في الوقت ذاته كانت بمثابة ردّ الصاع صاعين للكنيسة على ما سلف من إذلالها لهم وتحكّمها في رقابهم...

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ٢٩.

المبحث الثاني

"مارتن لوثر"

إنّ الكتابة عن حياة "مارتن لوثر" وأعماله وأفكاره ومعتقداته تضعُ صاحبها أمام حيرةٍ كبيرةٍ؛ وذلك بسبب الإختلافات العظيمة والإنقسامات الفكرية العَقَديّة التي أثارتها شخصية ومعتقدات هذا الرجل؛ فالذين كتبوا عنه من الكاثوليك، في معظمهم، قد أشبعوه ذمّاً ونقْداً حتى أخرجوه من ربقة المسيحيّة، تماماً كما فعلت كنيسةُ "روما" قبل ما يزيد على الأربعة قرون .... وأمَّا الذين كتبوا عن حياته من البروتستانت فقد أشبعوه مدحاً وإطراءً فكان في نظرهم العبقريَّ والمبدعَ والملهَمَ والمجدِّدَ. ولعلَّ هذا التباين الشديد في الحكم على شحضه وأعماله يرجعُ إلى أمرين رئيسين هما موقفه من الكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها البابا. ثمّ موقفه من اليهود والعهد القديم، ومناداته بوجوب العمل به. وقد كان لوثر مِن أوائل، إن لم يكن الأوّل، مَن نادى بفكرة (أرض الميعاد) و(شعب الله المختار) من غير اليهود ولعلَّ كتابه (المسيح وُلِدَ يهودياً) خيرُ شاهدٍ على صحّة هذا الكلام. ولكنه عاد في أواخر أيام حياته عن معتقداته تلك وكتب كتاباً آخر يناقض تماماً ما ذهب إليه في كتابه الأوّل حول اليهود، حيث حمل الكتاب الثاني عنوان (أكاذيب اليهود). ولكنَّ هذا الكتاب لم يأخذ شهرة كتابه الأوّل ولم يصل إلى مكانته؛ حيث أنّ كتابه الأول (المسيح ولد يهودياً) حافظ على حرارته وقوة تأثيره على مدى القرون الماضية حتّى باتَ في يومنا هذا المستَنَد الأوّل والركيزة الأساسية التي ينطلق منها المحافظون الجُدُدُ في الولايات المتحدة الأمريكية في رسم معتقداتهم وسياساتهم، وسآتي على تفصيل القول في هذين الكتابين وأثرهما في مباحث قادمة، إن شاء الله تعالى.

من المهم في موضوع "مارتن لوثر" الكتابة عن سيرته الذاتية ولكنّ الأهّم الكتابة عن معتقداته ومؤلفاته التي غيَّرتْ وجه التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى؛ حيث ساهمت في جعل كلمة اليهود هي العليا وكلمة النصارى هي السُفلى في بلادهم، وساهمت في إخراج اليهود من "الشتات اليهودي" و"الإضطهاد المسيحي" إلى "شعب الله المختار صاحب الأرض الموعودة"... ولم يقتصر أثر معتقداته وأفكاره على شخصه لا بل حمل الذين جاؤوا مِن بعده مِن سادات ورؤساء الطوائف والكنائس "البروتستانتية" هذه المعتقدات إلى يومنا هذا.

ولد "مارتن هانس لوثر" في "إيسليبين" بالمأنيا في العاشر من شهر "نوفبمر" عام ١٤٨٣ لأبوين ألمانيين هما هانس (هانز) وماغريتا (جريتا) وأنجبا بعده ستة أطفال[١]. "وفي السنة التالية إنتقلت عائلته إلى "مانسفلد" حيث نشأ وترعرع. قد قضى "لوثر" طفولةً قاسيةً تركت فيه ذكريات سيئةً.... تردَّد باكراً جدّاً إلى المدرسة "اللاتينيّة التي كانت في ماشفِلد، لأنَّ اللغة الألمانيّة كانت لغة الناس الذين لم يتلقُّوا تربيةً حسنةً، وكانت المدارس تعاقب التلميذ الذي يُضْبَط متكلّماً الألمانيّة".[٢]

وفي تلك المدرسة كان الطلبة يتلقون مزيداً من العُصِيْ وكثيراً من الوعظ وجُلِدِ فيها "مارتن" خمسَ عشرةَ مرةً في يومٍ واحدٍ لأنه أخطأ في إعراب إسم!!. وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره إنتقل إلى مدرسة ثانوية تديرها جمعية دينية في "ماجديبرج". وفي سن الرابعة عشرة حُوِّلَ إلى مدرسة "سانت جورج" في "أيزيناخ"، وأمضى فيها ثلاث سنوات. وأرسله والده عام ١٥٠١م إلى الجامعة في "أرفورت"، وكان برنامج الدرس فيها يركّز على "اللاهوت" والفلسفة، ولعل لوثر أثناء دراسته فيها قد فطن إلى رأى الفليسوف "أوكهام" الذي يذهب إلى أن البابوات والمجالس الدينية يمكن أن تخطئ، وكان من رأي "لوثر" أنَّ فلسفة الكلام في أية صورة من صورها غير مستحّبةٍ حتى أنه نصح صديقاً له "ألاّ يتعلم الرَّوثَ الذي يُقدَّمُ بإعتباره فلسفة"[٣].

وكان في "أرفورت" بعض علماء الإنسانيات المعتدلين، وتأثر بهم قليلاً ولكنهم لم يهتموا به عندما وجدوه يحتفل بالعالم الآخر... تعلّم قليلاً من اليونانية والنزر اليسير من العبرية ولكنه قرأ أمهّات الكتب الكلاسية "باللاتينية"، وحصل عام ١٥٠٥م على درجة الماجستير في الآداب، فأرسل له أبوه المزهو به نسخةً غاليةً من مجموعة قوانين البلد هديةً بمناسبة تخرُّجه. وإعتبط عندما بدأ إبنه في دراسة القانون. **وفجأةً بعد شهرين من هذه الدراسة قرر الشاب أن يصبح راهباً**، الأمر الذي أفزع والده، وقد وصفَ ول ديورانت قرارة هذا بأنّه "يعبِّرُ عن التناقض في خلقه"[٤] بينما إلتمس "دانيال أوليفييه" له العُذر بقوله: "إنّ صاعقةً شديدةً ضربت عند قدميه سببتْ له خوفاً شديداً لدرجة أنّه نذر حينها أن يكون راهباً ... وإنّهُ ترهَّب ليستميل حظوة الله وليجد الآطمئنان من الدينونة الإلهيّة"[٥]

---

[١] ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٤ ص ١٠.

[٢] راجع مقالة دانيال أوليفييه "لوثر والإصلاح في كتاب تاريخ الكنيسة المفصل ترجمة صبحي حموي اليسوعي، ج٣، ص ٢٥، دار المشرق، ط١، ٢٠٠٣.

[٣] ول ديورانت، [م. س] ص ١٠، ١١ بتصرف واختصار.

[٤] المرجع السابق نفسه، ص ١١.

[٥] راجع مقالة دانيال أوليفييه المدرس بمعهد الدراسات المسكونيّة العالي بباريس "لوثر والإصلاح" في كتاب "تاريخ الكنيسة المفصّل"، [م. س] ، ج ٣، ص ٢٥.

أمّا عن معيشته في الدير الذي ذهَب ليكون راهباً مبتدئاً فيه فقد كانت معيشةً بسيطةً متواضعةً؛ فكان يكنس الدير ويقوم بتنظيفه ويُكثرُ من تلاوة الصلوات مراراً وتكراراً في ذلك الدير "دير الرهبان الأوغسطينيين" وينقلُ عنه ول ديورانت وصفه لحاله في الدير: [كنت راهباً ورعاً أراعى أحكام الطائفة التي أنتمى إليها بشدة إلى حَدّ أنه ... إذ قُدّر لراهب أن يدخل الجنة عن طريق الرهبنة فإنى أدخلها لا محالة ... ولو أن هذا الأمر طال أكثر من هذا لكنتُ عذّبتُ نفسى حتى الموت بالسهر والصلاة والقراءة وغيرها من الأعمال]. (١)

وقد بدأ التكوين الديني الروحي لمارتن لوثر يتَّضِح في هذا الدير وهذه الحياة الجديدة، وحدث في أحد الأيام أن وقعت في يديه رسالةٌ بقلم (جون هس)(*) "فساورته شكوك عقائدية زادت من إضطرابه الروحي. وتساءل قائلاً: **[ترى لماذا أحْرِقَ رجلٌ إستطاع أن يكتب بمثل هذه الروح المسيحية وبهذه القوة؟ لقد أغلقتُ الكتابَ وأشحتُ بوجهى وقلبي جريح]** (٢) وقد أولى "جوهان فون ستاوبتز"، وهو قسيسٌ إقليميٌّ من الرهبان الأوغسطينيين، الراهب القِلِقَ، إهتماماً أبوياً، وأمره أن يستبدل بالتقشف قراءة الكتاب المقدّس وتعاليم القديس "أوغسطين" بكل عناية. وأعرب الرهبان عن جزعهم لما أصابه فأعطوه كتاباً مقدَّساً باللاتينية ــ وكان وقتذاك من المقتنيات النادرة ــ بالنسبة لأي فرد.

وفي أحد أيام عام ١٥٠٨م أو عام ١٥٠٩م إسترعت انتباهه عبارةٌ وردت في رسالة القدّيس بولس إلى الرومان (١: ١٧) **[إن الحق يحيا بالإيمان]** وقادته هذه الكلمات في بطءٍ إلى العقيدة التي **تذهب إلى أن الإنسان يمكن أن يكون بارّاً لا بالأعمال بل بالإيمان المطلق بالمسيح وبتكفيره عن خطايا البشر**. ووجد "لوثر" في تعاليم "أوغسطين" فكرةً أخرى لعلّها جدَّدَتْ من مخاوفه ــ تلك هي القدر ــ أي أنّ الله قدَّر حتى قبل الخليقة أن تحظى بعض الأوراح بالخلاص وأن يَزُجَّ بالباقي في جهنّم، وأن الإختيار تم بمشيئة الله أن يكون الخلاصُ بالتضحية بالمسيح. ومن هذا المجال الصريح فَرَّ مرة أخرى إلى أمله الأساسي في **الخلاص عن طريق الإيمان.**

"وفي عام ١٥١١م(*) إنتقل "مارتن لوثر" لمكانٍ آخر هو "دير أوغسطين" مدينة "فيتنبرغ" الملاصق لجامعة فيتنبرغ أو (وتنبرغ) وذلك بناءاً على توصية وأمرٍ من رئيس الدير. ورُقّيَ إلى درجة "دكتور" في اللاهوت في ١٩/أكتوبر/١٥١٢ وتخلّى له رئيسه عن كرسيّ تعليم الكتاب المقدّس

---

(1) ول ديورانت، [م. س]، ص ١٢.

(*) سبق الحديث عنه.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ١٣.

(*) يرى ول ديورانت أن ذلك كان في عام (١٥٠٨م) وليس عام (١٥١١م).

في الجامعة. وكان عمل "الدكتور" الجديد عبارة عن تفسير الكتاب المقدّس. فشرح مجموعة المزامير من ١٥١٣م إلى ١٥١٥م. وكانت هذه المجموعة تحتوي على جميع أمور التقوى والتعليم المسيحيّ، فمكّنت "لوثر" من القيام بجولةٍ أفقٍ واسعةٍ تشملُ جميع المشاكل التعليمية"[1].

وفي إلقاء الدروس الكتابيّة، كان يتبع نصّ الكتاب المقدّس فينتقل من موضوع إلى موضوع، لكنّه كان يعود دائماً إلى الموضوع نفسه، إلى الموضوع الذي يشغل بال زمنه، **أي مسألة الخلاص**. فكان حلقات دروسه تثبّت تماماً رأيه الشخصي، وهو أنّ الخلاص الموهوب للمسيحيّ هو **الخلاص بالإيمان لا بالأعمال**.

وفي تلك الجامعة الشهيرة أخذ لوثر يعبّر عن آرائه ومعتقداته بشكلٍ صريحٍ واضحٍ، وبقي يعيش في ديره هذا ويدّرسُ في جامعة (وتنبرغ) "حتى توفي في ١٨/فبراير/١٥٤٦ إثر إصابته بنوبة فالج أفقدته النطق ومن ثم الحياة"[2]

وقبل أن أخوض في تفاصيل معتقدات "لوثر" وآرائه أُذكّرُ بمسألةٍ هامّةٍ كان لها دوٌر بارزٌ في خلق الإنطباع السّيء الذي حمله "لوثر" عن كنيسة "روما" والبابا آنذاك. وملخَّصُ هذه المسألة أنّ الدير "الأوغسطيني" الذي كان مارتن لوثر يعيش فيه بعد أن ترهبن قد أرسلهُ في "أكتوبر" من عام ١٥١٠م مع زميل له من الرهبان، إلى روما في مَهَمَّةٍ غامضة للرهبان الأوغسطينيين، وكان أولَ رد فعل عنده لدى مشاهدته المدينة رهبةٌ مشوبةٌ بالورَع، فسجد ورفع يديه وهتف يقول: سلامٌ عليك يا "روما" المقدسة**!**".

وقد شاهد في "روما" صورةً غريبةً أدهشته وصدمته؛ لأنها كانت معاكسة تماماً للصورة التي كانت في ذهنه عن روما وكنيستها والبابا ورجال الإكليروس[*] وقد ظل سنواتٍ عديدةً بعد القيام بهذه الرحلة دون أن يقوم بتعليقٍ واضحٍ على تعلُّقِ رجال الدّين "الرومان" بالدنيا، أو على الآنحلال الخُلقي الذي كان شائعاً آنذاك في المدينة المقدّسة. ومهما يكن من أمرٍ فإنه بعد عشر سنوات من زيارته هذه **وصف روما"بأنها تدعو للمقت، وقال [إنَّ البابوات أسوأ من الأباطرة الوثنيين وإنَّ إثنتي عشرة فتاةً عاريةً كنَّ يقمن بخدمة رجال البلاط البابوي وقت العشاء]**.[3]

وقد بدأ التركيب الديني العقَدَيّ لمارتن لوثر بعد زيارته لروما يتخّذُ منحىً آخر غير الأول الذي كان يسيرُ فيه، حينها بدأت التراكمات والضغوطات النفسيّة من سوء ممارسات رجال الدين

---

[1] راجع مقالة دانيال أوليفييه (لوثر والإصلاح) في كتاب تاريخ الكنيسة المفصل،[م. س]، ج٣، ص ٢٨.
[2] ول ديورانت، [م. س]، ص ١٩٤.
[*] سبق بيانه.
[3] المرجع السابق، ص ١٤ ــ ١٥ بتصرف واختصار.

تزدادُ في صدره حتى جاء يوم الحادي والثلاثين من أكتوبر لعام (١٥١٧م) والذي أخرجَ "مارتن لوثر" لعالم الشهرة والنُّجوميّة الكنَسيّ حيث **أَلَّفَ منشوراً من خمسٍ وتسعين رسالةً أطلق عليها إسم (بحث في بيان قوّة صكوك الغفران)** وقام بتعليقه على الباب الرئيسي لكنيسة قصر "وتنبرغ"، وقد أحسَنَ لوثر بإختياره هذا المكان للإعلان عن بحثه هذا وذلك لكثرة حضور المدعوين للإحتفال بعيد "جميع القدّيسين" الذي وافق صبيحة يوم كتابته لهذا البحث ... وبأسلوبه الجذاب اللامع في الكتابة والتعبير كتب دعوةً فوق هذا المنشور (البحث) جاء فيها[١]: "بدافع من الحب للعقيدة والرغبة في تسليط الضوء عليها سوف تُناقَشُ الآراء التالية في "فيتنبرج" [يقصد الحديث عن صكوك الغفران] تحت رعاية الأبِ الموقر "مارتن لوثر"، أستاذ الآداب واللاهوت المقدّس والمحاضِرِ الثَّبتِ لنفس العلم في ذلك المكان. ولهذا يرجو من هؤلاء الذين لا يستطيعون الحضور والجدال شفوياً أن يفعلوا هذا بخطاب... وقام لوثر بترجمة هذه الرسالة إلى الألمانية ووزعها على الناس لكي يتأكد من أنها سوف تُفهمُ على أوسع نطاق وأرسلَ نسخةً من هذه الرسائل إلى "ألبرخت" كبير أساقفة "ماينز" بجرأةٍ لا نظير لها.

وقد كان صنيعُ "مارتن لوثر" هذا بمثابة إعلانٍ حربّيٍ على الكنيسة الكاثوليكية وكان بدايةً لسجالٍ طويلٍ ومدٍّ وجزرٍ ومحاولاتِ إحتواءٍ عديدةٍ باءت كلها بالفشل سواءٌ أكان مُقْشِولها المحيطين بالبابا من رجال "الأكليروس" أم الداعمين "للوثر" من الأمراء والحكّام الذين كانوا طامعين في الإستيلاء على ممتلكات الكنيسة في حال إعلان الثورة أو التمردّ عليها. وإنتهت هذه الحرب الكلامية المتبادلة بين "لوثر" والكنيسة بأنْ أصدر البابا "ليو العاشر" قراراً بحرمان[٢] لوثر وأتباعه وذلك في عام (١٥٢٠م) فما كان مِن "لوثر" إلاّ أن قام بجمع الناس وأحرق قرار البابا بحرمانه أمام أعينهم وذلك تحقيراً منه لقرار الحرمان أولاً وإنتقاماً لكتُبه التي أمرت الكنيسةُ بجمعها وإحراقها أمام أعين الناس ثانياً.

أما عن نَصّ هذا القرار "قرار الحرمان" المشهور بنص منشور "ورمس" فقد قدّمه الإمبراطور "شارل" الخامس في السادس من شهر أيار عام (١٥٢٠م) للمجلس النيابي وهو مبنيٌ على مسودّةٍ كتبها الراهب "ألياندر" جاء فيها "إن لوثر قد "دنَّس الزواج وإستخفَّ بالإعتراف .... ثم إنه يجعل القربان المقدّس يتوقَّفُ على إيمان مَن يتناوله. إنه وَثَنيٌ في إنكاره للإرادة الحُرّة. إنّ هذا الشيطان الذي يرتدى مسوح راهبٍ قد جمع الأخطاء القديمة في بركةٍ آسنةٍ مُنتنةٍ، بل وإبتدع

---

(1) المرجع السابق، ص ٩.
(2) سبق شرحه.

أخطاء جديدةً، إنّهُ ينُكرُ سلطة الرؤساء، ويشجّع العلمانيين على أن يغسلوا أيديهم من دم رجال الدين. وتعاليمه تدعو إلى العصيان والإنقسام والحرب والقتل والسرقة والحرق عمداً وإلى إنهيار العالم المسيحي وهو يحيا حياةً بهيميةً. لقد أحرق المراسيم البابوية، إنه يحتقر الحرمان من غفران الكنيسة والسيف على السَّواء ... لقد أمهلناه واحداً وعشرين يوماً من ١٥ أبريل ... وعند ما تنقضى هذه المهلة فليس لأحد أن يؤويه ولسوفَ يدُانُ أتباعه أيضاً. أما كتُبُه فيجب أن تُمحى من ذاكرة الإنسان".[١]

وبعد يومين من تقديم هذا المنشور وافق المجلس النيابي (الدايت) المجرد من السلطة على المنشور، وفي اليوم السادس والعشرين من أيار أصدره شارل رسمياً ... وأرى من المفيد الآن أن ألفت النظر إلى أثرين هاميّن لما سبق؛ أولاً: إنّ الناس قد إصطلحوا على تسمية لوثر وأتباعه بالمحتجيّن (The Protestants) وذلك بسبب إحتجاجهم على مضمون قرار مؤتمر ورمس. ثانياً: قام حاكم ساكسونيا (فريدرك الحكيم) بحماية لوثر من أن يُنَفَّذَ هذا القرار بحقه "ودَّبر له مخبأً بعيداً عن متناول أيديهم. وفي أراضي فردريك وبتعضيد منه إنصهرت أفكار المصلح الكبير المتأججة ومشاعره الملتهبة لتشكل القالب الذي إتّخذته الكنيسة اللوثرية"[٢]

حقاً لقد جاء لوثر بآراء ومعتقداتٍ غيّرت خارطة الإعتقاد المسيحي من عام (١٥١٧م) إلى يومنا هذا وهو لم يكتفِ بأن جاء بفهمٍ جديدٍ "للإنجيل" بل إنّه كذلك قد جاء بفهمٍ جديدٍ للمسيحيّة، وقد ساهم فهمه الجديد هذا، بل معتقده الجديد هذا، في إحداث ثورة إجتماعيةٍ أخرى لم يكن المستفيد منها هو النصارى هذه المرّة بل اليهود، اليهود الذين كانوا يعانون من أشدّ أنواع الإحتقار والتمييز العنصري والإضطهاد الدِّيني في تلك الأيَّام.

---

(1) ول ديورانت، [م. س]، ص ٤٤ بتصُّرف.
(2) هربرت فيشر، [م. س]، ص ١٠٣، بتصرف.

المبحث الثالث

أوضاع اليهود في أوروبا قبل مجيء البروتستانت

إنّ واحدةً من الحقائق التاريخية التي لم يُنكرها أحدٌ من المؤرخين هي أنَّ اليهود كانوا في أوروبا في العصور الوسطى في ظل إضطهادٍ دائمٍ ومعاناةٍ مستمرة ... وقد كان هذا الإضطهاد نتيجةً لمجموعةٍ من العوامل أبرزها إثنان:

الأول: هو تحميل الكنيسة لليهود المسؤولية التاريخية عن قتل المسيح، وأمّا العامل الثاني فهو العامل الإجتماعّي الإقتصادي المتمثّل في تعامل اليهود بالرّبا وبخلهم الشديد وسعيهم الدائم للتحكُّم الإقتصادّي بالمُجتمعات المسيحيّة التي يعيشون فيها...

أمّا عن تفصيل القول في العامل الأول فيتمثَّلُ في إعتقاد الكنيسة الكاثوليكية بأنّ اليهود مسؤولون عن صلب المسيح (ولكنَّ الغضبَ قد حلَّ عليهم إلى الغاية)[١] وقد نادى البابا "جريجوري" الأعظم [٢] بأنّ "اليهود لم يكونوا عمياناً عن رسالة السيِّد المسيح وأنّهم مسؤولون مسؤولية مباشرةً عن صلبه"[٣] فكانت نظرتهُ هذه هي البذور الأولى للعداء ضد اليهود. وقد إستخدمت الكنيسة قصة صلب المسيح عليه السلام الواردة في الأناجيل لإثارة كراهية اليهود في صدور المسيحيين مُنطلقةً من قصّة إتّهام اليهود للمسيح عليه السلام، "**بالتجديف**"[٤] ومن ثمّ محاولتهم لرجمه وقتله أكثر من مرّة، حتى إنتهى بهم الأمر، كما تذكر الأناجيل، لمحاكمته وإثبات تهمة التجديف بحقه ومن ثمّ صلبه بأمر القيصر "بيلاطس" وتنفيذ الشرطة الرومانية وبإشراف مباشر من "الحاخامات" الذين تجمّعوا للطمه وضربه والبصق في وجهه. وهذه القصّة ثابتة في أناجيل كل من (يوحنا ومتّى ومرقص ولوقا) ومختصرُ القصّة كما سأوردها لاحقاً من خلال نصوص الأناجيل كانت هي عينها التي إعتمد عليها المُخرج الأمريكي "ميل جبسون" عندما أخرج "فيلمه" الشهير (آلام المسيح)، حيث كان قد عرض نصَّ "الفيلم" و"سيناريوهاته" على "الفاتيكان" وحصل على موافقته ومباركته لذلك، فأقدم بعدَها على صناعة "الفيلم" وإخراجه كما تحكيه الأناجيل إلاّ أنّ "اللوبي" اليهودي في أمريكا، بعد عرض "الفيلم" للمرّة الأولى، إستطاع إجبار "ميل جبسون" على حذف

---

(1) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٢: ١٦، والمقصود من ذلك أن غضب الله حل عليهم إلى يوم الدينونة والحساب.

(2) كانت فترة رئاسته للكرسي البابوي ٥٩٠ ــ ٦٠٤م.

(3) الاستاذ ماجد كامل، معاداة الساميّة، دراسة منشورة على الأنترنت.

(4) التجديف هو الكفر بنعم الله. وكلمة التجديف واردة في العهدين القديم والجديد وهي ترجمة كلمة "بلاسفيم" Blaspheme الإنكليزية وهذه من أصل لاتيني يوناني ومعناها التكلم بسوء، ثم صار من أخصّ معانيها التكلم بسوء عن الله تعالى أو أي شي مقدس. وجاء في "قاموس الكتاب المقدس (طبع بيروت ١٩٦٤)" تجديف: شتيمة ونميمة. ويقصد بها في الكتاب (المقدس) كلام غير لائق في شأن الله وصفاته.

المقاطع التي تدين اليهود في "الفيلم" فخرجت للناس هذه النسخة (المبتورة) التي أجادَ المبشرّون إستغلالها لكسب تعاطف الناس مع المسيح في حكاية صلبه لتكفير خطايا البشرية!!!.

وتتلخّص قصّة الصلب التي يؤمن بها المسيحيون ويحمّلون اليهود نتائجها ويضطهدونهم بسببها (قبل تبرئتهم مؤخراً) فيما يلي:

يقول الكتاب المقدس[١]: "وأما الذين قبضوا على يسوع فساقوه إلى "قيافا" رئيس الكهنة، وقد آجتمع الكتبَةُ والشيوخ ... وإنعقد المجلس من رؤساء الكهنة والشيوخ كلهم وبحثوا عن شهادة زور على يسوع ليحكموا عليه بالموت ولكنهم لم يجدوا. مع أنه حضر شهودُ زورٍ كثيرون. وأخيرا تقدم إثنان وقالا [هذا قال إنّى أقدُر أن أهدم هيكل الله وأبنيه في ثلاثة أيام]. فوقف رئيس الكهنة وسأله [أما تُجيبُ بشيء على ما يشهد به هذان عليك؟] ولكنَ يسوع ظل صامتاً فعاد رئيس الكهنة يسأله [أستحلفكَ بالله الحيّ أن تقول لنا: هل أنت المسيح إبن الله؟. فأجابه يسوع: أنت قلت! وأقول لكم أيضاً انكم من الآن سوف ترون إبنَ الإنسان جالساً عن يمين القدرة ثم آتياً على سحب السماء!]. فشقَّ رئيسُ الكهنة ثيابه وصرخ **[قد جَدَّفَ!]**. لا حاجة بنا بعدُ إلى شهود وها انتم قد سمعتم تجديفه فما رأيكم؟ أجابوا [إنه يستحقُّ عقوبة الموت]. فبصقوا في وجهه وضربوه ولطمه بعضهم قائلين [تنّبأ لنا أيها المسيح مَن ضربك!].

ومن الطبيعي أن يشعر المسيحيّون بالغيظ والكراهية التي يشعرُ بها المسيحي عندما يقرأون في كتابهم المقدّس ما فعله اليهود بالمسيح، هذا بالإضافة إلى الدعاية المُبرمَجةِ الضَّخمة التي كانت الكنيسة ترعاها في تلك الأيام لتزيد من وطأة الضغط والإذلال النازلين باليهود. لقد كانت الكنيسة تعتَمدُ نهجاً متسلسلاً واضحاً يقوم على دعم كل أجزاء دعايتها، في الحملة ضد اليهود، على نصوصٍ من الإنجيل واضحةٍ مفهومةٍ تدعمُ وصف اليهود بَقَتلة الرب وقَتَلة الأنبياء وأبناء قتلة الأنبياء وبأنهم أولاد الأفاعي وأنهم أهل الضلالة والضياع والعمى والجهل، وهي أوصافٌ عاد "مارتن لوثر" لإستخدامها بعد إنقلابه على اليهود وتأليفه لكتاب (أكاذيب اليهود)[*] **أما عن دعاية الكنيسة المبرمجة فإنها قامت في حملتها ضد اليهود على مستندات إنجيليّة أبرزها ما يلي:**

أولاً: وردَ على لسان المسيح عليه السلام في إنجيل "متّى" (دعوهم وشأنهم فهم عميان يقودون عمياناً، وإذا كان الأعمى يقود أعمى يسقطان معاً في حفرةٍ"[٢].

---

[1] إنجيل متّى ٢٦: ٥٧ ــ ٦٨.
[*] سيأتي ذكره وتفصيل القول فيه في مباحث قادمة.
[2] إنجيل متّى ١٥: ١٤

ثانياً: ورد على لسان المسيح، عليه السلام، في إنجيل "متى" (يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون وأنتم أشرار أن تتكلّموا كلاماً صالحاً؟، لأنّ الفم يتكلّم بما يفيضُ به القلب)[(١)]

ثالثاً: وردَ في رسالة "بولس" الأولى إلى أهل "تسالونيكي": "فإنّكم أيها الإخوة، قد صِرتم على مثال كنائس الله التي في مِنطقة اليهودية، والتي هي في المسيح يسوع. فأنتم أيضا قاسيتم على أيدي بني جنسكم ما قاسوه هم على أيدي اليهود الذين قتلوا الربَّ يسوع والأنبياء، وإضّطهدونا نحن أيضاً، وهم لا يُرضُون الله ويعادون الناس جميعاً"[(٢)]

وبالعودة إلى موضوع صلب المسيح، كما يعتقدون، ومسؤولية اليهود عن هذا الصلب فإنّ هناك سؤالاً هامّاً مُلِحاً يطرحُ نفسه الآن، ألا وهو: لماذا لم تُحَمِّل الكنيسةُ الرومانَ "وبيلاطس" مسؤولية الصلب والقتل؟ فجنودهم هم الذين قاموا بالتنفيذ ولماذا عَمِدت الكنيسة إلى إلصاق التهمة باليهود وتحميلهم مسؤولية ما حدث؟!! في الإجابة على هذا السؤال (الهام) وردت إجابة للأستاذين عيسى اليازجي[(٣)] ومحمد بن المختار الشنقطي[(٤)] اللذين أكّدا سعَي كُتَّاب الإنجيل إلى التأكيد على مسؤولية اليهود وتبرئة الرومان. حيث ورد في الإنجيل تعبير الحاكم الروماني عن إقتناعه ببراءة المسيح، وأنَّ رجال الدين اليهود هم الذين دفعوه إلى إتخّاذ قرار الصَّلب بعد أن حاول التملُّصَ منهم بكل حيلةٍ. ومن الفقرات التي تسردُ هذا المشهد فقرةٌ في إنجيل "متّى" أثارت الحقدَ في قلوب المسيحيين ضد اليهود في كل عصر، وقد ورد فيها (فعاد بيلاطس يسأل: فماذا أفعلُ بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ أجابوا جميعا: لِيُصلَبْ. فسأل الحاكم: وأيّ شرٍّ فعل؟ فآزدادوا صُراخاً: لِيُصلَبْ!. فلما رأى "بيلاطس" أنه لا فائدة، وأنَّ فتنةً تكاد تنشبُ بالأخرى، أخذَ ماءً وغسل يديه أمامَ الجمْع، وقال [أنا بريءٌ من دم هذا البارّ، فآنظروا أنتم في الأمر!]. فأجاب الشعبُ بأجمعه [ليكنْ دمُه علينا وعلى أولادنا]. فأطلق لهم "باراباس" [وهو لص كان في نفس السجن] وأما يسوعُ فجلّده، ثم سلَّمْه إلى الصلب)[(٥)]. وقد بقيت هذه العبارة "ليكن دمه علينا وعلى أولادنا" مغروسةً في العقل المسيحي على مر القرون، وإعتبرها المسيحيون شهادةً دامغةً على أنَّ اليهود في كل عصرٍ يحملون في أعناقهم دمَ المسيح، وأنَّ لعنة الرب قد حلّت عليهم بسبب ذلك إلى الأبد، وأنهم بذلك قد إستحقّوا كل أنواع

---

(1) إنجيل متّى ١٢: ٣٤.
(2) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٢ : ١٤ ـ ١٥.
(3) عيسى اليازجي، المسيحيّة المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية، الدار الوطنية، سوريا، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٣٢ ـ ١٣٥ بتصّرف وإختصار.
(4) راجع سلسله مقالات ودراسات (المسيحية الصهيونية والسياسة الأمريكية) بقلم الاستاذ محمد بن المختار الشنقطي المنشور على الإنترنت.
(5) إنجيل متّى ٢٧: ٢٢ ـ ٢٦.

التنكيل والإضطّهاد. كما ظلت صورةُ المسيح وهو مُقَيَّدٌ، يبصقُ الناسُ في وجهه ويضربونَه، صورةً لا تُمْحَى من الضمير المسيحي، وهي، في اعتقادهم، إدانةٌ أخرى لليهود عليهم أن يدفعوا ثمنها ...

أمّا العاملُ الثاني من عوامل إضطهاد اليهود في "أوروبا" قبل مجيء "البروتستانت" فكان العامل الإجتماعيّ الإقتصادي المتمثّل في تعامل اليهود بالربا وبخلهم الشديد وسعيهم الدائم للتحكم الإقتصادي بالمجتمعات المسيحية التي يعيشون فيها ذلك أنّ معظم اليهود إتّجه إلى العمل في التجارة إنطلاقاً من رغبتهم في تكوين الثروات وجمع المال وبالتالي النفوذ. واليهود في إتجاههم هذا كانوا يستفيدون من سماح شريعتهم، حسب زعمهم، بالتعامل بالربا مع غير اليهود. وقد أدّى ذلك إلى غناهم وبخلهم وبالتالي المزيد من كراهية المجتمع لهم. ولعلَّ الشواهد على هذا كثيرةٌ منها على سبيل المثال لا الحصر الشاهدان التاليان:

أولاً: قصّة الكاتب القصصي الإنجليزي الشهير "تشارلز جون ديكنز" صاحب قصّة (أوليفر تويست) التي صوّر فيها اليهود بصورةٍ قبيحةٍ جدّاً تمثلت في شخص العجوز اللئيم "فاجين" الذي كان زعيماً لعصابة نشلٍ وسرقةٍ وكيف قام هذا العجوز اليهودي، برعاية الطفل اليتيم البريء (أوليفر بطل القصّة) وعلّمه كل أساليب السرقة والإحتيال ...

ثانياً: القصّة الأكثر شهرةً في العالم والتي تحوّلت إلى مسرحيةٍ ثم إلى "فيلم سينمائي" عرض قبل ما يزيد على السنتين (تاجر البندقيّة) وهذه القصّةُ فيها تجسيدٌ عبقريٌ من الكاتب الأكثر شهرةً في تاريخ أوروبا (وليام شكسبير) لشخصّية اليهودي المخادع، البخيل، الجبان، المرابي ألا وهو (شايلوك) والقصّة تتحدث عن عقد "إتّفاق" جرى بين تاجر مسيحيٍّ يكرهُ اليهودَ ويبصقُ عليهم حين مرورهم من أمامه ومرابٍ يهوديٍ يكره المسيحيين لأنهم يبصقون عليه ويذلّونه حين يمّر أمامهم وحدث يوماً أنَّ هذا التاجر إحتاجَ ذاكَ المرابي وإقترضَ منه مبلغاً من المال لمدّةٍ معيّنةٍ **وفي حال مرت المدة ولم يردّ المال يقتطع (شايلوك) أوقيةً من لحم كتف التاجر المسيحي.** وحصلت للتاجر مشكلاتٌ وغرقت سفُنه الثلاثُ المبُحرةُ من الهند وطرابلس والمكسيك فجاء وقت إنتقام اليهودي. وقد كانت قاعة المحكمة وما جرى فيها من حوارٍ ودفاعٍ وحُكمٍ نهائيٍ تلخّصُ الثقافة السائدة وتعطي فكرةً "هزليّةً" عن مأساة ذاك التاجر الذي أوقعه الزمن في شبكة "شايلوك". والمهم في النقاش الذي إحتدم في قاعة المحكمة أنّ مجلس القُضاة **كان في حيرةٍ من أمره بين إنقاذ تاجر مسيحيٍ من براثن مرابٍ يهودي وبين إلغاء إتفّاقٍ موقّعٍ من الطرفين سيؤدي إلى المساس بسمعة المدينة "البندقية" التجاريّ ويهزُّ سمعتها** النقية وثقة التجار والمتعاملين معها؛

فهي مدينة تحترم القوانين والاتفاقات وبالتالي يصعب عليها تجاوز تلك المشكلة قبل أن يأخذ اليهودي حقه "**أوقيةً من لحم كتف التاجر المسيحي**".

وقد إنتهت القصّة بفرضِ التنصير على اليهودي ومصادرة أملاكه وأمواله بإسم القانون وبذريعة الإتفاق نفسه. فالإتفاقُ نصَّ على اللحم ولم يذكر الدم وغيره من زيادةٍ أو نقصانٍ في الكميّة المقتطعة...

يُستفادُ ممّا سبق أنّ اليهود كانوا مكروهين أيَّما كراهيةٍ في المجتمعات الأوروبية التي تفرّقوا فيها أثناء فترة الشتات اليهودي. وكما أسلفتُ فهذه الكراهيةُ كانت لها خلفيّاتٌ دينيّةٌ بالدرجة الأولى ومن ثمّ إقتصادية وإجتماعية فكان مِن نتيجة ذلك أن أذاقهم الأوروبيون الويلات بألوانها المتعدّدة وحرموهم أدنى أنواع الإمتيازات التي يتمتَّعُ بها البشرُ ومن ذلك ما ذكره الأستاذ إميل أمين[١] نقلاً عن "جون دومنيك كروسان" من أنَّ المسيحيين الأوروبيين كانوا يعقدون إجتماعاتٍ ومراسم فيما يعتبرونه ذكرى صلب المسيح، خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادي. وأنّ سكان مدينة "تولوز" الفرنسية كان لديهم تقليدٌ خاصٌّ بهم في هذه المناسبة، يعتبرونه جزءا مهمّاً من مراسم تلك الذكرى، وهو إحضار يهودي إلى الكنيسة أثناء الإجتماع، ليصفعه أحد النبلاء أمام الجمع، إحياءً لذكرى الضرب والإهانات التي تعرَّضَ لها المسيح على أيدي اليهود .... وقد ذكر صاحب كتاب (الهرطقة في الغرب)[٢] هذه القصّة وهذا التقليد بزيادةٍ فيها (إنَّ الرجل الذي أُسندت إليه مَهّمةُ ضرب اليهود في تولوز نحو عام ١٠٢٠م قام في إحدى المرّات بواجبه بكفاءةٍ عاليةٍ فسدد إلى ضحيّته لطمةً جعلته يفقد إحدى عينيه، ليموتَ بعد ذلك بوقت قصير).

"وفي عامي ١٣٧٨ و١٣٩١ تعرضت الجاليات اليهودية في كل من "أراغون وقشتالة" للعدوان على أيدي المسيحيين الذين كانوا يَجُرُّون اليهود جرّاً إلى مياه التعميد ويرغمونهم على إعتناق النصرانية وإلاّ كان الهلاكُ عقابهم. وفي "أراغون"، كانت المواعظ التي يلقيها الكاهن "الدومينيكاني فنسنت فيرير" تؤدّي بإنتظامٍ إلى إندلاع أعمالِ الشَّغَب المعادية للساميّة، كما كان "فيرير" يقوم بتنظيم مناظراتٍ عامّة بين "الحاخامات" والمسيحيين بقصد التشكيك في الدّين اليهودي،

---

(1) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب الأستاذ إميل أمين، "ذئاب في ثياب حملان"، دار المريخ للنشر، مصر، ط١، ٢٠٠٦، وقد نقل هذه الحادثة من كتاب (مَن قتل المسيح؟؟) للكاتب الفرنسي (جون دومينيك كروسان).

(2) راجع كتاب الدكتور رمسيس عوض، (الهرطقة في الغرب)، ط١، ١٩٩٧، ص ١٧٠، دار سينا للنشر، القاهرة.

وحاول بعض اليهود تفادي الإضّطهاد بالتحوّل إلى إعتناق النصرانية طوعاً، وكان يُطلقُ عليهم رسمياً تعبيرٌ خاصّ هو "**المتحوّلون**"، وإن كان المسيحيون ينعتونهم بلفظ "**المارانو**" أي الخنازير"[(١)]

وكان من أبرز ما تعرَّضَ له اليهود من إضطهادٍ في "أوروبا" إصدار ملك وملكة "إسبانيا" "فرديناند وإيزابيلا" "في يوم ١٤٩٩/٣/٣١ **(مرسوم الطرد)** الذي كان يرمى إلى إخلاء أوروبا من اليهود، وقد خُيِّروا أيضاً بين التعميد (أي إعتناق النصرانية) وبين الترحيل. وكان الكثيرون من اليهود قد عزَّ عليهم فراق وطنهم في الأندلس (وهو إسم المملكة الإسلامية القديمة) إلى الحد الذي جعلهم يعتنقون المسيحية ويظلون في اسبانيا"[(٢)]

وعلاوةً على ما سبق فقد إتَّسَمَ وضعُ اليهود في القوانين الأوروبية بالغرابة[(٣)]؛ "فقد وردت في المجلّد الأول من تاريخ القانون الإنجليزي (كامبردج ١٨٩٥) فقرة تنصُّ على أنّهُ ليس مِن حق اليهودي أن يمتلك أي شيءٍ لنفسهِ بل من أجل ملكِ البلاد؛ إذ يتعيَّنُ على اليهودي أن يعيش من أجل الآخرين. ويتضح هذا من نصوص القوانين الأوروبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. ورغم أنَّ إستئناف القوانين الخاصّة بعبودية اليهود لم يحدث إلاّ في القرنين الثاني عشر والثالث عشر فإن الجذور ترجع إلى القرارات التي أصدرها مَجْمَعُ "توليدو" بإيطاليا المنُعقدِ عام (٦٩٤) وهي قرارات من شأنها تحويل جميع يهود أسبانيا إلى طبقةٍ من العبيد"[(٤)]. ويبدو أن الهدف من وراء هذه القرارات كان يرمى إلى تحقيق غرض إقتصادي يتلخَّصُ في إعتبار جميع أملاك اليهود مُلكاً خاصّاً للملك يحق له الإستيلاءُ عليها في أيّ وقتٍ أو إلى إضعاف اليهود من النَّاحية السياسية حتى لا يتكتّلوا ويُصبحوا قوة ضغطٍ يُخشَى منها.

ولن أطيل في ذكر شواهد الإضطهاد التي عانى منها اليهود في أوروبا قبل مجيء "البروتستانت" فكتبُ التاريخ الأوروبي والكنَسي مليئةٌ بها ولكنّي أختم هذا المبحث بأن **ألفت النظر إلى أنّ هناك أسباباً أخرى دفعت العالم المسيحي إلى إضطهاد اليهود منها إعتقادُ المسيحيين السائد في القرون الوسطى بأنَّ اليهود مجموعةٌ من المشْتَغِلين بالسّحر يُسَخّرُهُم الشيطان لتدمير العالم المسيحي من الناحيتين الروحية والمادية. فضلاً عن إعتقادهم بوجود علاقةٍ بين اليهود والشيطان**. وهو إعتقادٌ إستمدّوهُ من تفسيراتهم لبعض آيات العهد الجديد فقد جاء في سفر الرؤيا أنّ

---

(1) كارين آرمسترونج، [م. س]، ص ٢٤.
(2) المرجع السابق نفسه ص ١٨ ــ ١٩.
(3) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب ، الدكتور رمسيس عوض [م. س]، ص ١٦٧ - ١٤٨.
(4) المرجع السابق نفسه ص ١٧٢ ــ ١٧٣ بتصرُّف.

اليهود مجمعُ شياطين: "إنهم يهود ولكنّهم ليسوا يهوداً بل هم مجمع للشيطان"[١] وهو الوصف ذاته الذي جاء في الآية التاسعة من الإصحاح الثالث في السّفر نفسه: "هأنذا أجعل الذين من مجمع الشيطان من القائلين إنهم يهود وليسوا يهوداً بل يكذبون". (والجدير بالذكر أنَّ آباء الكنيسة الأوائل مسؤولون عن ذيوع الفكرة التي تربط بين اليهود والاشتغال بالسحر. وهذا واضحٌ من الإتهّام الذي وجَّههُ أحد المتحّولين حديثاً للدين المسيحي إلى اليهود بأنهم قاموا حول عام (٩٩٢م) بمحاولة إغتيال "الكونت ماين" عن طريق غرس الدبابيس في صورةٍ صُنعوها له من الشّمع. أما المؤرخ "جويبرت نوجنت" فذهب إلى وجود علاقة بين اليهود والجنس والسّحر وإبليس. وكتب "نوجنت" عام (١١١٠) يحكى لنا حكاية راهب مُرْتَّدٍ ساعده أحد اليهود على إتقان السحر الأسود عن طريق بيع روحه إلى الشيطان وقد مَّهدتْ هذه الحكاية وذيوعها لظهور فكرة ضرورة تعقُّبِ السَّحَرة ومطاردتهم. وهي فكرة سادت العقود الأخيرة في الغرب المسيحي من القرن الثاني عشر).[٢]

---

(1) الرؤيا، ٢: ٩.
(2) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب الدكتور رمسيس عوض، [م. س]، ص ١٧٢ فما فوق.

المبحث الرابع

كتاب المسيحُ وُلِدَ يهوديّاً

كتب "مارتن لوثر" كتباً كثيرةً أهمها كتابان؛ أمّا الأول فكان في بداية ظهورة وشهرته وحمل عنوان (المسيح وُلِدَ يهودياً) وأمّا الثاني فحمل عنوان (أكاذيب اليهود). والغريب في الأمر أنّ الكتابين متناقضان تمام التناقض في مضمونهما؛ فالأول كان دفاعاً مستميتاً عن اليهود وأمّا الثاني فكان هجوماً عليهم بلا هوادة.

وقد يتساءل متسائل أو يقول مشكّكٌ: هل كان من الممكن لكتاب مثل (المسيح وُلِدَ يهودياً) أن يغيّر من صورة اليهود في أوروبا ومن معاملة الأوروبيين لهم؟ وهل كان هذا الكتاب في متناول جمهور العامّة آنذاك حتى يُحْدِثَ فيهم مثل هذا التغيير في النظرة لليهود ويثير التعاطف معهم؟؟؟ وفي الإجابة على هذه التساؤلات كلها أقول: نعم؛ فقد تبيّن لدينا من خلال ما سبق أنَّ "مارتن لوثر" تمتّع بقدرةٍ على الخطاب والتأثير في الجمهور الألماني ومن يليه من بعض شعوب الدول الأوروبية مثل (سويسرا وهولندا) وهذا كان حال مَنْ حمل لواء الدعوة البروتستانتية في فرنسا مثل (جون كالفن) وفي سويسرا مثل (زوينجلي) ويكفي للتدليل على ذلك أنّ (أوليفر كرومويل)[١] كان من المتعاطفين مع دعوة "لوثر" وأفكاره فيما يتعلق بالإنفصال عن السلطة البابوية وفيما يتعلّق بالتعاطف مع اليهود والسماح لهم بأقصى درجات الحريّة الدينية كما سيأتي في مباحثَ قادمةٍ إن شاء الله تعالى.

لقد أسهم "مارتن لوثر" **في تهيئة الأوروبيين للقبول بعقائد جديدة؛ عقائد تخالفُ تلك التي أورثتهم إياها كنيسة** "روما" **جيلاً بعد جيلٍ. وقد كانت تلك التهيئة النفسية ضروريّةً لقبول المزيد من العقائد الجديدة ولإعادة بعث عقائد قديمة غيّبها الزمانُ كعقيدة (الشعب الذي إختاره الله) و(الأرض الموعودة) و(هرمجدّون) و(الحكم الألفيّ للسيد المسيح)** وقد توافرت في "لوثر" مجموعةٌ من العوامل ومن المواصفات الشخصيّة التي جعلته بحقٍ مُلهم الجماهير آنذاك، والبطل الذي وقف في وجه الكنيسة والبابا ومَن سخّرهم (البابا) من الحكّام والقياصرة والملوك، فكان كلامُه بالنسبة لهذه الجماهير كلاماً مقبولاً بل سريع القبول لديهم، مُطاعاً يلامس الواقع ويضربُ على أوتاره الحسّاسة، وقد وصفَ "ول ديورانت" شخصيّته وقدرته على الكلام والتأثير فقال: "**كان أقوى مَن عرفه التاريخ في الجدل لا يصدُّه عنه شيءٌ. وكانت كلُّ كتاباته تقريباً صراعاً ممتزجاً بعباراتٍ**

---

(1) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل لاحقاً

لاذعةٍ تفيضُ سخريةً وطعناً. وتركَ خصومه يتأنّقون في "اللاتينية" الرفيعة بحيث لا يَقرأ لهم إلاّ قلةٌ من الباحثين وكان هو أيضاً يكتب باللاتينية عندما يريد مخاطبة العالم المسيحي بأسره، بيدَ أنَّ الجانب الأكبر من أهاجيه ألّفهُ بالألمانية أو كان يُترجَمُ فوراً إلى الألمانية لأنَّ ثورته كانت وطنّية ولم ينافسه مؤلّفٌ ألمانيٌ آخر في وضوح ألفاظه وقوة أسلوبه، وفي مباشرة عباراته وَحِدَّتِها اللاذعة وفي تشبيهاته الموفَّقةِ والتي كانت أحياناً تبعث على الإبتهاج في ألفاظٍ تمتد جذُورها في كلام الناس وتلائم العقلية القومية"[1].

وإضافةً على ما سبقَ من العوامل والمواهب والمواصفات الشخصيّة فقد أحسن لوثر الإستفادة من أمرين ساهما كثيراً في نشر أفكاره ومعتقداته وكتبه، وعلى رأسها كتاب (المسيح ولد يهودياً) **أمّا الأمر الأول** فكان إستفادته من إختراع الطباعة حيث وافقتِ الطباعةُ أهدافه فإستخدمها ببراعةٍ فائقةٍ، وكان أول مَنْ جعل منها آلةً للدعاية والحرب ولم تكن هناك وقتذاك جرائدُ ولا مجّلاتٌ، وكانت المعارك تُذكيها الكتبُ والرسائل الخاصّةُ التي أُعدَّت للنشر. "وإرتفع عدد الكتب المطبوعة، في ألمانيا من ١٥٠ كتاباً عام ١٥١٨م إلى ٩٩٠ كتاباً عام ١٥٢٤م، وذلك بحافزٍ من ثورة لوثر، وكانت أربعةُ أخماس هذه الكتب تؤيد الإصلاحَ الدينّي. أمّا الكتب التي كانت تدافع عن العقيدة المحافِظة فقد كان من الصعب أن تجدَ مَن يشتريها، في حين كانت مؤلّفات "لوثر" هي أكثر الكتب رواجاً في هذا العصر، وكانت لا تُباعُ في المكتبات فحسب بل كانت تُباعُ عند الباعة المتجّولين والطلبة المسافِرين أيضاً، وقد أُحضرت ١٤٠٠ نُسخة في سوقٍ واحدةٍ "بفرانكفورت"، بل إنَّ ما بيعَ منها في باريس عام ١٥٢٠م فاقَ ما بيع من أيِّ كتابٍ آخر. وفي مطلع عام ١٥١٩م صُدِّرت إلى فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والأراضي المنخفضة وانجلترا"[2]

وينقل "ول يورانت"[3] عن المفكر الشهير "أرازموس"[4] قوله عام ١٥٢١م (إنَّ كتُبَ لوثر في كلِّ مكانٍ وبكُلِّ لغةٍ ولن يُصَدِّق أحدٌ مدى تأثيره في الناس) ولا أظنُّ أنَّ أحداً يقرأ عبارة "أرازموس" هذه ثم يبقى لديه شكٌ في تأثير كُتبِ "لوثر" في الناس، مع ملاحظة أن "لوثر" نشر كتاب (المسيح ولد يهودياً) بعد سنتين من قول (أرازموس) السابق أيّ أنّه كتبه وهو في أوج شهرته وعطائه ونجوميّته.

---

(1) ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٣، ص ٥٣.
(2) المرجع السابق نفسه، ص ٥٣.
(3) المرجع السابق نفسه، ص ٥٣.
(4) (دزيداريوس أرازموس) راهب كاثوليكي وأستاذ عالم في الإنسانيات كان متبحّراً في اليونانية واللاتينية وكان على خلافٍ كبيرٍ مع لوثر.

أمّا الأمر الثاني فكان المكان الذي يدرِّسُ فيه "الدكتور لوثر" وهو جامعة "فتنبرغ" التي أصبحت بفضل "لوثر" المهد الأساسيَّ للتعاليم "اللوثرية" ومنافساً خطيراً للتعليم التقليدي في "السوربون". وإليها جاء طلاب العلم من جميع أصقاع ألمانيا، بحيث غدت بمثابة المعمل العظيم للأدب "اللوثري". "وفي هذا المكان الصغير وُجِدَ العقلُ القوميُّ لألمانيا، وهو العقل الذي أثَّرت فيه مشاعرُ هذا العصر وحوادثه، ووجدَ مَنْ يعبِّرُ عنه بلغة استطاع كلُّ ألمانيٍ أن يفهمها، ومنه أيضاً آستمدَّ بعضُ الأساتذة في جامعة "كيمبردج" في "إيست إنجليا" التعاليمَ المسُتوحاةَ من الإنجيل رأساً، وهي التعاليم التي ساعدت على تحوُّل إنجلترا إلى المذهب البروتستانتي"[(١)]

وللتدليل على أثر هذه الجامعة العظيم في إحداث التغيير الذي نحن بصدد الحديث عنه فقد نقل مؤلفو **(تاريخ الكنيسة المُفَصَّل)** عن الأستاذ الفرنسي المعروف أ. تولين قوله: "إنّ جامعة فِتنْبرغ تفوق بأكثر من مئة سنة، الجامعات الألمانيّة كلَّها. فبفضل لوثر، إرتفع عدد الطلاّب من ٣٠٠ في السنة ١٥٠٨ إلى نحو ٢٠٠٠ في السنوات التي تلت ١٥٢٢ (وهذا أمر نادر، لأنّ الجامعات في ذلك الزمن كانت تضمّ عادةً بضع مئات من الطلاّب). وكان نحو عُشر هؤلاء الطلاّب من الأجانب، ومن بينهم كثير من المجريِّين. وكان هذا العالم كلُّه يدور حول "لوثر"، الذي كان قطب الجذب الكبير".[(٢)]

وقبل أن أقوم بعرض وتحليل أيٍّ من فقرات هذا الكتاب[(*)] أجدني في حاجةٍ ماسّةٍ لذكر الملاحظات التالية:

١. أثارَ إستغرابي عدم ذكر المؤرخ **(ول ديورانت)** لهذا الكتاب في قصّة الحضارة، وكذلك كان حال هربرت فيشر في **(أصول التاريخ الأوروبي الحديث)؟!!.**
٢. ممّا لا شكّ فيه أنّ "لوثر" قصدَ من كتابه هذا التقُّربَ إلى اليهود، وقد إفترق الكُتّاب المعاصرون الذين كتبوا في هذا الموضوع على رأيين؛ **أما الرأي الأول،** وعليه السواد الأعظم منهم، فكان أنّ لوثر قصد من ذلك التقُّربَ دعوةَ اليهود والتودّدَ إليهم للدخول في المسيحية **أما الرأي الثاني** فكان

---

(1) هربرت فيشر، [م. س]، ص ١٠٤.

(2) راجع مقالة (دانيال أوليفيه) "لوثر والإصلاح" في كتاب تاريخ الكنيسة المفصّل، [م. س]، ج ٣، ص ٣٦.

(*) ومن المؤسف أنني لم أحصل على نسخةٍ من هذا الكتاب بل حصلت على مقاطعَ طويلةٍ ومقتطفاتٍ منه منشورةٍ على صفحات "الإنترنت" مع أنني بذلت مجهوداً عظيماً بلغ البحثَ عن الكتاب في كل مكتبات المملكة الأردنية الهاشمية العامّة والخاصّة ومكتبات الجامعات بل وراسلتُ مكتبات بعض البلدان المجاورة ولكنّ البحث عن الكتاب كان دون طائلٍ ومردودٍ فقررتُ أن أعتمد في عرضه في رسالتي هذه على المقتطفات المنشورة عنه على صفحة "الإنترنت" والتي جاءت مطابِقةً للشواهد التي آستخدمها مَنْ حصلوا على هذا الكتاب وكتبوا عنه من أمثال الاستاذ محمد المختار الشنقطي في سلسلة دراساته الخمس والتي حملت عنوان (المسيحيّة الصهيونية والسياسة الأمريكية)، ومن هؤلاء أيضاً الاستاذ "إميل أمين" في كتابه الهام جداً (ذئاب في ثياب حملان / مختصر قصّة الأصولية الامريكيّة) ومنهم الاستاذ محمد السّماك في كتابه (الأصولية الإنجيليّة أو الصهيونية المسيحيّة والموقف الأمريكي) والأستاذ "جورجي كنعان" في كتابه (الأصولية المسيحيّة في نصف الكرة الغربي) والأستاذ رضا هلال في كتابه (المسيح اليهودي ونهاية العالم) والدكتورة ريجينا الشريف في كتابها (الصهيونية غير اليهوديّة).

أنّ لوثر إنّما كان يرغب في إستمالة اليهود إلى صفّه لِمَا كانوا يمتّعون به من النفوذ المالي والقدرات الإقتصادية وإنّما آتّخذ من دعوتهم إلى المسيحيّة غِطاءً لذلك.

٣. إنّ اليهود قد أسهموا في نشر هذا الكتاب على نطاقٍ واسع وروّجوا له بقوةٍ خُصوصاً وأنّ مؤلّفه "لوثر" كان العدوَّ الأكبر لعدّوهم الأول ألا وهو البابا وكنيسة "روما" التي إضطهدتهم عصوراً طويلةً وكانت ترى أنّه لا حقَّ لهم في العودة إلى "أورشليم"، لأنهم طُردوا منها وتشتَّتوا في العالم بسبب رفضهم للسيد المسيح وقتلهم إياه؛ فالله طردهم بدايةً إلى "بابل"، ثم لاحقا شتَّتهم في جميع بقاع الأرض، وإنتهى إلى الأبد وجود "الأمّة اليهودية"، لذلك فإنه في الكاثوليكية ليس لليهود أي مستقبلٍ جماعّيٍ في أرض كنعان. أمّا خلاصُهم الروحُّي فلا يكون إلاّ بالإرتداد للمسيحية.

وبناءً على ما سبق من "لوثر" تجاه اليهود لم يكن غريباً، أن تلقى جماعات المُحتَجّين والمنُشقّين من "البروتستانت" في جميع ربوع أوروبا ترحيباً حارّاً وقلبيّاً من زعامات اليهود المدنيَّة والدينية، وهو ترحيبٌ وصل إلى حد إعتبار "حاخامات" اليهود ظهور "لوثر" وإنتشار دعوته علامةً مؤّكدةً على قرب مجيء المسيح المنتظر، في حين هاجمته الكنيسة "الكاثوليكية" بإعتباره مُخرّباً يهودّياً، أو على الأقل شبه يهودي مخرّباً للمسيحية. وسأعرض تالياً لأبرز الفقرات والجمل التي تناولها هذا الكتاب ومنها:

١. **يقول لوثر: "سوف أسوق النُّصوصَ الواردة في الكتاب المقدَّس، التي تدلُّ على أنَّ يسوعَ المسيح كان يهودياً، ولد من إمرأةٍ عذراء، <u>ولعلّي بذلك أكتسب بعض اليهود لإعتناق العقيدة المسيحية.</u> إنَّ الحمقى منا، أعني الباباوات والقسّيسين وعلماء الدّين ذوي القلوب القظة تعاملوا مع اليهود بطريقة جعلت كلَّ مَنْ يأملُ أن يكون مسيحّياً مُخلِصاً يتحّول إلى يهوديّ. لو كنتُ يهودياً ورأيتُ كل هؤلاء الحمقى يقودون ويعلّمون العقيدة المسيحية، فسأختارُ على البديهة أن أكون خنزيراً بدلاً من أن أكون مسيحّياً. لقد تعاملوا مع اليهود على أنهم كلاب لا بشر".**

٢. **يقول لوثر: "آمُلُ أنَّ الواحد منَّا لو تعامل مع اليهود برفقٍ، وعلَّمهم بكياسةٍ من خلال الكتاب المقدَّس، <u>فيتحوَّلَ العديدُ منهم إلى مسيحيين مُخلِصين</u>، ويَرجِعون إلى دين آبائهم من الأنبياء والأسباط".**

٣. **يقول لوثر: "إنَّ الرُّوحَ القُدُسَ أنزل كل أسفار الكتاب المقدَّس عن طريق اليهود وحدهم".**

٤. **يقول لوثر: "قبل أن نتفاخر بموقفنا يجب أن نتذكَّر أنَّنا مجَّردُ "أغرابٍ" أمّا اليهُود فيتَّصِلُ نسبُهم بالمسيح. نحن غرباءُ وأباعد، أما هم فأقارب وبنو عمومة وإخوةٌ للرب".**

٥. **يقول لوثر: "إننا كالكلاب ــ أي المسيحيين ــ الذين لا مكان لهم سوى تحت المائدة لإلتقاط الفتات الذي يتساقطُ من على موائد أربابنا اليهود، وإنَّ ذلك هو أمرٌ حدَّدتُه طلاقةُ القدرةِ الإلهية منذُ القِدَم، فهم السادةُ ونحن العبيد".**

ولو جئنا لمحاكمة كلام لوثر "الخطير" السابق لوقفنا على جُملةٍ من الحقائق والنتائج أبرزها:

١. إنّ "لوثر"، وبطريقةٍ غير مباشرةٍ، برّأ اليهود من دم المسيح.

٢. إنّه رفع من قدر اليهود وجعلهم أسياداً للنصارى وإنَّ ذلك كان آنطلاقاً من الرغبة والقدرة الإلهية.

٣. وبناءً على ذلك فهم الناسُ أنّ اليهود هم شعبٌ سامٍ إختاره الله لهذه السيادة.

٤. وتكتمل سيادة الشعب اليهودي بوصفهم "أخوة للرب".

٥. إثارة التعاطف مع اليهود وقضاياهم والتوقف عن معاملتهم كالكلابِ.

٦. ولمَّا نشر "لوثر" كلماته تلك تسابقَ اليهودُ إلى تداولها والترويج لها في أوروبا كلّها وأكّدوا على فهمها ضمن أُطرٍ ثابتةٍ محددة هي (اليهود شعب الله المختار) و(اليهود أبناء الرب) ثم توسَّعت هذه الأطُر لتشمل (أرض الميعاد) و(لا عودة ثانية للمسيح إلاّ بعد عودة اليهود إلى أرض الميعاد وإعادة بناء الهيكل) وما إلى ذلك من المعتقدات التي نمت وتطوّرت وأصبحت قوتاً يومياً لكل "بروتستانتيّ" يُؤمنُ بأنّ العهد الجديد إنما هو مُكَمِّلٌ ومتممٌ للعهد القديم وأنّ المسيح، عليه السلام، ما هو إلا نبيٌ من أنبياء بني إسرائيل وممَّا دعم ذلك تأكيد "مارتن لوثر" على ضرورة دراسة اللغة العبريّة وذلك كمقدمةٍ لفهمٍ صحيحٍ للكتابِ المقدّس بعهديه القديم والجديد وعلا شأن اللغة العبرية على إعتبار أنها اللّسانُ المقدَّسُ الذي تكلَّم به الله مع الإنسان وأقبل الناس على دراسة نصوص "العهد القديم" بالعبرية. وأصبحت العبرية مسألةَ ثقافةٍ واسعةٍ، بالإضافة إلى أنها مسألةُ دين. وأقبلَ الناسُ على قراءة الكتاب العهد القديم بلغته الأصلية".[(١)]

وأستطيعُ ان أقول بعبارةٍ أُخرى إنّ **"لوثر" ومَن جاء بعده من القادة البروتستانت قد أعادوا المسيحيين للكتاب المقدس، مما جعل العهد القديم (التوراة) مادةً للقراءة والتفسير الديني مرّةً أخرى. وفي هذه الفترة، كانت القراءاتُ تتمُّ على أساس الأرضية "اللاهوتية" التي ترى أنَّ الإيمان**

[(1)] جورجي كنعان، الأصولية المسيحيّة في نصف الكرة الغربي، ج١ الدعوة والدعاة، ص ٣٥، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ط١، ١٩٩٥ بتصرف.

الشخصي هو الذي تُفسَّرُ على ضوئه كلماتُ الكتاب المقدّس وليس توجيه وتعاليم الكنيسة، وهو ما جعل الطريقَ مفتوحاً أمام اكتشاف الجذور اليهودية للمسيحيين!! وقد كان هذا بداية التهويد في الفكر المسيحي المخترق لدى التيارات "البروتستانتية" على إختلافها. وممّا لا شكَّ فيه، أن ترجمة الكتاب المقدَّس وإتاحته لكل مسيحي كي يقرأه بنفسه، أعطت الكثيرين فرصة للإطّلاع على سفر من أعقِد الأسفار فهماً، وهو سفر الرؤيا[١] والذي تعده المسيحية سفر فكر الأيام الأخيرة وقيام الساعة.

ويذكر الأستاذ فؤاد شعبان الأثر العام الذي تركته البروتستانتية فيما يتعلق بنظرة أوروبا إلى اليهود بقوله:[٢] "**إنّ الثورة البروتستانتية وترجمات الكتاب المقدس حفّزت الكثير من الأسئلة عن مكانة اليهود وطبيعة معتقداتهم والإله الذي يعبدونه. وحدث بصورة تدريجية تحوُّلٌ في نظرة المسيحيين في أوروبا إلى وجود اليهود بينهم، وأثارت معرفة الناس بنصوص العهد القديم فضولهم حيال مفاهيم العهد والشعب المختار وأرض الميعاد وكل الأساطير التي وردت عن اليهود وديانتهم وأنبيائهم**".

يُستفاد مّما سبق أنَّ كتاب (المسيحُ ولدِ يهودياً) وما تبعه من محاولات "لوثر" على مدى ما يزيد على العشرين عاماً بعد ذلك في دعوته لليهود والحثّ على حُسن معاملتهم وإحترامهم قد ساهم في عودةِ نوعٍ من الإحترام لليهود وجعل كتابهم المقدّس (العهد القديم) مصدرَ ألهامٍ للمسيحيين "البروتستانت" الذين زاد إهتمامهم بنصوص التوراة وإتخذت نبوءاتها (بالذات المتعلقة بأرض إسرائيل ومستقبلها والمسيح المنتظر وحكمه الألفيّ) أهميةً بالغةً ومّما يدلُّ على صحة كلامي هذا أنَّ الكتاب المذكور "قد أعيد طبْعُهُ سبعَ مرّاتٍ في العام نفسه أي (١٥٣٢م)".[٣]

---

(1) سيأتي شرح مضمونه وأهميته لدى البروتستانت لاحقاً.
(2) الدكتور فؤاد شعبان، من أجل صهيون، التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية، ص ٤٢ – ٤٣، دار الفكر بدمشق ط١، ٢٠٠٣.
(3) رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، ص ٦٣، مكتبة الشروق بالقاهرة ط٢، ٢٠٠١.

المبحث الخامس

كتاب أكاذيب اليهود

ذكرتُ فيما سبق أنّ "مارتن لوثر" ألّف كتاب (المسيح وُلِدَ يهودياً) وهو الكتاب الذي يُعدُّ الأكثر شُهرةً وخطورةً فيما يتعلق بالعلاقة البروتستانتيّة اليهودية. ووقفتُ على أسباب إنتشاره وشهرته وأهمّ مضامينه، وها أنا ذا أقف لأواصل الحديث عن الموضوع ذاته وبين يدَّي كتابٌ آخرُ كتبه "لوثر" عن اليهود في أواخر أيام حياته[1] وقد ناقض ونقض فيه تماماً كلَّ ما ذكره من مضامين كتابه الأول. ولعلَّ عنوان هذا الكتاب الأخير يوحي بالكثير من مضمونه؛ فهو يحمل عنوان (أكاذيب اليهود) أو (نفاق اليهود) وفقَ ترجمة الأستاذ عجاج نويهض الذي نقله إلى العربية عام ١٩٧٤م ونشرته دار الفكر آنذاك مع ملاحظة أنّ هذا الكتاب (الهام) عثرتْ عليه منظّمةُ (Christian Nationalist Crusade) وترجمَتْهُ من الألمانيّة إلى الإنجليزية عام ١٩٤٨ في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان واحداً من الوثائق التاريخية الموجودة في مكتبة "الكونجرس الامريكي" الشهيرة.[2] ولعلَّ السؤال الأكثر إلحاحاً الذي يطرح نفسه الآن هو لماذا كتبَ "مارتن لوثر" هذا الكتاب؟؟ ولماذا ساءت علاقتُه مع اليهود؟؟ ولماذا لم يشتهر هذا الكتاب كما إشتهر كتابه الأول؟ ولماذا بقي طيَّ الكتمان هذه المدّة الزمنيّة الطويلة؟؟ وهل هو ردُّ فعلٍ من "لوثر" تجاه ممارسات اليهود أم أنّه تعبيرٌ صادقٌ عن قناعاته تجاههم؟؟ وهل يعكسُ تأليفه تناقضاً في شخصيّة "لوثر" ونمط تفكيره؟ أم أنّه تعبيرٌ عن تحرُّرٍ فكريٍ بعيدٍ عن نمط (مَن شَبّ على شيءٍ شاب عليه) وما هو موقف زعماء البروتستانت المتصهينين اليوم من هذا الكتاب؟ هل إعترفوا به أم أنهم أنكروا نسبته إلى "لوثر"؟؟ وهل حقّاً ألّفهُ "لوثر" أم أنه منسوبٌ إليه إفتراءً؟ وأنه كتاب مُتَوهَّمٌ غير موجود، على نحو ما أُثيرَ حول كتابه الأوّل، أم ماذا؟؟ خصوصاً إذا ما عرفنا أنّ الكثيرين من البروتستانت الذين قرأوا كتابه الأول أنكروا كتابه الثاني وأنَّ الكثيرين من الأرثوذكس والكاثوليك العرب ممن قرأوا كتابه الثاني أنكروا كتابه الأول بل أنهم لم يذكروه البتة؟؟ هذه التساؤلات القاتلةُ الكثيرة أوقعتني في حيرةٍ وقلقٍ لم أخرج منهما حتّى وفّقني الله في الحصول على هذه النّسخة القديمة فقمتُ بقراءتها مراتٍ عديدةً وهضمتُ مضمونها وإستعنتُ بهذا المجهود الذي بذله الأستاذ عجاج نويهض في ترجمته والأستاذ شفيق الحوت في التقديم له وهو مجهودٌ يستحق الشكر والتقدير والثناء، مع إختلافي معهما

---

[1] عام (١٥٤٤) أي قبل وفاته بعامين.

[2] للتوسّع في هذا الموضوع راجع مقدمة الكتاب المذكور.

في تبرئتهما "للوثر" ووصفه بأنّه "مثالٌ رائعٌ" للضمير الإنسانيّ النقيّ وبأنّه يبدو للقرن العشرين أستاذاً إنسانياً لا قرين له، وأنّه إن وُضِعَ في ميزان أحكم الحكماء في القرن العشرين لوجدناه رائد خيرٍ للإنسانية"[١]؟؟!!!! وسأعمد فيما يلي من كلمات إلى الشروع في الإجابة عن التساؤلات السابقة وألفتُ النظر إلى أنّ معظم هذه الإجابات مُستنتجٌ من صفحات الكتاب البالغة مائةً وثلاثاً وسبعين صفحةً.

كيف خرج هذا الكتاب من الظلام إلى النور؟؟؟

أنشئت في الولايات المتحدة "الأميريكيّة" سنة ١٩٤١م مُنظمة إسمُها[٢]: "The Christian Nationalist Crusade" أي "الصّليبيّة المسيحّية الوطنّية". ولهذه المنظمة عشرة مبادئ واضحةٌ أهمُّها هو المبدأ الأول؛ وهو كما جاء في نظامها أو قانونها "الإحتفاظ بأمريكا أمّةً مسيحيّةً، لشعور الامريكيين شعوراً محسوساً بأنّ هناك مخطَّطاً مُحْكَماً على مستوىً عالٍ يرمي إلى تبديل التراث المسيحي بالتراث اليهودي".[٣]

وقد حصلتْ هذه المنظّمةُ على هذا الكتاب أو إكتشفته وطبعته في "لوس أنجلوس" سنة ١٩٤٨، وقد ذكر ناشرو الكتاب معلوماتٍ هامّةً تتعلقُ بآليّة نشره، والضغوطات التي تعرّضوا لها قبل نشره. ومن ذلك أنّ ترجمته من الألمانية إلى الانجليزية قام بها رجلان، وكلٌّ منهما على حِدَة، وكلاهما تعرَّضَ لتهديدٍ مخيفٍ عنيف ولم يستطيعا إنجاز العمل إلاّ بعد مُعاناةِ الخطر وإجتيازه، مع أنَّ مادة الكتاب من حيثُ الكم، شيء قليل".

وكان مما ذكروا في المقدمة "ومما تحققناه بالفعل، ونحن نُعنى بالترجمة، أننا أردنا يقينا وإقتناعاً فوق كل يقينٍ وإقتناعٍ سابقين، بأنَّ هناك جهةً ما موجودةً، تمارسُ الكثيرَ من الكيد والمؤامرة، ويهمُّها أن يظلَّ هذا الكتابُ محجوباً عن الناس".[٤]

وقبل نهاية المقدّمة التي وضعها ناشرو الكتاب من أعضاء هذه المنظّمة وجّهوا كلامهم إلى المشكّكين في صحّة نسبة الكتاب إلى "مارتن لوثر" بأنه لكي يطمئن الشاك إلى أنّ شكّه في غير محلّه، "فإنَّ نصوص الكلام الأصليّ لمؤلفات "لوثر" موجودة في جهة ما في مكتبة "الكونغرس" في "واشنطن"، وفي المعاهد الدينية "اللوثرية". وإنّ كثيرين من رجال دين في جميع الطوائف يعلمون

---

(1) راجع مقدمة الكتاب المذكور ص ١٧ – ١٨ بتصُّرف.

(2) للفظة Crusade معنيان: الأول: الحملات العسكرية المسيحية إلى فلسطين تحت راية الصليب. والآخر، هو كل حركة نضالية لنصرة قضية خير وجلب مصلحة، أو لمكافحة كل شيء فيه شر وخطر، وهذا المعنى الثاني كأنه مستعار من الأول ليفيد الكفاح والنضال.

(3) راجع مقدمة الكتاب المذكور ص ٢٢.

(4) راجع مقدمة الكتاب المذكور ص ٢٣.

بوجود هذا الكتاب "للوثر" وإنْ لم يتيسَّرْ لهم الإطّلاعُ عليه. وهم يعلمون أيضاً أنَّ هذه الترجمة إلى الإنكليزية في الولايات المتحدة هي الأولى".[١]

سبب كتابة "مارتن لوثر" لهذا الكتاب

أمّا عن أسباب كتابة "لوثر" لهذا الكتاب بشكل عام فقد كانت فشلُه في دعوة اليهود إلى إعتناق مبادئ المسيحية البروتستانتية[*]؛ فإنّهم بدلاً من تحوّلهم إلى المسيحيّة، كما كان يأمُلُ، كانوا يجمعون الأنصار لتهويد المسيحية، هذا عدا عن إصرارهم على التعامل بالرّبا وإستخدامه في إبتزاز الكثيرين من الأوروبين وإذلالهم والسيطرة على ممتلكاتهم فيما بعد، ولا أدلَّ على صحّة هذه الكلمات من كتاب "وليام شكسبير" تاجر البندقيّة.

إذاً فقد إنتهى "لوثر" من وهمه في دعوة اليهود للتنصُّر إلى خيبةِ أملٍ وفشلٍ ذريعين تتمُّ، كما أرى من وجهة نظري، عن سطحيّته في فهم تركيبتهم العنصرية وحقدهم. بل الذي حصل هو العكس؛ **فإنّهم قد أحسنوا إستغلال دعوته لهم ومساهمته في رفع قيود الإضطهاد عنهم وإتخذوا منها منطلقاً لتحررّهم من الإستعباد الكنسيّ الرومي ومن الإضطهاد الإجتماعي الأوروبي المسيحيّ وكانت تلك فاتحة عهدٍ من التسامح المسيحي ــ اليهودي الذي لازالت أوروبا تدفعُ ثمنه إلى يومنا هذا.** وسآتي على تفصيل هذا التسامح وإستغلال اليهود له في إنكلترا وتسخيره ليكون أساساً لسيطرتهم على الأراضي الجديدة (أمريكا) ولنشر عقيدتهم فيها في فصول قادمة إن شاء الله تعالى.

وقبل أن أنتقل لإستعراض أبرز مضامين كتاب (أكاذيب اليهود) وخطوطه العريضة أؤكد على أنّ لوثر كان يهدف من وراء هذا الكتاب للمناداة بطرد اليهود من ألمانيا ووجوب عودتهم إلى الأرض الموعودة (أرض كنعان) وبغضَّ النَّظر عمّا إذا كانت دعوته هذه بغرض التخلُّصِ منهم فعلاً أم بغرض تحقيق نبؤة التوراة بعودتهم إلى (الأرض الموعودة) فإنها قد شكّلت أساساً آخر إستفاد منه اليهودُ لاحقاً بعد إصدار قانون العفو والتسامح[٢] الديني مع اليهود في إنكلترا...

أمّا عن السبب الخاص الذي دعا "لوثر" لكتابة هذا الكتاب فقد ذكره "لوثر" بنفسه في هذا الكتاب الموجز حين أخذ رسالةً من يهوديٍ حاور مسيحياً وجادله بالباطل، لائذاً بتزييف نصوص التوراة، كما هي عادة اليهود، فوضع "لوثر" هذه الرسالة وبعث بها إلى المسيحي مخاطباً إيّاهُ بـــ "سيدي الفاضل وصديقي الكريم"، لتكونَ جواباً للمتحاورين الإثنين؛ المسيحيّ واليهوديّ ولكنه لم

---

(1) راجع مقدمة الكتاب المذكور ص ٢٣.

(*) يتبنىّ هذا الرأي المؤلفون أصحاب الكتب الذي ذكرتها في مطلع مبحث (المسيح ولد يهوديا) من هذه الرسالة.

(2) تمّ ذلك في عهد "أوليفر كرومويل" وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

يستحسن أن يُدخِلَ اليهوديَ مع المسيحي في نداء المخاطبة بعد ذلك في أيِّ جدلٍ أو حوارٍ إذ لا فائدة من ذلك. وإنّما قصد "لوثر" من رسالته تلك أن يبيِّنَ للمسيحي صفة اليهود.

وقد جَرَتْ مقدمةُ هذه الرسالة (أو الكتاب المختَصر) كما كتبها "لوثر" بنفسه كما يلي:

النعمة لكم والسلام من الله

سيدي الفاضل وصديقي الكريم[١]

أخذتُ رسالة يهوديٍّ تـــنطوي على حوارٍ جدليٍ وقعَ بينه وبين مسيحيٍّ، وكان اليهودي في هذا الجدل وقحاً إلى حدِّ أنّه جعلَ يشوّهُ ويحرّفُ نصوص التوراة (والتوراة كتاب مُعتقَدِنا في السيد المسيح ومريم والدته) إبتغاءَ أن يَنقُضَ بذلك أساسَ ديننا.

وأوجّهُ إلى كِليكُما، أنت وهو، هذا الجواب:

ليس من قصدي مُعاركة اليهود في مناقشةٍ دينيةٍ، ولا أنا بحاجةٍ إلى أن أعلم منهم كيف يُفسّرون التوراة ويفهمونها، فقد وقفتُ على هذا كُلّه مِن قبل، **وأمعِنُ في القصد والغاية عندي أنْ ليس غرضي تنصير اليهود، إذ هذا أمرٌ مُستحيلٌ. وحتّى إذا تنصروا، إفتراضاً، فتنصُّرُهم لا يأتي بخير، أينما كانوا**، بل هم على الجملة أمسوا أسوأ حالاً. بعبارةٍ أخرى، إنَّ اليهود لمَّا لم تتركِ الضربات فيهم شيئاً من العِبرة، فقد تصلّبُوا بشعورهم وتحجَّروا، وباتوا لا يريدون أن يُحِسُّوا بالحيرة المطبقة عليهم فأعمتهم وهم لا يستطيعون أن يروا نهايةً لأمرِهم هذا، ولا الوقت الذي يَصِلُون فيه إلى ما يتمنّون (مِن إستراحةٍ) وهم لا ينقطعون عن الإبتهالات الدائمة والصّراخ إلى الله (على طريقتهم) وأقول، إذا كانت الضرباتُ لم تؤثّر فيهم أقلَّ تأثيرٍ، فلا إرتدعوا ولا إعتبروا، فحريٌّ بجدلنا معهم أن يكون عقيماً.

عرضٌ مختصرٌ لأبرز عناوين ومضامين كتاب (أكاذيب اليهود)

١. **نفيُ كون اليهود شعبَ الله المختار**. يقول لوثر: "فَغَضَبُ الله على اليهود، يقرِّرَ لنا النتيجة من أن اليهود قد رفضهم اللهُ، وليسوا هم بعد ذلك بشعبه، وليس هو بعد ذلك بإلهٍ لهم. وهذا وفق قول هوشع (يوشع) ١: ٩ "لأنّكم لستم شعبي ولا أنا لكم"[٢].

---

[1] الكلام فيما يلي للوثر، موجّةٌ إلى صديقه المسيحي الذي حاوره اليهودي حواراً شاذا.

[2] المرجع السابق ص ٨٣.

٢. **التنبيه على رفض مجادلة اليهود، لعدم وجود جدوى من ذلك.** يقول لوثر: "وبوجيز القول: لا تسترسل مع اليهود في الجدل الذي يتعلق بديننا. فإنّهم قد إرتضعوا الكراهة لربّنا من أثداء أمّهاتهم، ولُقّنُوا طرقَ التسميم في الطفولة فلا أملَ في إصلاحهم".[١]

٣. **اليهود هم أبناء إبليس وأولاد الأفاعي.** يقول لوثر[٢]: إن سيّدنا يسوع المسيح قد دعاهم "أولاد الافاعي" وفي إنجيل يوحنا ٨: ٣٩ "لو كنتم بني إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم". وفي إنجيل يوحنا ٨: ٤٤ "أنتم من أب هو إبليس، وشهواتُ أبيكم تبتغون أن تعملوها. هو من البدْء قتالُ الناس ولم يَثْبُتْ على الحق لأنّه لا حقَّ فيه، إذا تكلَّم بالكذب فإنّما يتكلَّمُ بما هو له لأنّه كذوبٌ وأبو الكذب ... فعلى شعبنا أن يحذر هؤلاء اليهود القساةَ المغضوبَ عليهم (ومِنْ دأبِهم إتّهامُ الله بالكذب، وآحتقارُ سواهم من البشر) حتى لا يقعَ شعبنا في أحابيلهم. وهم أبداً يُلقون إلينا بشباك الخديعة، والتغريرِ بنا لكي نقبل معُتقدَهم، ولا ينفكون عن هذا رمشة عين.

٤. **اليهود منافقون وسفّاحو دماء.** يقول لوثر[٣]: "وهم على الحقيقة المنافقون سفّاحو الدَّم بلا مراءٍ، ولم يكتفوا بتحريف التوراة، وتزييف كلامها من أوّلها إلى آخرها، مضيفين إلى ذلك تفاسيرهم المُضِلَّة، بل أشدَّ أمانيهم التي ترقص في قلوبهم، تطلُّعُهم إلى الوقت الذي يتمكَّنُون فيه من وضع يدهم علينا بالتسلُّط القاهرِ الماحي، لأنَّنا في نظرهم وَثَنيّون" [٤]

٥. **مدارس اليهود عشٌّ لإبليس.** يقول لوثر: "فإحذر اليهود كلّ الحذر، وإعلم أنَّ مدارسهم في أي مكانٍ ما هي إلا عشّ إبليس، حيث يُكثرون من التبجّح بأنانيتهم وإجترار العُجْبِ والخيلاء، وحَبْكِ حبال الكذب والتجديف على الله وخلقه،وهم يُمارسون كل هذا بأساليبَ غريبةٍ فتّاكةٍ، ويُتقنونه إتقانَ الأبالسة. وأينما وقع لك أن ترى يهودياً أو تسمع به أنَّه يتعاطى التدريس والتعليم، فلا تظنَّنَ أنك ترى ببصرك غير الأفعى".[٥]

٦. وقال في صفحاتٍ مختلفة من كتابه هذا عباراتٍ كثيرةً أنقل منها ما يلي حرصاً على عدم الاكثار من الآقتباس وإطالة الموضوع **اليهود هم السُّمُّ الناقع... إذا خلوا إلى أنفسهم لعنونا... تلمودهم أشرُّ من الفلسفة الوثنيّة ... وهم يدنّسون إسم المسيح ... وهم يدعون مريم العذراء بغيّاً ...**

---

(1) المرجع السابق ص ٨٤.

(2) المرجع السابق ص ٨٩ – ٩٠ بتصرف واختصار.

(3) المرجع السابق ص ٩٢.

(4) سفر توراتي مليءٌ "بالحديث عن نزعات القتل والإنتقام والعدوان".

(5) المرجع السابق نفسه ص ٩٨ – ٩٩ بتصر واختصار.

وهم يستعبدوننا بأموالنا ... وهم خانوا موسى وتبجّحوا بأنّهُ أباح لهم الربا ... وهم يتمنّون هلاك المسيحيين ... ويُجدّفون على الأناجيل.

وعلاوةً على ما وصف به اليهود من أوصافٍ في كتابه السابق فإنّ ناشري هذا الكتاب ذكروا في آخره كلاماً مُهمّاً مقتبساً من إحدى رسائله إلى زوجته قُبيلَ وفاته، وحملت هذه الكلمات عنوان (وصيّة لوثر) جاء فيها[١]: "متى ما إنتهيتُ من عملي الرئيسيّ وأتممته، فإني سأتفرَّغُ للعمل على طرد اليهود من البلاد. فإن "الكونت ألبرخت"[*] عدوٌ لهم، وقد تخلّى عنهم ونفضَ يده منهم، ولكن إلى اليوم لم يعتدِ عليهم أحد، ولم يبرحوا في نعمة "الأمان" الذي يحفظ سلامتهم. وبمعونة الله فإنّي في عظاتي المنبريّة سأكون عوناً "للكونت ألبرخت" وأكشفُ عن اليهود الستائر".

كما أورد الناشرون كلاماً له في آخر عظةٍ منبريّةٍ ألقاها وكان يحذّرُ فيها من اليهود، أذكرُ منها على وجه الإختصار بعض العبارات مثل "فكونوا أشداء على هؤلاء اليهود الذين لا ينفكُّون عن التجديف على سيدنا يسوع المسيح تجديفاً ليس هناك ما هو أبشع منه، واليهود يضعون نصب أعينهم أن يسلبونا حياتنا وعافيتنا وكرامتنا وما نملك ... وقد فرغ مني الصَّبر ولا طاقة لي على الأخذ والرد معهم في الجدل والكلام ... وبصفتي الوطنيّة، أبتغي أن أتوجَّه إليكم بهذا التحذير للمرّة الأخيرة، فلا تشتركوا مع هؤلاء الغرباء في شيءٍ يوقعكم في الخطيئة وأنتم تعلمون اني أودّ لكم الخير جميعاً، من الامراء والرعية."[٢]

يُستفاد ممّا سبق أنّ "لوثر" في آخر أيّامه قد رجع تماماً عن مواقفه السابقة التي أيَّد فيها اليهود ودعَمَهم دعماً مطلقاً فكان بذلك كالذي يصنعُ المعروف مع غير أهله. ويُستفاد أيضاً أنّه خاض أطول تجربةٍ في حياته وهي تجربة دعوة اليهود إلى المسيحيّة ولكنّه فشل في ذلك فشلاً ذريعاً.

ويُستفاد كذلك أنّه **كان متناقضاً جداً** في هذا الموضوع حيث ذكر في كتابه (المسيح وُلِدَ يهودياً) بكل جلاءٍ ووضوح رغبته في إستمالتهم إلى المسيحية، كما مرّ في المبحث السابق "**آمل أن الواحد منا لو تعامل مع اليهود برفق، وعلّمهم بكياسة من خلال الكتاب المقدس، فيتحول العديد منهم إلى مسيحيين مخلصين، ويرجعون إلى دين آبائهم من الأنبياء والأسباط**" لكنّه عاد وأنكر ذلك

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ١٥٠.

(*) كبيرُ أساقفة "ماينز" آنذاك.

(2) المرجع السابق نفسه، ص ١٥٠، بتصرف وآختصار.

اشد الإنكار في كتابه (أكاذيب اليهود) حيث قال حرفياً: **ليسَ غرضي تنصير اليهود؛ إذ هذا أمرٌ مستحيل، وحتّى إذا تنصّروا، إفتراضاً، فتنُّصرهم لا يأتي بخير**".

وهنا أجدُ أنّه من المفيد التنبه على أنّ شخصية لوثر، بالرغم من ألمعيّته كخطيبٍ ومتحّدث، كان فيها الكثير من التناقضات حيث كان يتخّذ بعض المواقف أو يكون سبباً مباشراً فيها ثمّ يرجعُ عنها والأمثلة على ذلك كثيرةٌ أذكر منها:

أولاً: في عام (١٥١٨م) وبعد أن أعلن الثورة والتمرّد على سلطات الكنيسته وبابا "روما" وإتّهمه بأنّه المسيح الدجّال وعدو الإيمان، حاول البابا إستمالته (قبل إصداره لقرار الحرمان) وبعث إليه برسالةٍ تحمل طابع الودّ والتسامح ودعاه للحضور إلى "روما" ليُدلي بإعترافه وعرضَ عليه مالاً لتغطية نفقات رحلته هذه ... "كان من تناقض لوثر أن كتب في اليوم نفسه رسالةً إلى "سبالاتان" يقول فيها "إنّي في حيرةٍ لا أدري هل البابا مُناهِضٌ للمسيح أم أنه رسوله؟؟[١] مع أنّه كان قد قال فيه (إنّ المناهض الحقيقي للمسيحيّة يُسيطرُ على البلاط الروماني وأنا أعتقدُ أنّهُ أسوأ من أيّ تُركي"[٢]

ثانياً: كانت آراء لوثر الثورية ضد الكنيسة والداعمة لكلّ تمرُّد وعصيان كما هو واضحٌ من (مقالة في الحرية المسيحية) قد تسبّبت في تهييج القلاحين والفقراء وإشعال أعمال شغَبٍ وسلبٍ ونهبٍ واسعة النطاق عام ١٥٢٤ – ١٥٢٥ عُرفت بإسم (ثورة الفلاحين) وأصدروا منشوراً في مدينة (صوَاب) أعلنوا فيه مطالبهم من الحكومة والكنيسة وطالبوا بتحكيم "لوثر" في أمر الثورة وعدالة مطالبهم وكان ممّا جاء في ذلك المنشور[٣]: "نطالب بالحقَّ في أن ننتخب نحن الراعي ونختاره ونعزله إن لم يسر سيرةً لائقةً. وعليه أن يُعلِنَ الإنجيل المقدّس بوضوح، من دون أن يُضيفَ أموراً بشريّة. نريد أن ندفع العُشْرَ المشروعَ ونرفضُ العشوراتِ غيرَ المشروعة. لم نَعُدْ نريد أن نُعَامَل كمُلكيَّة الموالي، فإنّ يسوع المسيح إفتدانا جميعاً، الراعي و"الإمبراطور" على السواء. يجب أن تُردَّ الأموالُ البلديّةُ إلى الجماعة، وأن تبقى السُّخرات في حدود ما تمَّ الإتّفاق عليه، وأن يكون العدلُ غير مُنحازٍ. أمّا نفقات الوراثة، التي هي سَلْب الأرامل واليتامى، فيجب أن تُلغى. وإن كان بند أو عدَّة من هذه البنود يناقض الكتاب المقدّس، فإنّنا نتخلّى عنه سلفاً. على الجميع سلام يسوع المسيح. آمين".

---

(1) ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٣، ص ٢٢.
(2) المرجع السابق نفسه ص ٢٠.
(3) مقتبسات من بنود فلاحي صُواب الإثنى عشر، فبراير ١٥٢٥، من كتاب تاريخ الكنيسة المفصّل، [م. س]، ص ٤١ – ٤٢.

فماذا كان موقف لوثر الذي رفع الفلاحون شعاراته وآراءه عندما طلبوا تحكيمه؟؟؟ لقد ردّ عليهم بإصداره لكتابٍ مليءٍ بهجاء الفلاحين بعنفٍ شديدٍ جاء فيه **(إلى زُمَر الفلاحين النهّابة والقتّالة، إسحقوا وإذبحوا وإطعنوا فإنَّ قتلَ المتمّرد هو قتلُ كلبٍ مسعورٍ)**[١]؟؟؟ وقد فهمت الحكومةُ آنذاك أنَّ لوثر يدعمها ويتخلّى عن الفلاحين وثورتهم "فقامت في ١٥ آيار من عام ١٥٢٥ بسحق وقتل ثلاثين ألف من الفلاحين المتمردين وكانت تلك بدايةً لقمعٍ رهيب حيث عُذّب الفلاحون وحُشِرَ بعضهم في حظائر وأبيدوا بالمدفع وأُعدمَ عشرات الألوف من الضحايا بشتى الطرق"[٢]

ثالثاً: ومن تناقضات لوثر أنَّهُ وفي فتوى "خاصّة" سمح للأمير "فيليب" آنذاك بالزواج من إمرأةٍ تُدعى "مارجريت" دون أن يُطلّقَ هذا الأميرُ زوجته الأولى "كريستين" مع أنّ عقوبة تعدد الزوجات آنذاك كانت الإعدام!! وقد تمّ زواج الأمير "فيليب" بحضور "بوسر" و"ميلانكتون" (صديق لوثر وتلميذه) وأرسل الأمير "فيليب" هديةً "للوثر" إعترافاً منه بهذا الجميل وشكراً له على هذه (الفتوى الخاصّة). ولمّا تسّربَ نبأ هذا الزواج الثاني "أنكرَ "لوثر" أنّه تمَّ بموافقته وكتب يقول: **إنّ لفظ "نعم" سرّاً يجبُ أن يظلّ "لا" علناً لصالح كنيسة المسيح**"[٣]!!!

رابعاً: ومن تناقضات "لوثر" كذلك أنّه إنقلبّ على الملك "هنري" الثامن ملك "إنكلترا" آنذاك وقام بمهاجتمه والطعن فيه وتجريحه علناً في حين أنّ الملك كان يحمل تُجاه الكنيسة شعوراً ينسجم مع شعور "لوثر" فإغتاط الملك "هنري" منه غيظاً شديداً وأعلن شجبه لحركة لوثر وآرائه ودينه الجديد، فهَلّلت الكنيسةُ لموقف الملك ومنحته لقب "حامي الإيمان".

وقد لخَّصَ ول ديورانت تناقضات "لوثر" بقوله[٤]:(وبدت أخطاؤه واضحةً للعين والأذن، فقد كان الفخر يشيع وسط تعبيراته الدائمة عن التواضع، وكان عقيدّياً ضد العقيدة، مفرطاً في الحماسة لا يُبدي أية مجاملةٍ لخصومه، ويتشبث بالخُرافات، في الوقت الذي يسخر فيه من الخرافة، ويندد بالتعصب ويمارسه في الوقت نفسه. وهكذا لم يكن قدوةً للصلابة أو مثلاً أعلى للفضيلة، ولكنه رجلٌ جمَع متناقضاتِ الحياة، وإنسانٌ مزَّقةُ بارود الحرب، وقد إعترف قائلاً "لم أكن أتوانى عن الإنقضاض على خصومي بلسانٍ حادٍ، ولكن ما فائدة الملح إذا لم يكن لاذع الطعم).

بينما كان المورّخ الأمريكي (J.V.D. South Worth) أشدَّ صراحةً في وصفه لتناقضات "لوثر" حيث شخَّص ولخَّصَ نقاط ضعفه وتناقضه في كتابه الشهير (قصّة العالم) بقوله: "إنَّ "مارتن

---

(1) المرجع سابق نفسه ص ٤٣ بتصرف واختصار.
(2) المرجع سابق نفسه ص ٤٣ بتصر واختصار.
(3) للتوسع في قراءة موضوع الزواج هذا، راجع ول ديورانت [م. س]، الكتاب ٢٣، ص ١٨٩ فما فوق.
(4) ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٣، ص ١٣٥.

لوثر" كان فيه شوائبُ ضعفٍ متعددةٌ بإعتباره زعيمَ حركة؛ كان ينساق إلى إتّخاذ قراراته بسرعة ومفاجأة، أو إرتجالاً، لا بعد الرويَّة والتأني، كما أنَّه كان عنيفاً في قوله وفعله، صارم العمل واللسان. فإنّه مع طعنه في الكنيسة لعدم تسامحها، فهو نفسه لم يكن أكثر تسامحاً من الزعماء الكاثوليك لما كان في سبيل إنشاء كنيسة له. وكان يضع خططه ليس بغاية الحَذَق والدقَّة، وكان له متناقضاتٌ في كثيرٍ تصرفه وخُطبه"[1].

وبناءً على ما سبق ذكره من تناقضات لوثر في سلوكه الشخصي وآرائه وتبديلها في كثيرٍ الأحيان فإنني لا أستغرب أبداً قيامه بتأليف (أكاذيب اليهود) وتضمينه لآرائه الجديدة المتعلقة بهم ....

يُستفاد ممّا سبق أنّ "لوثر" إنقلبَ على اليهود وأخذ في معاداتهم علناً والدعوة إلى طردهم من ألمانيا، ولكن إلى أين؟ إلى الأرض الموعودة (أرض كنعان)! ولكن هل إكتفى "لوثر" بالدعوة لطرد اليهود فقط؟ الجواب: لا، لم يفعل بل إنّه إقترح في هذا الكتاب ما يمكن أن نسميّه برنامجاً تصعيدياً رسم فيه خطواتٍ عمليّةً يمكن أن يقوم بها كل مسيحي لمحاربة اليهود وردّ أذاهم والعمل على محاصرتهم وطردهم ولعل أبرز هذه الخطوات هي التالية:

أولاً: الدعوة إلى إجتناب معابد اليهود ومدارسهم وتنبيه الشعب منهم وذلك من منطلق الإجلال لله وللمسيحيّة ولبيان عدم القبول بأفاعيل اليهود أباطيلهم وعدم السكوت عن شتم المسيح وآزدرائه بل إنّ الأمر قد وصل "بلوثر" إلى الدعوة إلى إحراق مدارسهم وبيوتهم مُستنداً بذلك إلى وثنّيتهم وإلى أن موسى، عليه السلام، قال في سفر التثنية (إنّ المدينة التي تمارسُ الوثنيّة يجبُ أن تخرب وتحرق فلا يبقى لها أثر) وأنّ موسى لو كان حيّاً في أيامهم تلك لكان أوّل من يخرب مدارس اليهود وبيوتهم ويُعمِلُ فيها النار.

ثانياً: الدعوة إلى منع اليهود من تملّك البيوت والمساكن داخل أحياء المسيحيين وذلك لأن اليهود يمارسون في بيوتهم الأمور التي يمارسونها في مدارسهم مع إمكانية السماح لهم أن يقيموا في مآوٍ أو "إصطبلات" ليفهموا من خلال ذلك أنّهم ليسوا سادةً مُطاعين بل أسرى الإغتراب والشتات.

ثالثاً: الدعوة إلى إنتزاع كتُب الصّلوات وأسفار التلمود من اليهود وذلك لإحتوائها على كل أنواع النفاق والأكاذيب واللعنات.

---

[1] بتصرف وإختصار The Story of the world J.V.D. South worth P 205 – 207.

رابعاً: الدعوة لمنع "الحاخامات" من ممارسة مهنة التعليم وذلك بسبب تماديهم في نشر الفساد وتسميم الأذهان وإستغلالهم طاعة الطّلاب وحُسن طواعيتهم لهم لأنّ في ذلك مخالفة لأحكام وشريعة الربّ.

خامساً: الدعوة لرفع الحماية الممنوحة لليهود والأمان المُعْطى لهم في الأسفار والإنتقال والذّهاب والإياب وإجبار اليهود على لزوم مساكنهم.

سادساً: الدعوة لمنع التعامل بالرّبا وذلك لأنّه المورد الوحيد لليهود، والدَّعوةُ لجمع العملة الذهبيّة والفضيّة الموجودة في البلاد لتُنفقَ في وجوهٍ مُعيّنة [لم يذكرها لوثر ولم يحدّدها] والدعوة إلى التصرُّف في الأموال التي تُجمعُ من اليهود على النحو التالي: "**كل يهودي يتنصَّرُ حقّاً ويثبتُ على التنصُّر، يُعطى مبلغاً من المال** ليقيم به أودَ عائلته وزوجته المسكينة وأولاده. ويُعانُ المرضى والعجزةُ منهم. فإنَّ أموالاً كهذه إنّما حصل اليهود عليها بطرق الغش والآبتزاز، فهي حرامٌ إذا لم تُنفق في هذه الوجوه التي يرضى الله عنها"[١].

ولعلَّ من الواضح تماماً من خلال النقطة السادسة تناقض لوثر مع ما ذكره في بداية الكتاب حين قال (ليسَ غرضي تنصير اليهود، إذ هذا أمرٌ مُستحيلٌ، وحتّى إذا تنّصروا آفتراضاً، فتنصُّرهم لا يأتي بخير) ذلك أنّ النقطة السادسة تحتوي على دعوةٍ غير مباشرةٍ لتنصير اليهود والإنفاق عليهم وردّ أموالهم إليهم إذا هم قاموا بذلك!!!!.

وقفةٌ هامّةٌ في تقسيم "مارتن لوثر" لليهود إلى قسمين

ممّا يُذكَرُ أنَّ لوثر قد قسّم اليهود إلى قسمين وذلك في معرض ردّه على إحتجاج اليهود بنصٍّ مِن سفر التثنية على إباحة تعاملهم بالربا وهذا النص هو (ولا تُقرض أخاكَ بربىً في فضّةٍ أو طعامٍ أو شيءٍ آخر مما يُقرَضُ بالرّبا، بل الأجنبي إيّاهُ تُقرضُ بالربّا) **حيث يرى "لوثر" أنّ هناك جنسين من اليهود؛ أما القسمُ الأول فهم الذين أخرجهم موسى من مصر إلى أرض كنعان، كما أمرهُ الله، وإلى هؤلاء أُعطيتْ الشريعة التي كان عليهم أن يعملوا بها في أرض كنعان، لا في رقعة غيرها، إلى أن يأتي المسيح. وأما القسم الثاني فهم اليهود الذين كانوا تحت حكم القيصر الروماني، لا تحت حكم موسى.**

---

[1] مارتن لوثر، أكاذيب اليهود، ترجمة عجاج نويهض وتقديم شفيق الحوت، ط دار الفكر ١٩٧٤، ص ١٢٧.

ويرى لوثر أنّ اليهود في أيامه هم من بذور ورواسب القسم الثاني وأنّ موسى عليه السلام، لا يعرفُ عنهم شيئاً ولا هم يعرفون موسى، لأنهم لا يعملون بأيّ حكمٍ من أحكام الشريعة التي أتاهم بها.

ويقترح "لوثر" على هؤلاء (القسم الثاني) أن يعودوا إلى أرض كنعان ويُقيموا فيها أحكام الشريعة وأن يُخْضِعوا لحكمهم الوثنيين والغرباء. وبما أنّهم يرفضون طاعة موسى، وهم عُصاةٌ عليه، وهم في بلادٍ أجنبيةٍ تحت حكم "القيصر"، فعليهم أن يعملوا بشريعة "القيصر" طائعين ويمتنعوا عن الرِّبا إلى أن يعودوا إلى طاعة موسى. وأنّ بوسعهم أن يكونوا في الأرض التي إنتهى بهم إليها موسى، وهي الناحية الأخرى من أرض كنعان. لأنّ موسى لم يُرَسل إلى المصريين ولا إلى البابليين، ولا إلى أيِّ شعبٍ آخر، وأنما أُرسل بالحصر إلى ذلك الشعب الذي إنتقل به من أرض مصر إلى أرض كنعان. وهذا ما ردده موسى كثيراً في سفر التثنية ... ويرى "مارتن لوثر" إضافةً لما سبق. أنّ ما أُقيمَ في عهد موسى من "كهنوتٍ"، وخدماتٍ كهنوتيةٍ وأحكام وأوضاع، كل هذا قد آندثر وزال منذ ما يقرب من ١٤٠٠ سنة، وأما شريعة موسى التي كانت مرعيّةً نافذةً قبل ذلك الوقت، فهذه الأخرى كانت قد إنحلَّتْ ايضاً وغابت عن الوجود. وأنّ يهود عهد "القيصر"، يجب أن تجري عليهم أحكام شريعة "القيصر"، ومعاملُتهم يلزمُ أن تكون حسب هذه الشريعة "القيصريّة". لا حسب الشريعة الموسوية المنطوية البساط فاليهود ليس لهم أرض يملكونها كما للأمم.

ولكن ماذا عن تأثير هذا الكتاب (أكاذيب اليهود) في المجتمع الأوروبي أيام لوثر؟؟؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذا الكتاب لم يحصّلْ الشهرة التي حصّلها الكتاب الأول (المسيح ولد يهودياً) ولم يترك الأثر أو الانطباع الذي تركه الكتاب الأول، وذلك كما أرى للأسباب التالية:

١. إنّه كُتبَ في فترةٍ زمنيةٍ شاخَ فيها لوثر وتعب وفقد الكثير من نجوميته وقدرته في التأثير على قلوب الناس، حيث كتبه قبل وفاته بسنتين فقط وكان في تلك الأيام ميّالاً للإنعزال في ديره الملاصق لجامعة "فتنبرغ" وقليل الخلطة بالناس.

٢. إنّ اليهود حاربوا هذا الكتاب وعملوا على إخفائه وإبادته بطرقٍ خبيثةٍ على مدى أكثر من أربعة قرون، كما ذكر ناشرو الكتاب في مقدّمته.[1]

٣. إن الكتاب الأول إنتشر وذاع صيته على مدى واحدٍ وعشرين عاماً وقد أُعيدَ طبعه، كما ذكرت، سبع مرات في أول سنةٍ نُشر فيها، بعكس هذا الكتاب الذي إنتشرَ بصعوبةٍ بالغةٍ.

---

(1) المرجع السابق، ص ١٦.

وممّا يدعو للإستغراب في معرض الحديث عن هذا الكتاب "أنّ ممثلي "الإتحاد اللوثري" المجتمعين في مؤتمرهم في "استوكهولهم" في "السويد" في الفترة ١١ – ١٣ تموز ١٩٨٣م قد أعلنوا عن عدم إلتزامهم بكل ما صدر عن لوثر بشأن اليهود. كما عبَّر مؤتمر رؤساء الكنيسة "اللوثرية الأمريكية" الذي إنعقد في مدينة "سانت لويس" في ٩/تموز/١٩٨٣ عن أسف "اللوثريين" وعدم علاقتهم بالملاحظات المتطرّفة التي سبق "لمارتن لوثر" أن أبداها تجاه اليهود"[١]؟!!!!

---

[1] د. يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع الصهيوني ص٢٥، من منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة اطروحات الدكتوراه نقلاً عن صحيفة (الواشنطن بوست) عدد ١٦/تموز/١٩٨٣.

المبحث السادس

من زعماء البروتستانتيّة

(زوينجلي وكالفن)

تبيَّن ممّا سبق الأثرُ الكبير الذي أحدثتهُ آراء ومعتقدات "مارتن لوثر" في التغيير من أوضاع اليهود. وقد إنتشرت معتقداتهُ وآراؤه (الإصلاحيّة!!) تلك ولاقت لها أنصاراً كثيرين في بعض البلدان الأوروبية المجاورة، وكان من أبرز هؤلاء السويسري "أورليخ زوينجلي" والفرنسيّ "جون كالفن" الذي فَرَّ إلى سويسرا خوفاً من ملاحقة ومحاكمة الكنيسة الكاثوليكيّة له خصوصاً بعد إعلانه عن معتقداته الجديدة وآرائه بوجوب العودة إلى الكتاب المقدَّس وضرورة فهم العهد القديم والعمل به كمقدمةٍ لفهمٍ صحيح للعهد الجديد. وقد ساهمت أفكاره بشكلٍ فعّال، كما سيأتي لاحقاً، في نشأة الجماعات الطّهورية أو التطهيريّة[١] التي رفعت من شأن اليهود في "إنكلترا" وردّت لهم ولمعتقداتهم التوارتيّة كُلَّ الإعتبار بعد أن كانوا قد طُردوا من إنكلترا شرَّ طردةٍ[٢]. فَمن هما هذان المُصلِحان وما أبرزُ آرائهما ومعتقداتهما؟؟!.

أولاً: أورليخ زوينجلي (هولدرش زفنغلي).

"ولد هولدرش زفنغلي في الأول من كانون الثاني عام ١٤٨٤م (أي بعد ولادة لوثر بسنةٍ واحدةٍ) في "فلدهاوس" في شرق سويسرا وكانت عائلتهُ ريفيّةً كثيرة الأولاد وأبوه قاضي القرية ... وبعد إتمامه دروساً لاتينيّةً في "بيرن" و"فيّنا" تردد من عام ١٥٠٢ إلى عام ١٥٠٦ إلى جامعة "بال" وكان آنذاك كاهنا معاوناً في رعيّة "غلارس"[٣] ... وإتسع مجال عمله، حين وصلَ إلى "زيورخ" في نهاية عام ١٥١٨م. وكان مجلس كهنة "الكاتدرائية" قد إنتخبه في ١١ كانون الأوّل ١٥١٨ خوري الكاتدرائيّة. فكان لوعظه في "زيورخ" صدىً واسعٌ، مكّنه من التأثير في الرأي العامّ .

"إبتكر "زفنغلي" مؤسَّسة تعليميّةً هي حلقة دروس كتابيّة حلّت محلّ رتبة الترتيل في "الكاتدرائية" آبتداءً من حزيران ١٥٢٥. وكتاب "زيورخ" المقدّس (١٥٢٩)، الذي ما زال يُنشَر في أيّامنا، هو ثمرة هذا العمل، المترجم إلى عدّة لغات (إلى العبريّة واليونانيّة واللاتينيّة) وهو نوع من الحلقة الدراسيّة المعدَّة لبنيان المؤمنين واختيار خُدَّام الغد الروحيّين.

---

(1) "البيوريتان" أو المتطهّرون الأتقياء كانوا يعتقدون أنّهم الورثةُ المختارون لعهد إبراهيم مع الله وأعتبروا أنفسهم التجسيد الحيّ لأنبياء إسرائيل وإستمدوا من أولئك الأنبياء هديهم ومن سفر المزامير راحة نفوسهم.

(2) كان قرار طرد اليهود من إنكلترا قد صدر في عهد حكم الملك إدوارد الأوّل.

(3) راجع مقالة ريتشارد شتوفر (أستاذ في كلية اللاهوت البروتستانتيّة بباريس)، بعنوان "لوثر وسائر المصلحين"، في كتاب "تاريخ الكنيسة المفصل" [م. س]، ج٣، ص ٥٨ بتصرّف واختصار.

وترجم "زفنغلي" نفسه ٢١ سفراً من العهد القديم"[1] ... وكان شديد التأثر بأفكار "مارتن لوثر" ودعوته ووافقه في الكثير من آرائه ومعتقداته لكنّه إختلف معه إختلافاً شديداً في رمزيّة العشاء المقدّس وتفاقم الإختلاف إلى درجةٍ وصلت العداء بينهما وبين أتباعهما، وقد حمل "لوثر" على "زوينجلي" بسبب قوله [إنّ العشاء الربّاني كان إحتفالاً لم يكن حضور المسيحُ فيه بلحمه ودمه إلاّ حضوراً رمزياً]. وقد بقي لوثر على كراهيته "لزوينجلي" وعلى إعتقاده بأنه كاهنٌ كافرٌ إلى حين وفاته. مات "زوينجلي" بعد معركة بين أتباعه وبين الكاثوليك وقعت في ١١/أكتوبر/ ١٥٣١ قُتل فيها أكثر من خمسمائة رجل من أهل "زيورخ" وكان له من العمر سبعةٌ وأربعون عاماً، وقام الجُنود الكاثوليك بعد موته في ساحة المعركة بتمزيق جسده إلى أربعة أجزاء، ثم أحرق على محرقة نصبت فوق الرّوث وعندما سمع "لوثر" بموت "زوينجلي" هتف يقول: [إن هذا حكم السماء على كافر وإنتصار لنا] ويُروى إنه قال: [كم أود من أعماق قلبي لو أمكن إنقاذ حياة زونجلى ولكني أخشى أن يحدث العكس لأن المسيح قال إنه: ملعون كل من يكفر به][2].

وكما تأثر لوثر بتعاليم التوراة والتي منها محاربة وضع الصور والتّماثيل في أماكن العبادة فإنّ "زوينجلي" قد تأثر بذلك أيضاً "فأمر مجلسَ مدينة "زيوريخ" برفع كل الصور الدينية ومخالفات القديسين والزينات من كنائس المدينة"[3] وقد علّق "ول ديورانت" على ذلك بقوله[4]: "إنّ في ذلك دلالةً على عودة المسيحيّة البروتستانتية إلى تقاليدها اليهودية الأولى. وكان "ول ديورانت" بعد تعليقه هذا قد ذكر جزءً من رسالةٍ وجّهها "زوينجلي" إلى "فرانسيس الأول" بعنوان (عرض موجز وواضحٌ للعقيدة المسيحية) عبَّر فيها "زوينجلي" بكل وضوح عن إقتناعه بأنّ أيَّ مسيحيٍ يجدُ عند وصوله إلى الفردوس كثيراً من اليهود والوثنيين الأجلاء"!!![5]

وقد كان زوينجلي مفتوناً باللغة العبرية (لغة العهد القديم) وقال فيها: "لقد وجدتها لغةً مُقدَّسةً فوق كل ما يعتقده الناس، لغة مهذّبةً رشيقةً جليلةً، وعلى الرغم من فقرها في عدد الكلمات، فإنّ أحداً لا يشعر بهذا النقص، لأنها تستخدم حصيلتها من الألفاظ بأساليب شتى. والحق أني قد أجرؤ على القول بأن الإنسان إذا أدرك جلالها ورشاقتها، لوجد أنه ليس هناك لغة أخرى تستطيع أن تعبّر عن الكثير بمثل هذا العدد القليل من الألفاظ، وبمثل هذه التعابير القوية، وليس

---

[1] راجع مقالة ج. ف. بوليه، " زفنغلي"، في كتاب تاريخ الكنيسة المفصّل [م. س]، ج٣ ص ٧٣ بتصرف واختصار.
[2] ول ديورانت [م. س]، ج٢٣، ص ١٢٨ بتصرف واختصار.
[3] ول ديورانت، [م. س]، ج٢٤، ص ١٢٠.
[4] المرجع السابق نفسه ص ١٢٠.
[5] المرجع السابق نفسه ص ١٢٧.

ثمة لغة مثلها غنية بأساليب التصوير المتعددة الجوانب، الزاخرة بالمعاني، وليست هناك لغة مثلها تبهج القلب وتنفذ إليه بسرعة".[١]

ثانياً: جون كالفن

(ولد جون كالفن في سنة ١٥٠٩م في مدينة نويون الفرنسيّة (أي أنّ ميلاده كان بعد مولد "مارتن لوثر" بستٍّ وعشرين سنة) ولذلك فهو ينتمي إلى الجيل الثاني من (المصلحين البروتستانت) وقد وُصِف بإنّه التلميذ العبقري "لمارتن لوثر")[٢] وكان أبوه وكيل أعمالٍ في خدمة "أسُقف" تلك المدينة ومجلسها الكاتدرائيّ.

وبعد أن تردَّد كالفن إلى مدرسة البلدة، واصل دروسه في باريس (وكان والده يُعدّه للكهنوت) وحاز في حوالي ١٥٢٨م، على درجة مدرّس في الفنون. ثمّ إنصرف في جامعة أورليان، إلى الدروس الحقوقيّة، وقد كان والده يعتبر هذه الدروس أكثرَ فائدةً لحياته المهنيّة من المعلومات اللاهوتيّة. ثم ذهب إلى "بورج" لمتابعة دروس في القانون الرومانيّ. ولمَّا توفي والده في ١٥٣١م أكمل إجازة الحقوق في جامعة "أورليان"، وذهب بعدها إلى "باريس" حيث إكتسب معرفة اليونانيّة والعبريّة التي ساعدته ليكون، في وقت لاحقٍ، مفسّراً للكتاب المقدّس ... عاد بعدها إلى باريس لمواصلة دروسه في فقه اللغة. (وفي غد عيد "جميع القدّيسين" سنة ١٥٣٣م اتُّهم "كالفن" بأنّه حرَّر الخطاب الافتتاحيّ الذي ألقاه رئيس الجامعة، والمتَّسم بالطابع "اللوثريّ"، فإضطرَّ إلى مغادرة العاصمة على عَجَلٍ والذهاب إلى "أنغوليم" ومن بعدها إضطر لمغادرة فرنسا إلى مدينة "بال" في "سويسرا" ثم إلى مدينة "جنيف" التي بقي فيها حتى وفاته عام ١٥٦٤م!!!)[٣]

ومن الواضح أنّ (جون كالفن) قد كان نجماً لامعاً في عالم الكنيسة، مع أنّه لم يكن قد جاوز السابعة والعشرين من عمره، وذلك لأسباب، كما أراها، هي التالية:

أولاً: الموقع الجغرافي المميّز لمدينته "جنيف" حيث كانت تقع على حدود أربع دول.

ثانياً: سرعة إنتشار مؤلفاته وأبحاثه التي أسَّس من خلالها عقائد المذهب الكالفيني والكنيسة الانجيلية[٤] وإستوعب فيها معظم، إن لم يكن كلَّ، ماكتبه سلفُه السابقُ "زوينجلي" ومن أهمها كتاب (الأسس المسيحيّة).

---

(1) إميل أمين، [م. س]، ص ٤٥ نقلاً عن ول ديورانت في قصة الحضارة، مجلد ١٣ فصل ٢٢.

(2) مقالة ريتشارد شتوفر، "الوثر وسائر المصلحين"، من كتاب تاريخ الكنيسة المفصّل [م. س]، ج٣، ص ٥٩ بتصرف واختصار.

(3) مقالة ريتشارد شتوفر، "كلفين: الرجل وأفكاره"، المرجع السابق نفسه ج٣، ص ٧٧ بتصرف واختصار.

(4) تُسمّى كنيستهم الإنجيلية، لأنَّ أتباعَ تلك الكنيسة يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الخضوع لأحدٍ آخرَ أو طائفةٍ أخرى، فلكلٍّ قادرٍ الحقُّ في فهمه، وهذا الاتجاه منهم في فهم الإنجيل يعارضون به الكنائس الأخرى التي تعتبرُ فهم الإنجيل وقفاً على رجال الكنيسة.

ثالثاً: تمتُّعه بمواصفات شخصيةٍ أعانته على أن يكون فاعلاً مؤثراً في الجمهور، ويشهدُ على ذلك ما ذكره هربرت فيشر[١] "وفي عام ١٥٦١ كتب سفير البندقية إلى "الدوق" ما يلي: "إنه ليصعب على قداستكم تصديق القوة والنفوذ اللذين يتمتع بهما في هذه البلاد أكبرُ حكّام الكنيسة في جنيف، واسمه كلفن، وهو فرنسي من مقاطعة بيكاردى. إنّ له سلطاناً خارقاً، يفوق كل الآخرين بأسلوب حياته وتعاليمه وكتاباته".

بذل كالفن كل جهده ووقته وإمكانياته "لجعل جنيف جمهوريّة إنجيليّة"[٢] وعمل قدر المُستطاع على إنتشار المذهب المشيخي[٣] الذي إنتشر فكره فيما بعد في سويسرا وأسكتلندا وإنجلترا وأمريكا.

وقد إستفاد اليهودُ من أفكار "كالفن" المنادية بوجوب العودة إلى الكتاب المقدس والتمسّك به حرفيّاً بعهديه القديم والجديد. وقد كانت تلك بدايةً لظهور نَفَسٍ يهوديٍ أو على الأقل متهوّدٍ في الكالفينية؛ ويشهد على ذلك ما يلي:

أولاً: الإشارات بل التصريحات المتكرّرة التي يذكرها ول ديورانت حول وقوع "كالفن" تحت التأثير اليهودي ومن ذلك تعقيبه على مبدأ (الجبر في اللاهوت الكالفني) بقوله[٤]: "حقاً إنَّ فكرة "كالفن" عن إختيار الله لبعض الناس قد يكون مديناً بها للصبغة اليهوديّة في العقيدة كما تدين البروتستانتية بالكثير للعهد القديم بصفة عامة".

ثانياً: ذكر ليونارد يونج (Leonard Young) معلوماتٍ خطيرةً تتعلق بحقيقة وأصل جون كالفن فقال[٥]: **إنَّ "كالفن" هذا من أصل يهوديّ وتحوّل إسمهُ من "كوهين" إلى "كالفن" وإنتقل إلى "سويسرا" وفرَّقَ عدداً كبيراً من رجاله لبذر بذور الثورة تحت ستار الدّين. وإختارهم من الخطباء المقْتَدِرين،** ونال "إنكلترا وأسكتلندا" من ذلك نصيبٌ كبيرٌ. وهؤلاء العملاء في بريطانيا مهّدوا الأحوال للثورة ثمّ لعودة اليهود إلى بريطانيا بعد أن طُردوا منها. وكانت الحوافز في الحركة متَّشِحةً صبغةً دينيّةً في الظاهر ولكنّها في باطنها تعتمدُ على روح الشرّيعة الموسوية ونظام السّبت وقواعد التوراة. ثم نشأت عن هذا كله بعد زمن، فرقٌ "بروتستانتية" بالعشرات، وظهرَ مِن هذه الفرق مَن كان نصيراً للصّهيونية، واليهودية العالميّة.

---

(1) هربرت فيشر، [م. س]، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.
(2) المرجع السابق نفسه ص ١٥٢.
(3) المذهب الذي يختار فيه الشعبُ من بين أبنائه مجلساً للكنيسة يرأسه الراعي.
(4) ول ديورانت، [م. س]، الكتاب ٢٣ ص ٢١٦.
(5) Leonard Young , Deadlier than H. Bomb, Britons Publishing Society, London, 1965, Page 18.

ثالثاً: كان جون كالفن متشدّداً جداً (كأستاذه لوثر) في وجوب الأخذ بالكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد وممّا زاد من عدد داعميه، إن لم أقل أتباعه، من يهود أوروبا عامّةً و"إنجلترا" خاصّةً بعد إنتشار مذهبه فيها "**إقرارُه بمشروعيّة الرّبا**. ولا يخفى على أحدٍ ما لهذا الطرح من هوىً في نفوس اليهود في جميع أصقاع المعمورة وهم الذين ألفوا هذا اللون من ألوان النشاط التجاري غير المشروع"[(١)]

يُستفادُ ممّا سبق أنّ زعيمي الإصلاح البروتستانتي بعد "لوثر" قد ساهما في نشر البروتستانتيّة خارج الحدود الألمانية وبالذات "جون كالفن" فقد "كانت الكالفينيّة أكثر أشكال الإصلاح البروتستانتي في إتّساع مداها وأعمقها تأثيراً؛ فقد خلقتْ الكنيسة البروتستانتية في فرنسا، وشكّلتْ الجمهورية الهولندية، وقبِلها الإسكتلنديون ديانةً قوميةً لهم. وقبل وفاة كالفن كانت المقاطعات البروتستانتية في سويسرا الشرقية قد قبلتها، ... وإعتنقها معظم المجريين الذين خرجوا على روما وحتى في إنجلترا، حيث كان عليها أن تواجه تياراً جارفاً من الروح المحافِظة، كان لها أثرها البارز في المواد التسع والثلاثين التي تؤلفُ العقيدةَ التي أقرّتها الكنيسة القوميّة"[(٢)]

ويُستفادُ ممّا سبق كذلك أنّ البروتستانتيّة وبالذات "الكالفينيّة" منها قد وطّدت فكرة العودة إلى الكتاب المقدّس بعهدية وأوجبت العمل بنصوصه وإحياء تعاليمه وشريعته (وبالتالي تحقيق نبؤاته كما سيأتي لاحقاً) **ومع أنّ الكاثوليك والأرثوذكس يقدّسون التوارة ويعتبرونها تمثّلُ كلام الله إلاّ أنهم يرون أن نصوصها غير ملزمةٍ لهم "لأنّهم يرون أنَّ المسيح أعطاها تأويلاً جديداً وفتحَ برسالته ودمه عهداً جديداً فلم يَعُدْ من الواجب الأخذْ بحرفيّة شريعة التوراة لأنها أصبحت عهداً قديماً والمسيحُ جاء ببيان تأويلها والمقصود الحقيقيّ منها الذي هو شريعة الروح لا الحرف**"[(٣)]. وأجدُ من المناسب هنا التنبيه إلى أنّ الكتاب المقدّس يحتوي على التوراة والإنجيل وأنّ التوراة تفوق الإنجيل في حجمها ومضمونها وعلى سبيل التوضيح والتخصيص أقول إنني أعتمدتُ في رسالتي هذه نسخة الكتاب المقدّس (الترجمة التفسيرية) الصادرة عن (جي، سي، سنتر بمدينة القاهرة) وهي الطبعة الثالثة في عام ١٩٨٨م وقد كان عدد صفحات التوراة (العهد القديم) فيها (١١٢٨ صفحة) بينما كان عدد صفحات الإنجيل (العهد الجديد) فيها (٣٩٥ صفحة) وذلك دون إعتبار المقدّمات في كلّ منهما!!! وبما أنّ التوراة لها النصيب الأكبر من صفحات الكتاب المقدّس، كما ثبت لدينا من

---

(1) إميل أمين، [م. س]، ص ٦٨.
(2) هربرت فيشر، [م. س] ص ١٥٤ ــ ١٥٥.
(3) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم ، ط٢، ٢٠٠٥، دار الأوائل للنشر والتوزيع.

المثال السابق، فإنّه من المنطقيّ والطبيعيّ أن يكون تأثيرها أكبر في حياة الإنسان المسيحيّ (البروتستانني على وجه الخصوص).

"وقد بيّن الأب "ديفيد ف. ريغان" راعي كنيسة أنطاكيه المعمدانية بمدينة "نوكسفيل" (ولاية تنَّسي الأمريكية) دونَ لبسٍ النتيجة المنطقية التي ترتّبت على طغيان العهد القديم على الجديد. وذلك في مقال له بعنوان: "**ماذا يقول العهد الجديد عن اليهود**". **ومما قاله الأب ريغان في مقاله مخاطباً اليهود**: "**إنّ المؤمنين المَعمدانيين يشكّلون إحدى أقوى الجماعات المؤيدة للأمة الإسرائيلية، وحبُّنا لإسرائيل حبٌّ عميقٌ جدّاً، وهو جزءٌ لا يتجزّأ من إيماننا ... إنّ كتابنا المقدّس يتألّف من عهدٍ قديم وعهدٍ جديدٍ، وعهدُنا القديم هو نفسه توراتكم اليهودّيةُ. ولمّا كانَ العهدُ القديم ضِعفَ العهد الجديد ثلاث مرات، فإنّ ٧٥% من كتابنا المقدّس هي نفسها كتابكم، وذلك كثيرٌ من التُّراث المشتَرك ... إنّ إيماني بصحّةِ العهد الجديد هي السببُ في حبّي العميق للشعب اليهودي**"(١)

يُستفادُ ممّا سبق ظهورُ تلازُمٍ في العلاقة المسيحيّة اليهودّية كان مصدره الدعوة البروتستانتيّة المنادية بالأخذ بحرفيّة الكتاب المقدّس بعهدية الجديد والقديم بعد أن كان هذا العهد القديمُ مهجوراً رمزياً لا يعدو كونَه كتابَ قصصٍ قديمةٍ وحكاياتٍ عن دولةٍ إنقرضت وبادت كان إسمها "مملكة إسرائيل" أو "الدولة اليهودّية" ... **وقد كان هذا الربط بين العهدين والتأكيد على وجوب الأخذ بكليهما توطئةً هامّةً لظهور ما يُسمّى "بالمسيحية اليهودية" أو "المسيحيّة المتهوّدة" أو "المسيحيّة الصهيونيّة" أو "الأصولية المسيحيّة" أو "الأصوليّة الإنجيليّة"**. وهي كلُّها مُسمَّياتٌ لتيارٍ واحدٍ.

وقد عرّف الدكتور يوسف الحسن هذه بأنها "**مجموعة المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين مسيحيين وبخاصّةٍ بين قيادات وأتباع كنائس بروتستانتية، والتي تهدف إلى تأييد قيام دولةٍ يهوديةٍ في فلسطين بوصفها حقاً تاريخياً ودينياً لليهود، ودعمها بشكل مباشرٍ وغير مباشرٍ بإعتبار أنّ عودة اليهود إلى الأرض الموعودة، فلسطين، هي برهانٌ على صدق التّوراة، وعلى إكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية**".(٢)

امّا عن الأصولية فقد عرّفها بأنها **مصطلحٌ يُطْلَقُ على الإتجاهات الدينيّة المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفيّة للكتاب المقدس، سواء العهد القديم أو العهد**

---

(1) محمد المختار الشنقطي، المسيحيّة الصهيونيّة والسياسة الأمريكية ج٤ مشكلة المصادر ص ٢. من منشورات مجّلة العصر على الإنترنت.

(2) د. يوسف الحسن، [م. س] ص ١٢.

الجديد، والمقتنعة بأنه يتضمّن توجيهاتٍ لمجمل الحياة بما في ذلك الشؤون السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى "إستعادة اسرائيل والعودة الثانية للمسيح"[١]

وإنّما إقتصرتُ على ذكر هذين التعريفين للدكتور يوسف لإنني رأيتهما جامعين لكل التعريفات المتداولة بين المؤلفين الذين كتبوا في هذا الموضوع.

وبناءً على ما سبق يمكننا أن نؤكد على خطورة الدَّور الذي قام به الدعاةُ البروتستانت في وضع اليهود على خارطة العالم، والأحداث بعد أن إختفوا في صفحات التاريخ والنسيان عهوداً طويلةً، وقد كان من نتيجة ذلك، أن غلب الطابعُ اليهودي على المسيحيّة البروتستانتيّة، في معظم طوائفها وإستحقّت عن جدارةٍ أن تُصنّفَ بأنها مسيحيّةٌ يهوديةٌ. لأنّها لو لم تكن كذلك فكيف يصحُّ أن نفهم إستعمالهم للعبريّة لغةً للصلاة في كثير من كنائسهم، وفي تلاوتهم للكتاب المقدّس، وإعتقادهم بأنها اللّغةُ التي كلّمَ اللهُ بها الإنسان؟؟!!. وكيف يصحُّ أن نفهمَ تعميدهم لأطفالهم في كنائسهم بأسماءٍ عبريّةٍ، بعد أن كانوا يسمّونهم بأسماء القدّيسين المسيحيين؟؟، وعلى أيّ وجهٍ نفهم إحتفال الكثير من طوائفهم بعيد السبت عوضاً عن الأحد؟؟، وكيف نفهم تدريس جميع مدارسهم اللاّهوتيّة للتاريخ العبريّ والعهد القديم؟؟؟، وكيف يصحُّ في الختام أن نفهم إصرارهم على نشر نبوءات التوراة والعمل على محاولة تحقيقها طيلة القرون الماضية حتى يومنا هذا؟؟؟، إنّ الجواب الوحيد على التساؤلات السابقة كلها هو المسيحيّة المتهّودة، التي جعلت من إنجيلها وكنائسها وتراثها وحضارتها مطيّةً لليهود، حتّى كادت هويتها المسيحيّة تذوب وتختفي. يقول الأستاذ المسيحي عيسى اليازجي "لقد دعونا إلى تنقية التعاليم المسيحيّة من البدع التهويديّة التي جعلتْ لإسرائيل وآلهتها وأنبيائها مكاناً في صلواتنا ... إنّ إستمرار تأثير المسيحيّة المتهوّدة في المسيحيّة مدعاةٌ لإفناء تعاليمها، وهو ما تحاول الصهيونيّة العالميّةُ فعله اليوم"[٢].

لقد كان من نتائج المعتقدات والآراء التي نادى بها قادة الإصلاح البروتستانتي ظهور فرق بروتستانتيه شديدة الحرص على التمسُّك الحرفي بالكتاب المقدّس والمغالاة في تطبيقه في الحياة اليوميّة ومن هؤلاء طائفة البيوريتان أو (التطهيريين) أو (المتطهّرين) وهي الأكثر خطورةً، كما أرى، في تاريخ الفرق البروتستانتيّة وعنها سيكون الحديث في بداية الفصل الثاني بعونه تعالى.

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ١٠.

(2) الأستاذ عيسى اليازجي، المسيحيّة المتهودّة في خدمة الصهيونيّة العالميّة، ط١، ٢٠٠٤، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، العبارة السابقة مخطوطة على الغلاف الخارجي للكتاب.

الفصل الثاني

البروتستانت التطهيريون "البيوريتان" في إنجلترا وأمريكا

المبحث الأول: التطهيريون "البيوريتانت".

المبحث الثاني: البروتستانتية في أمريكا.

المبحث الثالث: المسيحيّة المتهوّدة في أمريكا قبل قدوم البروتستانت.

المبحث الرابع: التراث البروتستانتي الصهيوني.

المبحث الأول

التطهيريّون "البيوريتان"

إنتهينا فيما سبق إلى ظهور تيّار يهودي طاغٍ في المسيحيّة البروتستانتيّة، وبالذات تلك التي إنتشرت في عهد "جون كالفن"، وفيما بعد "كالفن". وقد أدّى هذا التيّار إلى نشأة فرقٍ تشدَّدت في المناداة بوجوب العودة إلى الكتاب المقدّس، وإحيائه بحرفيّته لا بروحه، وكان من أبرز هذه الفرق المتشدّدة في ذلك فرقة "البيوريتان"[(١)] أو "التطهيريون". (التي كان أول ظهورٍ لها عام ١٥٦٤ في "إنجلترا" بين رجال الدّين البروتستانت الذين أرادوا تنقية الكنيسة الإنجليزية. وكان الداعية لهذا "روبرت براون". وكان أتباعه في بداية الأمر يُسَمَّون "البراونيّون" ودعوته "البراونيّة" وذلك نسبةً إليه. وتُعتبرُ "البيوريتانيّة" من الحركات العقائدية التي ظهرت في إنجلترا، كحركةٍ إصلاحية للكنيسة الإنجليزية "الانجليكانيّة" ولكنها كانت أكثر تزمُّتاً وتعصُّباً. وقد كانت على صلة وثيقة "بالكالفينية" في "جنيف" لأنّ كلاً من "البيوريتانية والكالفنيّة" كانتا متزمتتين ومتقيدتين بحرفيّة العهد القديم).[(٢)]

أمّا عن الأوضاع في إنجلترا آنذاك فكان من أبرز أحداثها في العلاقة بين السلطتين الدينيّة والمدنيّة (تطليق الملك هنري الثامن لزوجته (كاترينا آراغون) لإنّها لم تُنجبْ له وارثاً ذكراً لعرشه إضافةً لرغبته في الزواج من إحدى سيّدات البلاط الملكي وإسمها (آن بولين)، فرفض البابا إعطاءه الإذن بالطلاق فلجأ "هنري الثامن" إلى لجنةٍ "**كَنَيسةٍ إنجليزيّة**" أفتته بجواز طلاقه، فما كان من البابا إلاّ أن قام بإعلان "الحرمان" ضد هنري الثامن. وقد كان ذلك في عام (١٥٣٣م) فقام "هنري الثامن" ردّاً على قرار حرمانه هذا بتنظيم كنيسةٍ إنجليزيّة مُستقلةٍ لا تخضع للسلطة البابويّة ولكنيسة "روما". ونصَّبَ "هنري الثامن" نفسه رئيساً مباشراً لهذه الكنيسة وسُمِّيت بـِ **الكنيسة الإنجليكانيّة)**[(٣)] وقد توطّدت وإستقرت ملامح هذه الكنيسة الإنجليكانية كما نعرفها اليوم في عهد الملكة إليزابيث (إبنة هنري الثامن من زوجته الثانية آن بولين) وهي ثالث شخص تولىّ الحكم بعد وفاة هنري الثامن. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ هنري الثامن "حين أعلن نفسه رئيساً أعلى لكنيسة إنجلترا، لم يطالب لنفسه بوظائف روحيّة بكلّ معنى الكلمة، بل أراد أن يؤكّد، في وجه البابا بصفته ملكًا زمنيًّا، أنّه ما

---

(1) كلمة Puritans مأخوذة من كلمة (Pure) والتي تعني الطاهر أو النّقي وهي تعني التطهيريين أو المتطهرين.

(2) الاستاذ سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص ١٨٦، ١٨٧ الأستاذ إميل أمين، ذئاب في ثياب حملان، ص ٣٥٢ والدكتور أحمد محمد عوف، المؤمرات الخفيّة ضد الإسلام والمسيحيّة، ص ٩٢، ٩٣ بتصرف واختصار، ط١، ١٩٩٢، الزهراء للإعلام العربي.

(3) راجع مقالة الأستاذ مرسال سيمون "نشأة الكنيسة الإنجليكانية" الواردة في كتاب تاريخ الكنيسة المفصّل، [م. س] ج٣ ص ٩٣.

من رئيسٍ دولةٍ أجنبيٍّ يتمتّع بأيّ حقٍّ ولايةٍ قضائيّةٍ في المملكة. ولكنّه، بإنفصاله عن روما، لم يُرد أن ينفصل عن الكثلكة"[١].

وقد قام "هنري" الثامن بمطاردة أصحاب الأفكار "الكالفينية" فترة طويلةً وذلك لأنّه كان لا يزال يحمل المعتقدات والآراء "الكاثوليكية". ولكنّ الأمر لم يطل فبعد وفاته تولى الحكم وريثه (إدوارد السادس) (١٥٤٧) وكان عمره آنذاك تسع سنوات فقط فعادت الأفكار والمعتقدات الكالفينية للظهور بل للتغلغل في البلاد ... "وظلت بين ظهور وإختباءٍ ومدٍّ وجزرٍ حتّى عام (١٦٤٩م) حين "قام أوليفركرومويل" بالثورة "الإنجليزية" وأعلنَ عن جمهورية "الكومنولث البيوريتاني" وقد سانده الجناح المتطرّف للبيوريتان على القيام بهذه الثورة وحكموا "إنجلترا" بعدما أعلنوا قيام "الكومنولث البيوريتاني" وكثرت المطالبات بجعل العهد القديم دستوراً له. وممّا تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ الثورة "البيوريتانيّة" لم تكن معزولةً عن التاريخ "الإنجليزي"، "كما أنها لم تكن مجرّد حلقةٍ في سلسلة ما يُسمى التقاليد الإنجليزية كما يحلو لبعض الكتّاب الصهيونيين أن يصورها. **لقد كانت البيوريتانية هي حركة الإصلاح الديني التي وصلت إلى خاتمتها المنطقية**"[٢].

وإضافةً لما سبق فقد كان "البيوريتانيون" شديدي المحافظة على التقاليد العبرانيّة. وكان مذهبهم بمثابة بعث للروح اليهودية القديمة. وقد تميّزوا بإعتمادهم الشديد على كتاب "العهد القديم"، فإعتبروه وحياً سماوياً، يُغذّي الفكر ويُرشِد نحو الصلاح. ووجدوا فيه مثالاً سماوياً للحكومة الوطنيّة، وأساساً لاستنباط الأحكام. فكانوا يلتزمون بتشريعاته، ويستشهدون بنصوصه لدعم أفكارهم السياسية وطروحاتهم الإجتماعية (وكان الإتجاه العام الذي سار فيه البيوريتان يرمي إلى إحلال "العهد القديم" بتشريعاته وأخلاقياته وطقوسه، مكان "العهد الجديد" ــ إنجيل المسيح)[٣]

نعم لقد كان أتباع المذهب البيوريتاني يلتزمون بكل ما ورد في كتاب "العهد القديم" وكانت مقولات وأفكار هذا الكتاب قد انغرست عميقاً في الفكر والفهم البيوريتاني. ولمّا كان "العهدُ القديم" يركزّ وبشدّة على إعطاء أرض فلسطين إلى بني إسرائيل هبةً من إلههم يهوه، بعد طرد شعبها منها أو إبادته. ووعده لهم بإعادتهم إليها بعد طردهم منها وتشتُّتهم في أرجاء المعمورة، فقد كان من الطبيعي عند البيوريتان أن تكون فكرة إعادة العبرانيين إلى أرض فلسطين هي في رأس

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٩٣ بتصرف واختصار شديد.

(2) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهوديّة جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ص ٥١، طبعة سلسلة عالم المعرفة من منشورات المجلس الوطني الكويتي للثقافة، كانون الأول، ١٩٨٥.

(3) الأستاذ جورجي كنعان، [م. س]، ص ٤٥.

إهتماماتهم، على اعتبار أنها وطن اليهود الذي لا بد وأن يعودوا إليه، مُقدّمةً لعودة المسيح أو مجيئة الثاني، طبقاً للنبوءات الواردة في كتاب "العهد القديم".

"وهكذا تركّزَ إهتمام البيوريتان على تحقيق نبوءات التوراة المبشّرة بعودة اليهود (المعاصرين لهم)، على إعتبار أنهّم أحفاد الشعب المُختار، إلى أرض فلسطين وكثرت في منشوراتهم المؤلفات والعرائض التي تتحدث عن شعب الله القديم. وعن إعادة اليهود إلى الأراضي المقدسة. وعن استعادة مملكة إسرائيل، تمهيداً لمجئ أو لعودة المسيح".(١)

لقد جلبت البيوريتانية لإنجلترا إجتماعياً وفكرياً الغزو "العبري" الذي كان قد إجتاح القارّة الأوروبية. وأصبحت العبريةُ أمراً محسوساً على المستوى الشعبيّ(*) وفي حياة الأمّة اليومية. "وقد وجد البيوريتانيون في العهد القديم مثالا سماويا للحكومة الوطنية ودلالةً واضحةً للقوانين التي يجب على البشر إتّباعها، وإذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآنِيَّةٌ"(٢) وكان البيوريتان، كأتباع كالفن، يستشهدون بالعهد القديم لدعم أفكارهم السياسية والإجتماعية والأخلاقيّة حتّى أصبح العهد القديم كتابهم الوحيد الذي ليس لهم كِتابٌ سواه.

وبالعودة للحديث عن "أوليفر كرومويل" أقول: لقد كان هذا الرجل، الذي بقي نحو عشر سنوات رئيساً "للكومنولث البيوريتاني"، "رئيساً للمحفل البيوريتاني، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر عام "١٦٥٥م" للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا، أي إلغاء قانون الطرد لليهود الذي إتّخذه الملك "إدوارد"(٣). وفي هذا المؤتمر تم ربط السماح لليهود بالدخول إلى "إنجلترا" بالمصالح الإستراتيجية "لإنجلترا" ومن خلال عملية الربط تلك تحمَّس "كرومويل" لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر.

ومن الأسئلة المُلحَّةِ الهامّة التي تطرح نفسها عند الحديث عن "أوليفركرومويل" هو هل فعلاً كان الحماس الديني للعهد القديم هو الغرض الحقيقي من إعادته اليهود إلى إنجلترا أم أنّ هنالك عوامل أخرى ودوافع خفيَّةٌ كانت هي السبب؟؟؟

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٤٦.

(*) وذلك من خلال المسرحيات التي تتحدث عن تاريخ الشعب العبراني ومعاناته، وتداول القصص التوراتي في الحياة اليومية إضافة لتدريس بعض الجامعات للغة العبريّة.

(2) ريجينا الشريف، [م. س]، ص ٥٢.

(3) الدكتور القس رياض جرجور، الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط، مقالة بعنوان "صهيو مسيحيّة أم صهيو أمريكيّة" من منشورات الشرق العربي للدراسات الحضاريّة والإستراتيجيّة على الإنترنت.

في الحقيقة لقد كانت الدوافع لذلك دوافع إقتصاديةً بالدرجة الأولى وقد رجَّح كلٌ من الدكتورة ريجينا الشريف والأستاذ شفيق مقار ذلك[1]، وحقيقة الأمر أنَّ الحرب الأهلية التي سبقت العهد البيوريتاني ألحقت ضرراً بليغاً بمركز "إنجلترا" كقوة تجاريّة وبحريّة، وكانت طبقة التجّار البيوريتانيين تشعر بالغيرة من الألمان الذين وجدوا الفرصة سانحةً للسيطرة على الطّرق التجارية للشرقَين الأدنى والأقصى. وكان معروفاً آنذاك أن لليهود الألمان فضلاً في إتّساع التجارة الألمانية مع بداية القرن السابع عشر، وعندما وافق "كرومويل" على السماح لليهود بدخول "إنجلترا" من جديد كان منهمكا بسلسلةٍ من الحروب التجارية مع البرتغال والأراضي المنخفضة وإسبانيا. ((وكان لدى كلٍّ من هذه الدول جماعة يهودية مُهمّةٌ معروفةٌ بثروتها ومواهبها التجارية وقيامها بعقود أعمال في الخارج. وعلى ذلك فالتجار اليهود في إنجلترا "قد يُسْدُون خدماتٍ له بعملهم جواسيس يزّودونه بمعلومات عن السياسات التجارية للدول المنافسة له، وعن المؤامرات التي يدبّرها أنصار المَلَكية في الخارج، بفضل إتصالاتهم وتنقّلهم في أوروبا وكان هناك حافز آخر وهو رؤوس الأموال الضخمة التي يمكن أن يجلبها اليهود معهم لإستثمارها في الصناعة الانجليزية))[٢].

ولمّا جاء عام "١٦٥٨م" حمل معه أنباءً سيئةً للبيوريتانت؛ فقد مات "أوليفركرومويل" في الثالث من أيلول من ذلك العام وقد كانت وفاته تلك بدايةً لتراجع التيار البيوريتاني كقوّةٍ دينيّةٍ وسياسيّة "خصوصاً بعد عودة آل "ستيوارت" للحكم عام ١٦٦٠م، إلى أن قُضي على هذا التيّار في عهد الثورة التي سُمّيت بالثورة المجيدة عام ١٦٨٨م"[٣]. وقد كانت هذه الثورة وما رافقها من أحداثٍ سبباً هاماً ومباشراً في هجرة الأغلب الأعظم من أبناء الطائفة البيوريتانتيّة إلى القارة الجديدة (أمريكا قبل أن يصبح هذا إسمها) حيث عملوا على تأسيس مستعمراتهم هناك كما عملوا على نشر مذهبهم ووطّدوا دعائمه التي لا زالت قائمةً إلى يومنا هذا.

يُستفاد مما سبق أنّ البيوريتانيّة قد أوصلت المعتقدات المسيحيّة المتهودة إلى أوجها وإلى مرحلة القمّة التي لم يكن اليهود أنفسهم يحلمون بها؛ كيف لا وقد أخذت اللغةُ العبريّةُ مكانها بجانب اللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينيّة ودخلت الدراسات العبريّةُ في الجامعات الأوروبية وأخذت مكانها كجزءٍ أساسي من أجزاء الحضارة الغربيّة!! ويمكننا بكل صراحةٍ ووضوح في نهاية هذا المبحث القول: إنّ من المنجزات المتهّودة التي حققتها البيوريتانيّةُ ما يلي:

---

(1) راجع ماكتبه الأستاذ شفيق مقار في كتابه المسيحيّة والتوراة، دار رياض الريس للنشر، لندن وقبرص، ط١، ١٩٩٢، حول هذا الموضوع وما كتبته الدكتورة ريجينا الشريف [م. س].

(2) د. ريجينا الشريف، [م. س]، ص ٥٨، ٥٩ بتصرُّف.

(3) الأستاذ إميل أمين، [م. س]، ص ٧٩.

أولاً: إنتشار نظرة الإحترام والتقدير للشعب العِبري بين الأوروبين ذلك لأنه كان من المستحيل أن يتشرَّبَ المرء بتاريخ العهد القديم وأن يسترجعه كوحيٍ سماويٍ ويعيش معه كمرشدٍ يوميّ ولا يحترم الشعب المسؤول عن ذلك كله. وهكذا أخذت فكرة الشعب اليهودي المختار تلعب دوراً متميزاً في الفكر الإنجليزي البيوريتاني.

ثانياً: شيوع إستعمال العبريّة لغةً للصلاة في الكنائس بل إنّ الأمر وصل ببعضهم للإعتقاد أنّ الله لن يقبل صلاة أحدهم ما لم تكن باللغة العبريّة!!.

ثالثاً: قبول التفسير بإرتباط زمن نهاية العالم بعودة المسيح الثانية، وأنَّ هذه العودة مرتبطة بمقدّمةٍ تشيرُ إلى عودة اليهود إلى فلسطين.

رابعاً: مطالبة الكثير من البيوريتانت الحكومة بأن تُعلنَ التوراة دستوراً لإنجلترا.

خامساً: شيوع تسمية أولاد البيوريتانت بأسماء عبريةٍ عوضاً عن الأسماء المسيحية كأسماء القدّيسين مثلاً.

سادساً: إمكانية قبول التفسير اليهودي للعهد القديم، ولا سيَّمَا التفسير المتعلق بمستقبل إستعادة اليهود لفلسطين.

سابعاً: إقتناع طلبة الجامعات والباحثين بأن كلمة "إسرائيل" الواردة في العهد القديم تعني كل الجماعات اليهودية في العالم.

المبحث الثاني

(البروتستانتية في أمريكا)

ضعفت قُوة "البيورتيان" بموت حاميهم "أوليفركروموبل" وعودة "آل ستيورات" للحكم في "إنجلترا" ومن ثمّ كانت الضربة القاضية لهم في عهد "الثورة المجيدة" ١٦٨٨م وقد تسببّت تلك الأحداث، على فتراتٍ غير متصلةٍ، بترك "البيوريتان" للأرض الإنجليزية وتوجّههم، على دفعات، للهجرة إلى الأراضي والقارة حديثة العهد (أمريكا) خصوصاً بعد أن أحكم الملك "شارل" الأوّلُ قبضته على "إنجلترا" وسيطر على أوضاعها تماماً ممّا أشعرَ "البيوريتانت" أنهم لن يمارسوا حريَّتهم الدينيّة ومسيحيّتهم (المتهّودة طبعاً) إلاّ إذا هاجروا إلى مكان آخر، هذا بالإضافة إلى إعتقادهم بأنّ الله سوف يُنزِلُ عقاباً وشيكاً جدّاً على "إنجلترا" التي ترفض أوامر الرب بالإصلاح (كما يرونه).

فإتّجه هؤلاء على شكل مجموعاتٍ مسافرةٍ على ظهر السُّفن إلى الأراضي الجديدة وفي ذهنهم تصوُّرٌ مفاده أنّهم النُّخبةُ التي إختارها الرب من بين البشر لإقامة مملكته (مملكة الرب) على الأرض التي إختارها لهم ألا وهي الأراضي الجديدة أو "صهيون الجديدة" الرمزية، كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً ... وكانوا يعتقدون وهم مازلوا على ظهر السفن ولمّا تطأ أقدامهم الأرض بعد "أنّ عيون بقيّة الأمم تراقبهم وأنّهم إذا خدعوا الربّ فيما عاهدوه عليه فإنه سوف يتوقَّفُ عن مساعدتهم، أو كما أخبرهم قائدهم الأوّل على ظهر تلك السفينة "جون وينثروب"[1] والذي أصبح أول قائد وحاكم لهم في أمريكا (إنّ الربّ عندما يُكلّفُ أحداً برسالةٍ فإنّه يأمره بالإلتزام بدقةٍ بكُلّ تفاصيلها وإنهم يجب أن يقوموا بدور الطليعة في إقامة مملكة الربّ....) [2] "وقد إعتبروا غزوهم لمناطق مثل "نيو إنجلند" رسالةً خصّهم بها الله ممّا أبرز لديهم روح الإستعلاء والغطرسة..."[3]

"إنّ المجموعة الأولى من "التطهيريين" التي هاجرت إلى "أمريكا" كانت تتكوّن من بعض "المنشقّين" الذين فرّوا من "إنجلترا" في الفترة ما بين ١٦٠٧ و١٦٠٩ إلى "لايدن" في كندا وكان بينهم القس "جون روبنسون" وأعضاء من رعيته، ومن هؤلاء الفارين هاجرت مجموعة صغيرة إلى أمريكا عرفت بإسم "**الحُجَّاج**" ونزلت في "بليموث" في أواخر عام ١٦٢٠ ومع أن هذه المستعمَرة كانت صغيرةً إلا أنها أصبحت أكثر مستعمرات "أمريكا" الشمالية شهرةً في التاريخ الأمريكي.

---

[1] جذبت التطهيريّة "جون وينثروب" في صباه لإحساسه بالقرب من الرب، ولإستقلاليته، وتقديمه للمواعظ القيمة، وبعد عام ١٦٢٥ لم يعد يشعر بالاكتفاء من حياته في انجلترا. ففي عام ١٦٢٩ اضطهد الملك تشارلز الأول التطهيريين وسجن قادتهم، وسعى الاسقف وليم لود إلى إجبارهم على اداء الشعائر بطرق يمقتونها. وحُرمَ وينثروب من امتيازاته في مهنة المحاماه فاقتنع أن بقاءه في انجلترا ينهي دوره في الخدمة العامة وأخذ يفكر بالهجرة.

[2] الأستاذ محمد جلال عناية، الفكر السياسي الأمريكي، دراسة منشورة على حلقات في صحيفة الخليج، الحلقة الأولى، ٢٠٠٤/٥/٢٥.

[3] الدكتور أسعد السحمراني، الصهيونية، الأطماع واقتراحات المواجهة، دراسة منشورة على الإنترنت.

وإلى الشمال من "بليموث" بدأتْ جماعاتٌ أُخرى تصل إلى المنطقة المحيطة بمدينة "بوسطن الحالية" بولاية "مستشوستس" وقد جاءت هذه الجماعات تحت رعاية "شركة خليج مستشوستس" التي حصلت على إمتيازٍ بالأراضي المحصورة بين نهري تشارلز وميريماك"(١).

وقد تأثر المهاجرون بمواعظ "وينثروب" وعرفوا ما هو مطلوب منهم، وعرفوا مبدئياً أنَّ كل خطيئة تُقترَف في "مستشوستس" سيتعرض مرتكِبُها للعقاب، وأنّ المجتمع سيشارك بحماس في توقيع العقوبة، لأنهم إذا تجاوزا عنها سيتعّرضون جميعاً لغضب الرب، وقد بدأ مؤسسو "مستشوستس" في سنّ التشريعات لبرنامجهم (الإصلاحي) بكل حرية فحصروا عضوية الكنيسة في القدّيسين، وإختاروا "الديمقراطية" والإستقلال الذاتي للأبرشية كنظامٍ للحكم الدّيني "وفي مثل هذا النظام، من المفترض أن يقوم القادة السياسيون بحماية الكنيسة من الأذى، حيث آمن التطهيريون "البيوريتان" بأن على الكنيسة والدولة التعاون في خدمة الرب، وحتى يتأمَّن ذلك إنحصر حقُّ التصويت في أصحاب المراكز الرسمية في المُستعمرة وأعضاء الكنيسة؛ فلقد خشي "وينثروب" إنْ خرجت السلطة السياسية من أيدي القدّيسين أن يتبوأ القيادة شخصٌ عن طريق الإنتخاب فَيحرفَ المُستعمِرين عن تحقيق رسالتهم الأساسيّة"(٢)

لم يكن هؤلاء المهاجرون الجدد من الجماعات "البيورتانتيّة" يعانون من فراغٍ عقيديٍ أو يتّصفون بالسّذاجة أو البساطة الدينية بل على العكس من ذلك فقد جاؤوا من بلادهم وهم يحملون تراثاً (مسيحياً متهوِّداً) لا يُستهان به ورثوه كابراً عن كابرٍ، فكانت مَهَّمتهم في الأرض الجديدة تقوم في أول أولوياتها على وجوب نشر هذا التراث وتوطيد دعائمة لإقامة مملكةٍ للرّب في الأرض الجديدة، **ومن أبرز عناوين هذا التراث الذي كان منغرساً في ضمير هؤلاء الذين إستوطنوا العالم الجديد وبدأوا يصنعون تاريخهم فيه ما يلي:**(٣)

ـــ تقديس كتاب "العهد القديم". والإيمان بصحَّة كلِّ ما ورد فيه حول تاريخ بني إسرائيل وحروبهم.

ـــ اليهود مشعلُ النّور الذي قاد البشر إلى درب الحضارة.

ـــ التطلّع بشوقٍ غامرٍ إلى حلول العصر الألفي السعيد.

ـــ الإعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح المنتَظر.

---

(1) الأستاذ محمد جلال عناية، [م. س]، الحلقة الأولى، ٢٠٠٤/٥/٢٥.
(2) المرجع السابق نفسه، الحلقة الأول، ٢٠٠٤/٥/٢٥.
(3) الأستاذ جورجي كنعان، [م. س]، ص ٦٤.

ـ وهذا المجئ رهنٌ بعودة اليهود إلى أرض فلسطين، وإنشاء الدولة اليهودية التي يلتئم فيها شمل اليهود.

ـ النظر إلى اليهود على إعتبار أنهم مفتاح المستقبل.

ويُستفاد ممّا سبق أنّ المستعمرين "الإنجليز" وجدوا على شواطئ "أمريكا" الشماليّة، ظروفاً مثاليّةً لغرس إيمانٍ لم يستطع دائماً أن ينمو في "أوروبا" بهذه السهولة، بسبب الصراعات السياسيّة التي كانت هي نفسها مرتبطةً بأحزابٍ دينيّةٍ. إنبثقت "البروتستانتيّة الأمريكيّة" من تيَّارين، الواحد مشتقّ مباشرة من الكنيسة القائمة في "إنكلترا"، أي من "الإنجليكانيّة"، والآخر مرتبطٌ بالتراث "الكالفنيّ" والممثَّل بالتطهيريين. "وكان هؤلاء الطهوريّون يمُارسون ديانةً متصلّبةً وصارمةً، لا تسمح بأيّ تقصيرٍ فرديٍّ. وكان الطهوريّون يعتبرون أنفسهم طبقةً مكلّفةً بإنشاء "صهيون" الجديدة وإعطاء إنجلترا مثالاً لما يجب أن يكون الإصلاح الحقيقيّ ... أقام الطهوريّون في (نيو إنجلند) "إنجلترا الجديدة" ما يمكن وصفه بالحُكم الإلهيّ، وقد مارسوا رقابةً متشدّدة على حياة المستعمِرين الخاصّة، محرّمين كلّ أنواع النشاط في اليوم المخصَّص للربّ، وفارضين لباساً أسود على نسَقٍ واحدٍ، وكانت المحاكم المدنيّة تعاقِبُ بقساوةٍ كلّ مخالفة".[١]

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو إنّ هجرة "البيوريتانت"، كما سبق ذكره، قد بدأت بعد عام ١٦٠٠م فهل كانت أمريكا (أو العالم الجديد) آنذاك خاليةً من الدّين أو النشاطات التبشيرية خصوصاً وأنَّ إكتشافها على يد "كريستوفر كولوميس" كان عام ١٤٩٢م؟؟؟ إنّ الإجابة عن هذا السؤال تقودنا مباشرةً للمبحث الثالث في هذا الفصل وهو الدّين في أمريكا قبل قدوم البروتستانت.

المبحث الثالث

[1] الأستاذ كلود فوهلن المدّرس بجامعة السوربون، مقالة بعنوان "المستعمرات البروتستانتيّة في أميركا الشمالية"، ضمن كتاب تاريخ الكنيسة المفصّل، [م. س]، ج٣، ص ٢٨٣، ٢٨٤ بتصرف واختصار.

(المسيحية المتهودة في أمريكا قبل قدوم البروتستانت)

"لم يكن "كريستوفر كولومبس" رجلاً متديّناً وحَسْب، بل كان متطرّفاً في حماسه الدّيني إلى درجةٍ جعلته مهووساً بتفسيرٍ حرفي للنصوص النّبوئيّة وحملَتْهُ على تكريس حياته لتحقيق ما إعتبره أهداف الخالق للبشرية. وقد كتب إبنه "فرديناند" عن ذلك قائلاً [كان متشدّداً في حماسه الدّيني لدرجةٍ تجعلك تظنُّه منتمياً إلى حركةٍ أو مذهبٍ دينيٍ متطرّف]".[١]

إنّ قصّة الهوس الديني والحقد على المسلمين ومحاولة تنصيرهم والقضاء عليهم من قِبَل "فرديناند وإيزابيلا" أول حاكمَين "لإسبانيا" بعد طرد المسلمين منها معروفةٌ لدى الجميع، وتشجيع هذين "الكاثوليكيين" المتعصبَين للحملات "التبشيرية الصليبية" حقيقةٌ تاريخيّةٌ بوسع القارئ الإطّلاع عليها في كل كتب التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى بلا إستثناء ... إلى هذين جاء البحَّار الإيطالي والمغامر المولعُ بالسفر وحُبِّ التّجوال "كريستوفر كولومبس" طالباً الدعمّ المالي والعون للمساهمة في إنجاح وتمويل مشروعٍ إستكشافي يقصدُ من خلاله الإبحار عبر "محيط الظلمات" للبحث عن أراضي الشرق وممالكه ذات الثروات والكنوز وبالذات "مملكة الخان العظيم" التي كان الأوروبيون يتغنّون بشوارعها المرصوفة بالمرمر ومنازلها المسقوفة بالذهب"[٢]. ولم تكن أحلام "كولومبس" هذا أحلامَ بّحارٍ مغامرٍ يبحث فقط عن الشهرة والثروة والصيد الثمين بل إنّها كانت تحلّقُ في فضاءات أوسع وأعلى؛ فقد كان بحّاراً مسيحيّاً مُتديِّناً إلى أبعد مما يمكن أن نتصّوره عن "تديُّن البحّارة". وقد وصفه المؤرّخ "ديلنوويست"[٣] بقوله [لقد وُصِفَ كولومبس بصاحب الخيال الخصب، الدّؤوب، الشجاع الإسباني، اليهودي، عضو رهبنة القدّيس فرانسيس، العالم، التاجر، عضو المحفل الماسوني ... وغير ذلك]. وكان "كولومبس" صريحاً في الإعلان عن أهداف رحلته القادمة ومشروعه الكبير (والذي إنتهى باكتشافه للقارة الأمريكية) وأنّها كانت رحلةً تهدف إلى إكتشاف المزيد من المدن والبلدان لنشر الدِّين المسيحيّ فيها. فكانت رحلتُه الكبيرة هذه ذات طابع جغرافيٍّ دينيٍّ فيه نَفَسٌ تبشيريٌّ يحمل الرغبة في نشر المسيحيّة وتقويتها في مواجهة إمبراطورية محمد، صلى الله عليه وسلم، وقد رسم "كولومبس" معالم مخطّطه هذا في رسالةٍ بعث بها إلى المَلِكَين السالف ذِكرهما "فرديناند وإيزابيلا" قال فيه: "**إنه يريد أن يكتشف ممالك ومدناً جديدة يضمُها إلى التاج الإسباني، ويهدي شعوبها إلى الدين المسيحي، ثم يجندها في ما سماه بـــ ((حرب الحياة أو**

---

(1) الدكتور فؤاد شعبان، من أجل صهيون، [م. س]، ص ٣١.

(2) المرجع سابق نفسه ص ٢٤.

(3) المرجع السابق نفسه ص ٢٣، ٢٤ بتصرف.

الموت ضد إمبراطورية مُحَمّد)). وأضاف إيضاً بأن هدفه النهائي هو ((إستعادة)) الأراضي المقدسة، وخاصة القدس ومهد المسيح وذلك تمهيداً لنزول مملكة الله على جبل صهيون.

كان ذلك أول تصريحٍ مكتوبٍ مُعلَنٍ أدلى به "كولومبس" يبيّن فيه شمولية خططه وأهدافه التي كان يرمي إلى تحقيقها من رحلاته الغربية"[١].

ومن الواضح تماماً أن كولومبس كان يحمل في تصّوراته الذهنيّة أفكاراً مسيحيّة لها إرتباطٌ وثيقٌ باليهود، وهذا الإرتباط يبدو صريحاً في تلخيصه لبرنامج رحلته الشموليّ حيث قال **[غزو العالم ... وهداية البشرية إلى المسيحيّة ... وإستعادة الأراضي المقدّسة ... والإعداد لإنشاء مملكة الإله على جبل صهيون في موقع الهيكل]**[٢]. وأكّد مؤرّخو كتاب "الأمّة الأمريكيّة" هذا الإرتباط بقولهم [لقد تصوّر كولومبس نفَسه رسول الوحي المُستقبليّ الذي ينبيّء بإستعادة القُدس وهداية اليهود][٣]

يُستفاد ممّا سبق أنّ هناك أناساً كانوا يحملون المعتقدات والأفكار المسيحيّة المتهّودة قبل "مارتن لوثر" وأتباعه من "البروتستانت" ويدللُ على صحّة ذلك أنّ "كولومبس" مات في عام (١٥٠٦) أي قبل قيام مارتن لوثر بالإعلان عن بنوده الخمسة وتسعين الشهيرة التي حملتْ عنوان (بحث في بيان قوّة صكوك الغُفران) بعشر سنوات، إضافة إلى أنّ داعمي رحلته الإستكشافية الكبرى تلك كانوا من أشدّ الدعاة إلى المسيحيّة الكاثوليكيّة "وبهذا المعنى يمكن القول بأنَّ حماس "كولومبس" المبكّر هذا يضعه في أوائل من بشّروا بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، وبخاصّةٍ نصوصه النبوئيّة التي تتعلّق بالأراضي المقدّسة والتي تدعو في نهاية الأمر إلى إنشاء ((مملكة الله)) على جبل صهيون في الأراضي المقدسة الجغرافية"[٤].

وأعتقدُ أنّ "كولومبس" هذا قد سبق "مارتن لوثر" إلى التعامل مع نصوص التوراة وحاول فهمها والعمل بنفسه على تحقيق ما ورد فيها من نبؤاتٍ خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أنّ "كولومبس" كان يرى في نفسه أنّه الشخص الذي إختارته العناية الإلهية لتحقيق مهمّته المقدّسة تلك وكان ممّا يستشهدُ به من نصوص التوراة، والتي تفيضُ بالحديث عن القدس وعودة الشعب المختار إليها، النّص التالي من سفر إشعياء "وفي الطليعة سُفُن ترشيشٍ حاملةٌ أبناءَكِ لتأتي بهم من أرض

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٢٥.
(2) المرجع السابق نفسه، ص ٢٦.
(3) المرجع السابق نفسه، ص ٢٦.
(4) المرجع السابق نفسه، ص ٣٠.

بعيدةٍ ومعهم فضّتُهم وذهبُهم، تكريماً لإسم الربّ إلهكِ ولقُدُّوس إسرائيل لأنّه مَجَّدَك"[١] (سفر إشعياء ٦٠: ٩).

ويُستفاد ممّا سبق كذلك أنّ هذه الأفكار والمعتقدات التي حملها "كولومبس" ومَن إختارهم مِن طاقم سفينته كانت أول معتقداتٍ سماويّة الأصول تطأ الأراضي الأمريكية وهي معتقدات، كما أرى، تتّـفقُ كثيراً، إن لم تتطابق بالكامل، مع معتقدات "البيوريتانت الإنجليز" الذين كانوا الجيل الثاني من المستعمرين للأراضي الأمريكية بعد أسلافهم جيل "كريستوفر كولومبس" وصحبه الأوائل، فصحَّ القول [حيثُ ترى تاريخاً يُصنَعُ في أمريكا، تجد تاريخاً أمريكياً يهودياً][٢]

وممّا يجدرُ ذكره عند الحديث عن إكتشاف القارة الجديدة (أمريكا)، أو "العالم الجديد"، كما كانت تُسّمى، أنّ "كولومبس" وأصحابه ومَن لحق بهم مِن السَّفن بعد ذلك، سواء السُّفُن التي تحمل الجنود أو السُّفن التي تحمل "الإرساليات البشيرية"، قد نزلوا في المناطق القريبة إلى الوسط من قارة أمريكا مثل "المكسيك وخطّ الاستواء وبيرو والباراغواي وبعض سهول أمريكا الشمالية ... وكان هؤلاء الفاتحون من نُقباء وقوّاد عسكريين يصطحبون معهم دائماً كهنةً، وكانوا مكلّفين خصوصاً بحمل الإيمان إلى غير المؤمنين، ولكنّ مهمّتهم كانت تقتصر في الواقع على غرس الصليب بين الأوثان أو على مكانٍ عالٍ من القريّة التي كانوا فيها ... وقد تمَّ وصول المرسلين على عدّة مراحل ولم يبدأ التبشير النِّظامي [الفتح الرّوحي] إلاّ بعد الفتح العسكري بمعدّل خمس سنوات وكُلّفَ به الرهبان ... وكان هؤلاء الرجال يمثّلون أنشط أعضاء تلك الحركة التجديديّة التي ظهرت في أوروبا ...[٣]

يُستفاد ممّا سبق أنّ المناطق التي نزل بها الجيل الأول من المستعمرين في القارة الأمريكية كانت إلى حدٍّ ما بعيدةً عن المناطق الشمالية التي نزل فيها المستعمرون "البيوريتانت الإنجليز" حيث كان الجزء الأوسط من القارّة الامريكية الشماليّة الذي يطابق ما هي الولايات المتّحدة حاليّاً، منذ القرن السابع عشر مُلكاً للبروتستانتيّة التي وَجَدتْ فيه أفضل حقل للتوسّع ... "وقد إنبثقت البروتستانتيّة الأمريكيّة من تيّارين، الواحد مشتقٌ مباشرةً من الكنيسة القائمة في إنجلترا "الإنجليكانية" والآخر مرتبطٌ بالتراث "الكالفيني" والممثل بالطّهوريّة"[٤]

---

[١] المرجع السابق نفسه، ص ٣٤.
[٢] عبارة المؤرخ "جون فيسك" هذه نقلها الأستاذ رضا هلال في كتابه (المسيح اليهودي) [م. س] ص ٤٣.
[٣] مقالة الأستاذ جاك لافاي (المدرّس بجامعة السوربون في باريس) "فتح أمريكا ووجوهه الدّينيَة" في كتاب تاريخ الكنيسة المفصّل [م. س]، ج٣، ص ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١ بتصّرف واختصار.
[٤] مقالة الاستاذ كلود فوهلن، "المستعمرات البروتستانتيّة في أمريكا الشمالية"، المرجع السابق نفسه ص ٢٨٣.

المبحث الرابع

(التراث البروتستانتي الصهيوني)

تحدّثنا فيما سبق عن هجرة "البيوريتانت" الأوائل من "إنجلترا" إلى العالم الجديد (أمريكا) من منطلق رغبتهم في ممارسة شعائرهم وطقوسهم ومعتقداتهم بحريّةٍ تامّةٍ ودونما أيّةِ مضايقةٍ من أحدٍ. وقد كان لهم ذلك في "أمريكا"، وتحدّثنا عن إعتقادهم بأنّهم الصّفوة والنُّخبة التي إختارها الربّ لإقامة مملكته وحكمه، فيسَّر لهم طريق الهجرة وساقهم إلى "أمريكا" .... وقد كان هؤلاء يعتقدون أنّهم جزءٌ هامٌّ وأساس في خطّةٍ قدَّرها الربُّ لهذا الكون وأنَّ لهم دوراً مركزياً يلعبُونه في هذه الخطّة ... وكانوا يعتقدون أنّهم الشعب المختار، في هذه الأرض الجديدة المختارة (كنعان الجديدة) وأنّهم ركبوا المحيط وخرجوا من ديارهم مطارَدين فارّين من ظلم الملك "جيمس" الأول وأتباعه تماماً كما خرج "الإسرائيليون" الأوائل من ديارهم وإنشقّ بهم البحر وهم فارّون من ظلم "فرعون" وأتباعه من المصريين، وأنّهم قادمون إلى العالم الجديد لإقامة "صهيون الجديدة" فيه تماماً كما قدم الإسرائيليون إلى العالم الجديد (أرض كنعان) لإقامة صهيون فيه ... وقد كان هناك تطابقٌ بين أهداف هؤلاء من الهجرة إلى "أمريكا" وبين رغبة "كريستوفر كولومبس" الذي سبقهم بما يزيد عن المائة عام في إقامة (صهيون الجديدة) وممّا يدعم صحّة هذا الإستنتاج أنَّ "كولومبس"، بعد فشله في إقناع ملك "البرتغال" "يوحنّا الثاني" بتمويل حملته الإستكشافية، توجّه إلى "ديجو دي ديجا" أُسقُف "سلامنكا" الذي كان مِن يهود "المارانو"[1] فأقنع الأخيرُ يهودَ "المارانو" الذين كانوا يشكّلون مراتب عليا في الإدارة والتجارة في "إسبانيا"، وتبنّوا مشروع "كولومبس" ودعمه بالخرائط والتمويل اللازم، حتى إن السلطات الإسبانية تشككت في أن يكون كولمبس يهوديّاً. وذلك ما علق عليه "فاينجولد" بقوله [إن كان بوسع المرء أن يتشكك في نسب يهودي "لكولومبس"، فلا شكَّ في الدور الذي لعبه يهود المارانو في جعل بدء رحلاته أمراً ممكناً وهو دورٌ لا سبيل إلى المجادلة فيه].[2]

ولمّا جاء "البيوريتانت" فيما بعد وإستوطنوا السّواحل الشرقية الأمريكية وأقاموا فيها مُستعمراتهم فإنّهم، دون أدنى شكٍّ، أقاموها على أُسسٍ دينيّةٍ مسيحيّةٍ تغلب عليها الصّبْغَة اليهوديّة وممّا يشهدُ على ذلك أنّ هؤلاء المهاجرين الأوائل "أعطوا أبناءهم أسماء عبرانية (إبراهام، سارة ... العازر ... إلخ). وأطلقوا على مستوطناتهم أسماء عبرانية (حبرون ... سالم وكنعان ... إلخ).

---

[1] هم اليهود المتحولون إلى المسيحيّة خوفاً على حياتهم من بطش الجيش الإسباني الكاثوليكي المتعصب. وقد أظهر هؤلاء المسيحيّة وأبطنوا ولاءهم لليهودية.

[2] الأستاذ رضا هلال،[م. س]، ص ٨٠.

وفرضوا تعليم اللغة العبرية في مدارسهم وجامعاتهم. حتى إنَّ أول "دكتوراه" منحتها جامعة "هارفارد" في العام ١٦٤٢م كانت بعنوان "العبرية هي اللغة الأم". وأول كتاب صدر في "أمريكا" كان "سِفر المزامير" وأول مجلّة كانت مجلّة "اليهودي"[١]

وقد مارس المهاجرون "الأوروبيون" الأوائل الأسلوب الإستيطانيّ اليهوديّ القديم نفسه لأرض كنعان "فقد درس هؤلاء المهاجرون وإستوعبوا قصص العهد القديم، وخاصّةٍ أسفار التوراة الخمسة الأساسية، وهي أسفار التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، التي تناولت قصَّة دخُول اليهود أرض كنعان بعد خروجهم من مصر. فصارت الولايات المتحدة الأمريكية عند هؤلاء المهاجرين كنعان الجديدة (New Canaan) وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء"[٢]

وكان من أهم المعقتدات التي إبتكرها ووطّدها هؤلاء "البيوريتانت" في العالم الجديد (أمريكا) فكرة "العهد" أو "العقد" مع الربّ والتي تعني أنّ هناك عهداً خاصّاً بينهم وبين الرب؛ فَهُم يقيمون مملكته وهو يحميهم وينصّرهم، تماماً كما كان "العهد بين موسى ويهوه"!! ولا يخفى ما لهذا المُعْتَقَد من خطورةٍ؛ إذ أنَّهُ يكرّس مفهوم "الشعب المختار" و"الصّفوة المنْتقاه" وبالتالي التميُّز عن بقيّة شعوب العالم بل والإستعلاء عليهم والتأكيد على أنّ هنالك مسؤوليةً مُلقاةً على عاتق هذا الشّعب المُختار تجاه الشعوب الأخرى الصّغيرة، يجبُ القيامُ بها. كيف لا وهؤلاء "الأمريكيون" الجدد هم القُدوة والمثالُ الأفضل الذي يجب أن تتبعه بقية شعوب الأرض؟؟؟ يقول الأستاذ فؤاد شعبان "تميز المشروع التبشيريّ الأمريكيّ في كلّ مراحل تطوّره بالشّعور بأنّ إنقاذ العالم كلّه من الجهالة والتأخُّر هو أمرٌ عاجلٌ وذو أهميةٍ قصُوى. كما تميَّزَ هذا المشروع بالموقف المتفائل الذي إتَّصفَ به المبشّرون رغم الإخفاق والمخاطر التي كانوا يُعَّرضون أنفسهم لها. وكان مصدرُ هاتين الميّزتين هو الاعتقادَ بأنَّ الله هو الذي كلفَّهم بهذه المَهمّة، لذلك فهي جديرةٌ بالنّجاح في نهاية الأمر. وقد وصف الباحث الأمريكي الحديث "فرديدريك ميرك" هذا الموقف بقوله [كان هنالك شعور بمهمّةٍ مقدّسةٍ لإنقاذ العالم إستحوذ على قلوب الحُجّاج الأوائل وخلفائهم ... وقد ظهر ذلك لدى الأجيال المتعاقبة من الأمريكيين دون أن يتغير"[٣]

ولعلَّ الكلمات السابقة لا تقعُ بعيداً عمّا قاله الأب "جون كوتون" في موعظته لتأسيس مستعمره "ماساتشوستس" [إنّ الرّب حين خلقنا ونفخ فينا روح الحياة أعطانا أرض الميعاد (أمريكا).

---

[1] الدكتور محمد السمّاك، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحيّة والموقف الأمريكي، ص ٦٣، ٦٤، دار النفائس، لبنان، ط٣، ٢٠٠٠.
[2] الدكتور يوسف الحسن، [م. س]، ص ٤٠، ٤١.
[3] الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ٧٨.

ومادمنا الآن في أرض جديدة فلا بد من بداية جديدة للحياة نعمل فيها من أجل مجد بني إسرائيل، هذا الشعب المختار].[١]

ولم تكن المعتقدات السابقة هذه معتقدات فرديّةً أو سطحيّة أو محدودة الإنتشار، لا بل إنّها كانت مُعْتقدات الأغلبيّة العُظمى من الناس في تلك البُقعَة من العالم الجديد وكانت تُعبّرُ عن (تراث مَسيحيٍ يهوديٍ مشتَرك) وهو التراث الذي تتبّاه حُكّام تلك البلاد منذ ميلادها وتأسيسها إلى يومنا هذا. ومن أبسط الأمثلة على ذلك أنَّ "الرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن، الذي لم يكن من عادته الخلط بين السياسة والدين، يكتب "رسالة إلى العبرانيين" في مدينة سافانا (بولاية جورجيا) فيقارن حالة المهاجرين إلى أمريكا بحالة القبائل الإسرائيلية ويعبّر عن أمله بأنه كما خلّص الرب الإسرائيليين من الاضطهاد في مصر، وغرسهم في أرض الميعاد فقد أظهر إرادته مؤخراً بتأسيس الولايات المتحدة كأُمَّةٍ مستقلّة، وما يزال يرويها بمياه السماء والبركة الدينية والدنيوية التي حبا بها ذلك الشعب الذي يتخذ يهوه رباً""[٢]

وإنّه لا يخفى على أحد مدى سرعة وقوّة إنتشار أيّ تراث تتبنّاه حكومةُ دولةٍ ما، فكيف إذا كانت هذه الحكومة هي الحكومة الأمريكية؟ وكيف إذا كان هذا التراث يتجاوب في مضمونه مع معتقدات ومطالب الغالبيّة العظمى من شعب هذه الحكومة؟ نعم لقد "هيمنت فكرة "مملكة الله" على تصرّفات وكتابات الأمريكيين الأوائل الذين اعتقدوا أنهم شركاء في عهد مع الله، كما حددت موقفهم من الآخرين الذين لا ينتمون إلى هذه المملكة. ولا يزال تأثير هذه الفكرة يتردد في أوساط اليمين المسيحي في أمريكا حتى الآن، كما سنرى فيما بعد. كانت هذه الشراكة مع الله هي التي عبّر عنها "ويليم برافورد"[*] حين وصف رحلة أتباعه إلى العالم الجديد قائلاً [إنّ حماسهم كان قوياً لنشر كلمة الله بكتابه المقدس في بقية أنحاء العالم] وكان تأسيس "مملكة الله" أو "إسرائيل الأمريكية" رؤيا دينية استمرت تتردّد على لسان الأمريكيين حتى أواسط القرن التاسع عشر حين تحول الاهتمام نحو تأسيس مملكة الإله إلى "أرض الميعاد"[٣]

يُستفاد ممّا سبق أنّ جذور "الأصوليّة"[٤] المسيحيّة اليهوديّة نبتت في الأرض الأمريكيّة وأخذت سيقانُ نباتها تمتدُّ وتشتدُّ وبدأت ثمارها "الصهيونيّة" تخرج إلى الوجود وترى النور

---

[1] الأستاذ رضا هلال، [م. س]، ص ٧٧.
[2] الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ٧٢.
[*] أحد البيوريتان الأوائل الذين هاجروا من إنكلترا إلى أمريكا.
[3] الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ٧٦، ٧٧.
[4] أغلب الظن أن الذي ابتكر المصطلح الإنجليزي Fundamentalism أي الأصولية، حسبَ معناها الذي يخدم رسالتي هذه، هو رئيس تحرير مجلة "نيويورك وتشمان" في افتتاحية عدد يوليو ١٩٢٠، حيث عرّف الأصوليين بأنهم أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول.

بالتدريج ومع أنّ الصهيونية هي إمتدادٌ طبيعيٌ لليهودية (في مناداتها بوجوب العودة إلى فلسطين) ومع أنّها القالبُ السياسي المعاصر المعبّرُ عن المعتقدات اليهوديّة إلاّ أنّ هنالك مَن يرى أنهما مختلفتان تماماً!!!![١] ومع أنّ الإعلان الرسمي عن ولادة الحركة الصهيونية كان في مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م على يد الصحفي النّمساوي "ثيودور هرتزل" إلاّ أن هناك إرهاصاتٍ ومقدّمات لظهور الصهيونية على الأرض الأمريكيّة كانت واضحة تمام الوضوح لكنّها إتخذت شكل (الرسميّة) أو (الإعلان الرسمي عنها) بعد إنعقاد مؤتمر بازل ... وبعد إعطاء (بلفور) وعده لليهودي (اللورد روتشلد) عام ١٩١٧م وما رافق ذلك من تأييدٍ مسيحيٍ يهوديٍ أمريكيٍ لهذا الوعد ... وهنا يجب العودة والتأكيد على أنّ الظهور الصهيوني على الأرض الأمريكيّة كان أسبقَ بكثيرٍ من ظهور صهيونيّة هرتزل وبلفور المتأخرّة لعام ١٨٩٧م وما بعد ذلك. "كانت فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين قد تغلغلت في الثقافة الأمريكيّة قبل ست سنوات من عقد المؤتمر اليهودي الأول في بازل"[٢] ويدلُّ على ذلك ما تقدّمَ ذِكرهُ من أنّ هؤلاء لمّا هاجروا (من إنجلترا إلى أمريكا) كانوا يعتقدون أنّها "كنعان الجديدة" وكان يحلمون فيها ببناء "المدينة الجديدة على الجبل"[٣] ويعتقدون أنّ الأرض الأمريكية التي هاجروا إليها إنّما هي "إسرائيل الجديدة" ويشهدُ لذلك خطابات زعيم الطهوريين (البيوريتانت) الأول في أمريكا "جون وينثروب" لأتباعه في عام ١٦٢٨م "سوف نجد أن رب إسرائيل يمشي بيننا وسوف يتغلبُ عشرةٌ منا على ألفٍ من أعدائنا عندما نمجّده ونعبده. وعلينا أن نعتبر أنفسنا المدينة على الجبل تتطلع إلينا عيون البشر"[٤]

كما يشهدُ لذلك أنّهم أعطوا لمدنهم الجديدة الأسماء التي تربطها بفلسطين مثل "كنعان" و"سينا" و"بيت لحم" و"الناصرة" وغيرها (يوجد في أمريكا على الأقل ١٢ مدينة وبلدة إسمها "Hebron الخليل" و٦ مدن إسمها "بيت لحم" وعدد آخر بأسماء سيناء والقدس والناصرة وغيرها بل قد إعتقد زعيم من زعمائهم إعتقاداً جازماً بأن مقاطعة "نيو ميكسكو" سوف تكون بحقِّ القدس الجديدة المدينة على الجبل)[٥]

---

(1) من هؤلاء الدكتورة ريجينا الشريف صاحبة الكتاب المهم (الصهيونية غير اليهودية) [م. س].

(2) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(3) تعبير "المدينة على الجبل" هو تعبير من النصوص المقدّسة يقُصد منه مدينة القدس، وعلى الأخص القدس الجديدة على تلة صهيون التي سوف يحكم منها المسيح مملكته الألفية الأرضية. وهي المدينة التي سينتشر منها نور الهداية الذي سيعم البشرية كلها. وهذه المدينة أيضاً كانت تُسمّى في العديد من الكتابات الأمريكية ـ والغربية بصورة عامة "بمدينة الملك العظيم" أي مدينة النبي داود.

(4) الدكتور فؤاد شعبان، [م. س] ص ٨٦.

(5) المرجع السابق نفسه ص ٨٧ وريجينا الشريف [م. س]،ص ١٨٦.

ومع مرور الزمن وإحتكاك القارّة الأمريكية الشمالية التّجاري وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية التي ظهرت كقوةٍ عُظمى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وبداية إنشاء الحكومة الأمريكية لعلاقات مع دول الشرق وبالذات دول العالم الإسلامي (أو بعبارةٍ أخرى بداية الأطماع الإستعمارية للحكومة الأمريكية في دول الشرق وبالذات دول العالم الإسلامي) وما رافق ذلك من إنهيار الإمبراطورية العثمانيّة التي كانت ذات قوّةٍ عسكريةٍ ضخمةٍ وكانت حامية للمقدّسات الإسلامية وبالذات القدس وما رافق ذلك أيضاً من بداية زيارات الأمريكيين لفلسطين وإكتشافهم لها (كأرضٍ مقدّسةٍ فيها القدس وجبل صهيون...) وتحمُّسهم لبعث "إرسالياتٍ تبشيرية"، ما كانت لتجرؤ على القدوم إليها أثناء الحكم العثماني في قوّته، أقول: لقد ساهم ذلك كلُّه في تحويل (المدينة على الجبل) من الرمزية، كما كانت في أمريكا، إلى الواقعيّة الجغرافيّة الدّينيّة (أي إلى إنشائها على أرض مدينة القُدس في أرض الميعاد) وبدأت أفواج السيّاح والحُجّاج والرحّالة (الأمريكيين) بالتوافد إلى فلسطين، وكانوا يغادرونها وهم يشعرون بالحُزن واللوعة والغضب لوقوع هذه المدينة المقدّسة تقع تحت الإحتلال التركي!!!.

تقول "آني شو" **[يا للأسف، لن يتخّيل المرُء أنّ القدس كانت في يوم ما مدينة جميلة .. الأرض التي يجري فيها اللبن والعسل، فلسطين ترزح الآن تحت إحتلال الأتراك الهمجيين ... وعلى جبل صهيون يقف مسجدٌ مُحمّديٌّ على موقع الهيكل].** ومثلها تماماً حتى يعبر "ديفيد دور" عن غضبه وأسفه عند رؤية مسجد الخليفة عمر تعكس قبته نور الشمس، وهو يهيمن بارتفاعه على المدينة وعلى أبنيتها، وينظر بإحتقار إلى الهيكل المقدَّس"[(١)]

وقد كانت هذه الأحاسيس والشعور بالألم تحتلُ مكاناً واسعاً في كتابات المبشّرين ورجال الدّين المسيحيين المتهّودين الذين كتبوا عن زياراتهم تلك بعد عودتهم إلى أمريكا وعلى رأس هؤلاء القس المشهور "لي سميث" الذي كان يقود بعض رحلات الحج والزيارة إلى القدس لشحن جماهير البروتستانت الأمريكيين بمعتقداته المسيحيّة اليهودية "ومن ذلك قوله: [ملأت قلوبنا مشاعر الرهبة حين وقفنا على جبل صهيون، وقلّبنا البصر بمجموعة من الأبنية المعروفة بضريحي داود وسليمان، صاحب المزامير الإسرائيلية وحكيم إسرائيل. ثمة شك لدينا بالإدّعاء القائل بأنّ العشاء الأخير أُقيم في غرفة من غُرف هذه الأبنية، أما بالنسبة لضريحيْ داود وسليمان فما من شك أنهما يقعان تحت هذه الأبنية. **لكن يا للأسف! فالأتراك المحتّلون يُسيطرون على هذه المواقع ولا يسمحون**

---

(١) الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ١٢٠.

للمسيحيين سوى بزيارتها فقط] وعندما دخل سميث إلى المسجد الأقصى ونظر إلى قبة الصخرة عبر عن ألمه لاحتلال المسلمين موقع هيكل سليمان، واختلس لحظة من مرافقيه فكسر من الحائط شظية صخر أخذها معه إلى أمريكا".[١]

وقد ساهمت تلك الرحلات وما رافقها من دعاية وإعلام صهيونيّ من قِبَل الأدلاّء والمرشدين السّياحيين اليهود في ترسيخ معتقدات (أرض الميعاد والشعب المختار ووجوب دعمه وتأييده للعودة إلى دياره من بلاد الشتات) عند الأمريكيين الذين لم يكونوا قد عرفوها من قبل وقد كانت تلك الرحلاتُ مقدّمةً هامّةً لإنشاء منظّماتٍ وجمعياتٍ أمريكية صهيونيةٍ نشطت في أوائل القرن التاسع عشر لدعم الهيود والعمل على إعادتهم إلى أرض الميعاد وذلك بعد محاولة العمل على هدايتهم إلى المسيحية (ولكن تلك المحاولة لهدايتهم لم تفلح بالطبع) "**إلاّ أنه مع مرور السنين لم تعُد هداية اليهود شرطاً ضرورياً (عند اليمينيين المتطرّفين في أمريكا) لعودة اليهود إلى أرض الميعاد. بل في الواقع شرع بعض هذه المنظمات بإستعمال تعابير مثل "تحسين" و"إصلاح" أوضاع اليهود بدلاً من "هدايتهم" وينصح "القاموس الديني"، مثلاً، المبشرين والأصوليين [أنَّ على المسيحيين أن لا يضعوا العوائق في طريق اليهود. فإذا نحن حاولنا أن نقوم بأي نشاط لهدايتهم، فلنجعل هذا النشاط على شكل حُبٍّ وسلامٍ ولنقترح عليهم المسيحية كما قدّمها المسيح لهم. لنضع أمامهم النبوءات الخاصة بهم. ولنمتنع إمتناعاً تاماً عن وضع الحدود لحقوقهم المدنية وعن الحجر على ضمائرهم]**[٢]

وممّا يجدرُ ذكره هنا أنّ هؤلاء المسيحيين **المتصهينين عندما كانوا يأتون لزيارة فلسطين ويتجّهون نحو القدس كانوا يأتونها من طريق مصر ثّم إلى البحر الأحمر ثّم إلى سيناء ثم إلى جنوب فلسطين ثم إلى القدس وذلك إنطلاقاً من قراءاتهم الحرفيّة لنصوص الكتّاب المقدّس ورغبةً منهم في إستشعار الآلام التي شعر بها أسلافهم اليهود عندما خرجوا من مصر إلى فلسطين!!! والرغبة في المضيّ على خطاهم** وقد ذكر الأستاذ المبُدِع فؤاد شعبان[٣] أنّ "صموئيل كولكورد بارتليت"، رجل الدين المعروف ورئيس جامعة "دارتموث"، قد أجرى أبحاثاً متعّمقةً فيما يتعلّق بالطريق التي سلكها "الإسرائيليون" وذلك قبل أن يشرعَ برحلته. ولقد لَخَّصَ نتيجةَ هذه الأبحاث في

(1) المرجع السابق نفسه ص ١٢٠.
(2) المرجع السابق نفسه ص ١١٧، ١١٨.
(3) الدكتور فؤاد شعبان،[م. س]، ص ١٠٩.

عنوان الكتاب الذي وضعَهُ عن رحلته إلى الشّرق العربي: "من مصر إلى فلسطين عبر سيناء والأرض اليباب والمناطق الجنوبية: خواطر من رحلتي في إطار تاريخ الإسرائيليين" (١٨٧٩).

ولم يكتف هؤلاء البروتستانت الأمريكيّون بما سبق وأن قدّموه من دعم (معنويٍ ودينيٍ وماليٍّ) لليهود الصهاينة بل إنّهم قد شرعوا في توجيه الدّعم المالي لبناء المستوطنات اليهوديّة في فلسطين. وربما لا يعرف الكثيرون أنَّ أول مستوطنة يهودية في فلسطين بُنيت بأموالٍ أمريكيةٍ "فمن مدينة فيلادلفيا حيث نشطت الأصولية الإنجيلية، قامت سيدة الإحسان "كلورندا مينر" وهي زوجة أحد أثرياء المدينة بدعوة مجموعة من رجال الدين المسيحي لزيارة الأراضي المقدسة عام ١٨٥٠، وهناك قامت مع مجموعتها الدينية بشراء أرض بالقرب من مدينة يافا، ووهبتها لخدمة الرب في إقامة مستوطنات يهودية فوقها. وبالفعل فإن سيدة المستوطنات الصهيونية الأولى "بتاح تكفا" أو جبل الأمل، كانت قد بنيت فوق هذه الأراضي بأموال أمريكية ثم أُعيدَ توسيعها في العام ١٨٨٣ بعد الموجة الأولى من المهاجرين اليهود إلى فلسطين"[1]

نعم لقد سبق هؤلاء البروتستانت المتهّودون هرتزل وبلفور في الإعلان عن صهيونيتهم بلا خوفٍ ولا حياء وإذا كانت مقولة "فلسطين أرض بلا شعب" قد نُسِبتْ إلى الكثيرين من حديثيي الصهيونية لاحقاً، فإنّه بالعودة إلى العام ١٨٨٨م ندرك أنّ "بلاكستون"[2] هو أول من أطلق هذه الصيحة التي فعلت فعلها في الضمير الغربي طوال عقود كثيرة. ذلك أن الرجل الذي أراد أن يختبر بنفسه مقاصد الله كما يتصورها، قام برحلة إلى فلسطين حاّجاً إلى الأرض المقدسة برفقة إبنته، وهناك وصف الحال بقوله **[إنّ ما يراه في فلسطين هو شذوذ. فكيف تُركت هكذا أرض بغير شعب، بدلاً من أن تُعطى لشعب بغير أرض]**[3]

يُستفاد ممّا سبق أنّ الإرتباط ما بين الصهيونية والبروتستانتيّة كان إرتباطاً وثيقاً تماماً كإرتباط أعضاء الجسد الواحد منذ الميلاد. كيف لا والعقل الذي يحركهما ويتحكم فيهما واحدٌ؛ آلا وهو الأساس التوراتي. وكانت الروح المنفوخة فيهما روحاً واحدةً في جسدين. نعم، لقد كانت

---

(1) الأستاذ إميل أمين، [م. س]، ص ١٢١.

(2) في سنة ١٨١٩، تقدم هذا المبشّر الإنجيلي وليام بلاكستون ، وهو واحد من أبرز المسيحيين الصهيونيين الأمريكيين، بـ (عريضة) إلى الرئيس الأمريكي بينيامين هاريوس مطالباً بتدخل أمريكا لإعادة اليهود إلى فلسطين، وجمع على العريضة تواقيع ٤١٣ من كبار الأمريكيين المسيحيين البارزين، كان من بينهم عميد أسرة روكلفر، جون روكلفر، وكبير قضاة المحكمة العليا، ورئيس مجلس النواب، وعدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ، ورؤساء تحرير عدد من الصحف الكبرى. وجاء في عريضة بلاكستون:
"وطبقاً لتوزيع الرب أرضه على الأمم، تظل فلسطين (وطن اليهود)، وتظل ملكاً لهم غير قابل للتصرف، طردوا منه بالقوة الغاشمة، وعندما كانوا يفلحونها كانت فلسطين أرضاً مثمرة أقامت أود ملايين عديدة من بني إسرائيل الذين عملوا بكد في وديانها وعلى سفوح تلالها فلقد كانوا أمة زراعية منتجة بقدر ما ظلوا أمةً ذات باع تجاري عظيم، وكانوا مركز الحضارة والدين.

(3) راجع كلاً من كتاب إميل أمين [م. س] ص ١٢٢ وكتاب الدكتور فؤاد شعبان [م. س] الفصل الثاني وكتاب الدكتور يوسف الحسن [م. س] ص ٤٢ فما فوق.

إسرائيل هي الروح التي تضربُ بجذورها هناك على التربة الأمريكيّة ولم يكن من المستغرب أبداً أن تسارع الحكومات الأمريكية لدعم مقررات مؤتمر بازل الصهيونيّ ومن بعده وعد بلفور فقد كانت متعايشة مع الصهيونية بل راعيةً لها وهي التي وُلدت على أرضها فكانت ذات أسبقيّةٍ في ذلك فكانت موافقة الرئيس الأمريكي "وودور ولسن" على وعد بلفور دونما شروط وأخذ خلفاؤه في الرئاسة يُلزمون أنفسهم بالموقف الصهيوني بطريقةٍ أو بأخرى... "وأظهر الرؤساء الجمهوريون الثلاثة الذين خلفوا ولسن ــ وارن هاردنج وكالفن كولدج وهربرت هوفر ــ نفس المشاعر التي كان يبديها سلفهم الديمقراطي، وقد عبر الرئيس هاردنج عن موقفه بوضوح في الأول من يونيو عام ١٩٢١ [يستحيل على من يدرس خدمات الشعب اليهودي ألاّ يعتقد أنهم سَيُعادون يوما إلى وطنهم القومي التاريخي، حيث يبدأون مرحلة جديدة، بل مرحلة أكبر، من مساهمتهم في تقديم الإنسانية]"[١]

ولربّما يعترضٌ مُعتِرضٌ فيقول: إنّ مواقفَ الساسة الأمريكيين والرؤساء السابق ذِكرهم لا تعبّرُ بالضرورة عن قناعات معظم الشعب الأمريكي؟؟ فأقول ردّاً على ذلك: إن كانت مواقف الرؤساء لا تعبّرُ بالضرورة عن قناعات ومواقف الشعب الأمريكي فإنّ مواقف "الكونغرس" بشقيّه "الشيوخ" و"النواب" تعبّرُ حتماً وبكلّ صراحةٍ عن مواقف الشعب الأمريكي وقد سَارع الكونغرس (وهو الممثل الحقيقي لنبض الشارع الأمريكي) إلى تأييد وعد بلفورٍ بشكل صريحٍ وعلني ووافق جميع أعضاء مجلس "الشيوخ" و"النواب" على الوعد بالإجماع وذلك في جلسته التي عُقدت في شهر تموز من عام ١٩١٨ أي بعد إعطاء الحكومة البريطانية الوعد بثمانية شهور فقط حيث كان تاريخ إصدار الوعد يوم الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧م. وقد كانت إجابات أعضاء "الكونغرس" صهيونيةً في أسلوبها ومضمونها، وقد إستشهد كثيرٌ منهم بالعهد القديم العبراني، واقتبسوا نبوءاتٍ توراتيّةً لِيُظهروا أنّ اليهود "سيصبحون الشعب الحاكم في فلسطين" كما دعا آخرون إلى إقامة دولةٍ يهودية، وطالبوا بأنْ تقومَ حكومةُ الولايات المتّحدة بإتخاذ عملٍ ينسجمُ مع وعد "بلفور" والفقرة التالية المقتبسة تمثل عيّنةً من صهيونية الكونغرس المبكرة:

[كما خلّصَ موسى الإسرائيليين من العبودية، فإن الحُلفَاء الآن يُخلّصون يهوذا من أيدي الأتراك القبيحين، وهي الخاتمة الملائمة للحرب العالميّة هذه. إنَّ يهوذا يجبُ أن تقومَ كأمّةٍ مُستقلّةٍ وتكونَ لها القوةُ لتحكم نفسها وتتقدَّم وتُكملَ مثاليّاتها في الحياة. إنّني أحسُّ أنّني أعبّرُ عن أفكار الشّعب الأميركي، وبالتأكيد عن أفكار أولئك الذي بَحثتُ معهم هذا الموضوع، وهو أنَّ

---

[١] ريجينا الشريف، [م. س] ص ١٩٤ بتصرُّف.

حكومَة الولايات المتحدة يجبُ أن تمارس سُلطاتها الملائمة لرؤية هذا الدَّولة اليهودية تُقامُ لتنبثقَ منها تعاَليمُ ومبادئُ يهوذا القديمة][١]

بقيتْ في نهاية هذا الفصل الإشارةُ إلى أنّ بعض نبوءات التراث "البروتستانتي اليهودي" المشترَك كانت هي الدافع الأكبر والمحرِّكَ الأبرز لأقلام هؤلاء وأفكارهم وهي عينها النبؤات التي دفعت إلى إقامة مستوطناتٍ أمريكيّةٍ في القدس وجوارها وهي التي دفعت الكثير من الأمريكيين للهجرة من أمريكا والإستيطان في فلسطين **وقد عبّروا عن سبب تلك الهجرة إلى فلسطين بقولهم "أردنا أن نكون هناك حيث نستطيع أن نرى بأمّ أعيننا تحقيق النبوءات"**[٢] فما هي هذه النبؤات؟ ومن أين جاءت؟ وهل هي ممكنةُ التحقُّق؟؟؟ هذا ما سنجدُ الإجابة عليه في الفصل القادم.

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢١٧ بتصرَّف.
(2) الدكتور فؤاد شعبان،[م. س]، ص ١١٠.

الفصل الثالث

نبوءات المسيحيّة الصهيونيّة

(النّبـــــــوءات)

ــ مقدمة ــ

إنّ واحدةً من أبرز القواسم المشتركة عند الحديث عن معتقدات "البروتستانت" واليهود قضيّة (النبوءات المستقبليّة) أوّ النبوءات التي يدّعون أنّ الكتاب المقدّس تحدّث عنها وأخبر أنّها ستقع في آخر الزمان، وأنّ الحياة على الأرض لن تنتهي دون وقوعها وأنّ "يوم الدّيْنُونة" لن يأتي حتّى تكتمل مقدّماته، وهذه المقدّمات بإختصارٍ هي هذه النّبوءات ... والقول بأنّها قواسمُ مشتركةٌ إنّما يعني ورودها في كلٍّ من العهدين القديم والجديد. وهذه النّبوءات منها ما وقع وتحقق (كنبوءة إختيار الله شعبه لسكنى الأرض المقدّسة) ومنها ما هو على قائمة الإنتظار، والعمل جارٍ على الإستعداد له (كنبوءة مملكة المسيح الألفيّة مثلاً). والحديث عن هذه النّبوءات لا ينقطعُ في الحياة اليوميّة للشعب الأمريكي. وقد وصل الأمرُ إلى كون هذه النبوءات جزءً هاماً من موضوعات "السّينما الأمريكية" وقد إحتلّت "الأفلام" ذات الموضوعات الدّينية التي تتحدّث عن هذه النبوءات مراتبَ الصّدارة من حيث الإيراداتُ الماليّة والمردودات الربحيّة مرّاتٍ عديدةً ومنها على سبيل المثال لا الحصر (Omen) و (Armageddon) و(End of Days) و(Kingdome of Heaven) هذا بالإضافة إلى أنّ هُنالك عشرات المواقع الخاصّة على شبكة "الإنترنت" المخصَّصة فقط لمعالجة موضوعات هذه النّبوءات والحديث عنها، وهي مواقع يجري تحديثُ معلوماتها على مدار السّاعة ومنها على سبيل المثال لا الحصر موقع (Apocalypse Soon) وموقع (Bible Prophecy) وموقع (Prophecy Central / Overview). هذا بالإضافة إلى العديد من البرامج الدّينية المُتَلفزة (عن طريق المحطات الأرضية والفضائية) التي لا همّ لها سوى الحديث عن هذه النبوءات والتبشير بقرب وقوعها. وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر برنامج (Expect A miracle) وبرنامج (The 700 Club) وبرنامج (Old – Time Gospel Hour).

وقد تعمّدتُ ذِكرَ "السينما" و"الإنترنت" و"التلفاز" لأنَّ التَّعامُلَ مع هذه الوسائل إنّما هو زادٌ يوميٌ لكل مواطن "أمريكي" على وجه الخصوص وغربيٍّ على وجه العموم، ووصول موادّها ومضامينها إليهم هو أمرٌ قطعيٌّ لا شكَّ فيه، خصوصاً أنّ "إسرائيل" هي محور هذه النبوءات كلها. ويجدر التنبيه في مقدّمة هذا الفصل إلى أنّ علامات نهاية الزمان حسبَ الاعتقاد "البروتستانتي" اليهودي ليسَ موضوع الحديث الرئيس وإنمّا النبوءات والتي هي جزءٌ أساسٌ من علامات نهاية الزمان.

المبحث الأول

أرض الميعاد والشعب المختار

تحتل الأرض المقدّسة مكان الصدارة في نبؤات التراث "البروتستانتي" اليهودي وذلك لأنّ جميع النبؤات الأخرى، التي سيأتي الحديث عنها، إنّما تقوم وتتحقق على هذه الأرض المقدّسة دون سواها وبالذات في مدينة القُدس التي تحتلُ مكان الصدارة من حيث الأهميّة الدينيّة، والحديثُ عنها وعن (الهيكل) الموجود فيها يحتلُ مساحةً كبيرةً في أسفار العهد القديم مِنْ بدايته إلى نهايته، وإنّه لمن السّهل على كل قارئٍ للعهد القديم أن يلحظ ذلك بمجرّد شروعه في قراءة أول أسفارها ألا وهو "سفر التكوين". وتمزج الكثير من إصحاحات الأسفار الخمسة الحديث عن "الأرض المقدّسة" بالحديث عن ذريّة إبراهيم وبكونها "الشعب المختار" الذي إصطفاه الله وإنتقاه لسُكنى تلك الأرض.

ولو جئنا لمزيد من التخصيص والتّدْقيق لقُلنا: إنّ هذه النبوءة الأولى تتكونّ من عنصرين مُتلازمين هما عُنْصر (الشعب المختار) وعُنْصر (الأرض المقدّسة) التي وعد الله بها إبراهيم ومن هنا جاءت تسْميتها "بأرض الميعاد" أو "الأرض الموعودة" وقد دعم التراثُ "البروتستانتي" اليهودي مزاعَمه في هذين العُنْصرين بأدلّةٍ كثيرة ساقوها من التوراة (حسْبَ تفسيرهم وفهمهم لها طبعاً) ومن ذلك:

أولاً: "**في ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ عَقَدَ ٱللهُ مِيثاقاً مَعْ أَبْرَامَ قَائِلاً: "سَأَعْطِي نَسْلَكَ هَذِهِ ٱلأَرْضَ مِنْ وَادِي ٱلْعرِيشِ إِلَى ٱلنَّهْرِ ٱلْكَبِيرِ، نَهْرِ الفرات**"[(١)]

ثانياً: "وَعِنْدَمَا كَانَ أَبْرَامُ فِي ٱلتَّاسِعَةِ وَٱلتِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ، ظَهَرَ لَهُ ٱلرَّبُّ قَائِلاً: "أَنَا هُوَ ٱللهُ ٱلْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، **فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأُكَثِّرَ نَسْلَكَ جِدًّا**". فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَاطَبَهُ ٱللهُ قَائِلاً: "**هَا أَنَا أَقْطَعُ لَكَ عَهْدِي**، فَتَكُونُ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ. وَلَنْ يُدْعَى ٱسْمُكَ بَعْدَ ٱلآنَ أَبْرَامَ [وَمَعْنَاهُ ٱلأَبُ ٱلرَّفِيعُ] بَلْ يَكُونُ ٱسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ [وَمَعْنَاهُ أَبٌ لِجُمْهُورٍ] لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ ٱلأُمَمِ؛ وَأُصَيِّرُكَ مُثْمِراً جِدًّا، وَأَجْعَلُ أُمَمًا تَتَفَرَّعُ مِنْكَ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَسْلِكَ مُلُوكٌ. **وَأُقِيمُ عَهْدِي ٱلأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، ٱلَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً**". [(٢)]

---

(1) سفر التكوين: ١٥: ١٨.
(2) سفر التكوين: ١٧: ١ – ٨.

"وَقَالَ آلرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: "أَمَّا أَنْتَ فَآحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ مَدَى أَجْيَالِهِمْ"[١]

ثالثاً: "أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ آسْتَجَبْتُ لطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقًا، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِرًا، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدًّا فَيَكُونُ أَبًا لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً. **غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحقَ آلَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ آلْوَقْتِ مِنَ آلسَّنَةِ آلْقَادِمَةِ**"[٢]

---

[1] سفر التكوين: ١٧: ٩.

[2] سفر التكوين: ١٧: ٢٠ – ٢١.

ملاحظة: يتكرّر هذا الوعد بهذه الأرض في مواضع أخرى من التوراة هي:

سفر التكوين ١٢: ١-٣، ٥-٩

سفر الخروج ٦: ٦-٨

سفر الخروج ٨: ٢٠ – ٢١

سفر التثنية: ٢٦: ١٥ – ١٩.

سفر إشعياء: ١٤: ١ – ٢

سفر حزقيال: ٢٠: ٤٠ – ٤٢.

المبحث الثاني

مملكة المسيح والمُلك الألفيُّ السّعيد

تجدر الإشارة في بداية هذا الفصل إلى الملاحظات التالية:

أولاً: إنّ هذه النبؤة الثانية وبقيّة النّبؤات التي أتناولها في هذا الفصل تندرج، حسب تصنيف البروتستانت، تحت عنوان "العصمة" أي أنها من المستحيل أن لا تتحقق وتقع، وبالتالي فيجبُ الأخذُ بحرّفيتها كما وردتْ في الكتاب المقدّس ويجبُ تفسيرها تفسيراً حرفيّاً بكُلّ حذافيرها على النحو الذي يروّج له الأصوليون البروتستانت اليهود وبالتالي فإنّ مجادلة هؤلاء ومناقشتهم فيها إنما هو ضربٌ من ضروب العبث وإضاعة الوقت.

ثانياً: هذه النبؤة الثانية إنّما هي مزيجٌ مركّبٌ من مجموعةِ نبؤاتٍ هي (المجيء الثاني للمسيح ومن ثمَّ قيام حكمه في مملكته لمدّة ألف سنة ومحاربته لقوى الشرّ مجتمعةً تحت راية المسيح الدجّال ومن ثمّ وقوع معركة هرمجدون وإنتصار المسيح وأتباعه).

ثالثاً: معظم هذه النبؤة مأخوذة من السفر الأخير للإنجيل والذي حمل عنوان "الرُّؤيا" ويُقصدُ بها الرؤيا التي "أَعْطَاهَا ٱللهُ لِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، لِيَكْشِفَ لِعبيدِهِ عَنْ أُمُورٍ لاَبُدَّ أَنْ تَحْدُثَ عَنْ قَرِيبٍ. وَأَعْلَنَهَا ٱلْمَسِيحُ لِعَبْدِهِ يُوحَنَّا[١] عَنْ طَرِيقِ مَلاكٍ أَرْسَلَهُ لِذَلِكَ. وَقَدْ شَهِدَ يُوحَنَّا بِكَلِمَةِ ٱللهِ وَبِشَهَادَةِ يَسُوع ٱلْمَسِيحِ، بِجَمِيعِ ٱلأُمُورِ ٱلَّتِي رَآهَا. **طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ كِتَابَ ٱلنُّبُوءَةِ هذَا وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَهُ، فَيُرَاعُونَ مَا جَاءَ فِيهِ، لأَنَّ مَوْعِدَ إِتْمَامِ ٱلنُّبُوءَةِ قدِ ٱقْتَرَبَ!**"[٢]

ويطالعنا كاتب هذه "الرؤيا" بمشهدٍ باهرٍ يظهُر فيه المسيحُ مُمَجَّدًا، ثم يُدَوِّنُ الرسائل التي أمره بإبلاغها إلى الكنائس السبع. وبعد ذلك تتوالى الإعلاناتُ المتعلّقة بما سيحدثُ في آخر الزمان من ضِيقاتٍ وبلايا وأحداثٍ رهيبة، وحروبٍ تنتهي بهزيمة "إبليس" وجُندهِ وتطهير الأرض من الأشرار ليملكَ المسيحُ مدة ألف سنة. ثم ينهي الكاتب رؤياه بوصف قيامة الأشرار للدينونة أمام العرش العظيم الأبيض في اليوم الأخير، وينتهي إلى وصف الحالة الأبدية حيث يتّم النصر لله وللمسيح في السماء الجديدة والأرض الجديدة، إذ يتحقق الخلاص النهائي للمؤمنين.

رابعاً: هناك إختلافات بين المعتقدِين بهذه الرؤيا في ترتيب وقوع أحداثها وبالذات في مسألة نزول المسيح؛ هل يكون بعد بناء المؤمنين به لمُلْكٍ مسيحيٍّ أرضيٍ يستمر ألف عام أم أنّ نزول

---

(1) مؤلف هذا السفر هو القدّيس يوحنّا اللاهوتي، وأخذ من تلاميذ السيد المسيح وقد كتبهُ في جزيرة "بطمس" بآسيا سنة ٩٧م، حسب شُرّاح ومؤرّخي الكتاب المقدّس.

(2) الرؤيا ١: ١-٣.

المسيح يكون ليبدأ بنفسه إقامة مملكته الأرضيّة لمدّة ألف عام[١]، ومدى دور العُنصر الإلهي في التخطيط لحدوث ذلك. ممّا أدى إلى نشوء طوائف ومعتقداتٍ مختلفةٍ حول هذه التفاصيل حَمَلَت مسميَاتٍ منها (الألفيون التدبيريون، والحقبائيون "أصحاب مذهب ما قبل الألفية" وأصحاب مذهب ما بعد الألفيّة) وهذه تقسيماتٌ سيأتي ذكرها بعد سرد نصوص ومستندات هذه الرؤيا ومضمونها بعونُه تعالى.

خامساً: إنّ البُقعة الجغرافية التي تتحققُ على أرضها هذه النّبؤة وغيرها هي القدس، فهي المكان الذي شهد مجيء المسيح الأوّل وقيامته وصعوده، وهي المكان الذي سيُعاد فيه بناء الهيكل لتِقدّم فيه الذبائحُ من جديد وليرثَ شعبُ الله المختار (اليهود) الأرض ويدخلوا في مملكة الربّ الأبديّة.

أدّلةُ ومستنَداتُ مجيء المسيح والمُلْكِ الألفي

أولاً: **وَلَكِنَّ ٱلَّذِي يَثْبُتُ حَتَّى ٱلنِّهَايَةِ، فَهُوَ يَخْلُصُ. فَسَوْفَ يُنَادَي بِبِشَارَةِ ٱلْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي ٱلْعَالَمِ كُلِّهِ، شَهَادَةً لِي لَدَى ٱلأُمَمِ جَمِيعًا. وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْتِي ٱلنِّهَايَةُ**".[٢]

ثانياً: **وَفِي عَهْدِ هَؤُلاَءِ ٱلْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلٰهُ ٱلسَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لاَ تَنْقَرِضُ إِلَى ٱلأَبد، وَلاَ يُتْرَكُ مُلْكُهَا لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُبِيدُ جَمِيعَ هَذِهِ ٱلْمَمَالِكِ. أَمَّا هِيَ فَتَخْلُدُ إِلَى ٱلأَبد**".[٣]

ثالثاً: "ثُمَّ رَأَيْتُ عُرُوشًا مُنِحَ ٱلْجَالِسُونَ عَلَيْهَا حَقَّ ٱلْقَضَاءِ. وَرَأَيْتُ نُفُوسَ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱلشَّهَادَةِ لِيَسُوعَ وَفِي سَبِيلِ كَلِمَةِ ٱللهِ، وَٱلَّذِينَ رَفَضُوا أَنْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلِتِمْثَالِهِ، وَٱلَّذِينَ رَفَضُوا شَارَتَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَجِبَاهِهِم، **وَقَدْ عَادُوا إِلَى ٱلْحَيَاةِ، وَمَلَكُوا مَعَ ٱلْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ**. هَذِهِ هِيَ ٱلْقِيَامَةُ ٱلأُولَى. أَمَّا بَقِيَّةُ ٱلأَمْوَاتِ فَلاَ يَعُودُونَ إِلَى ٱلْحَيَاةِ حَتَّى تَنْقَضِيَ ٱلأَلْفُ سِنَةٍ. مَا أَسْعَدَ وَأَقْدَسَ مَنْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي ٱلْقِيَامَةِ ٱلأُولَى! لن يَكُونَ لِلْمَوْتِ ٱلثَّانِي سُلْطَةٌ عَلَيْهِم، **بَلْ يَكُونُونَ كَهَنَةً لِلَّهِ وَٱلْمَسِيحِ، وَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ.**

فَحِينَ تَنْقَضِي ٱلأَلْفُ سَنَةٍ، يُطْلَقُ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، فَيَخْرُجُ لِيُضَلِّلَ ٱلأُمَمَ فِي زَوَايَا ٱلأَرْضِ ٱلأَرْبَعِ، جُوجَ وَمَاجُوجَ، وَيَجْمَعُهُمْ لِلْقِتَالِ، وَعَدَدُهُمْ كَثِيرٌ جِدًّا كَرَمْلِ ٱلْبَحْرِ! فَيَصْعَدُونَ عَلَى

---

(1) يكاد هذا الاختلاف يتطابق مع معتقدات اليهود الآرثوذكس في موضوع إنتظارهم (للماشيح) أو (المشيح المخلّص) حيث يمكننا تصنيف الآرثوذكس المزراَحين على أنهّم من أتباع مذهب ما بعد الآلفية (حسب الإعتقاد اليهودي) فهم ينتظرون قدوم المخلّص لتقوم لهم بعد ذلك الدولة التي تجمع شتاتهم. ويمكننا تصنيف الآرثوذكس من جماعة (آغودات إسرائيل) على أنهم من أتباع مذهب ما قبل الألفية أو التدبيريين (حسب الاعتقاد اليهودي) فهم يمهدون لقدوم المخلّص بإقامتهم لدولة إسرائيل ويخططون لهدم المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل وذلك كمقدمة لقدوم المخلّص.

(2) إنجيل متّى ٢٤: ١٣، ١٤.

(3) سفر دانيال ٢: ٤٤.

سُهُولِ ٱلأَرْضِ ٱلْعَرِيضَةِ، وَيُحَاصِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مُعَسْكَرَ ٱلْقِدِّيسِينَ وَٱلْمَدِينَةَ ٱلْمَحْبُوبَةَ، ولَكِنَّ نَاراً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ وتَلْتَهِمُهُمْ. ثُمَّ يُطْرَحُ إِبْلِيسُ ٱلَّذِي كَانَ يُضَلِّلُهُمْ، فِي بُحَيْرَةِ ٱلنَّارِ وَٱلْكِبْرِيتِ، حَيْثُ ٱلْوَحْشُ وَٱلنَّبِيُّ ٱلدَّجَّالُ. هُنَاكَ سَوْفَ يُعَذَّبُونَ نَهَاراً ولَيْلاً، إِلَى أَبَدِ ٱلآبِدِينَ.

ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشاً عَظِيماً أَبْيَضَ هَرَبَتِ ٱلسَّمَاءُ وَٱلأَرْضِ مِنْ أَمَامِ ٱلْجَالِسِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمَا مَكَانٌ. ورَأَيْتُ ٱلأَمْوَاتَ، كِبَاراً وَصِغَاراً، وَاقِفِينَ كِتَابٌ آخَرُ هُوَ سِجِلُّ ٱلْحَيَاةِ، وَدِينَ ٱلأَمْوَاتُ بِحَسَبِ مَا هُوَ فِي تِلْكَ ٱلْكُتُبَ، كُلٌّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. وَسَلَّمَ ٱلْبَحْرُ مَنْ فِيهِ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ، وَسَلَّمَ ٱلْمَوْتُ وَهَاوِيَةُ ٱلْمَوْتَى ٱلأَمْوَاتَ ٱلَّذِينَ فِيهِمَا، وَحُكِمَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ ٱلْمَوْتُ وَهَاوِيَةُ ٱلْمَوْتَى فِي بُحَيْرَةِ ٱلنَّارِ، ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَوْتُ ٱلثَّانِي. وكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدِ ٱسْمُهُ مَكْتُوباً فِي سِجِلِّ ٱلْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ ٱلنَّارِ!"[1]

يُستفادُ ممّا سبق أنّ البروتستانت المتهّودين يعوّلون كثيراً في دعمهم لهذه النبوءة على ما سبق إيراده من نصُوص الكتاب المقدّس. ومن أجل صياغة مضمون هذه النّبوّة (نبوءة الملك الألفي) والمقصود منها بلغةٍ مفهومةٍ مبنيّة على شرح النصوص السابقة بإختصار أقول:

إنّ المقصود بالحُكم الألفي هو أنّ السيد المسيح عندما سيعود إلى الأرض، فإنه سيحكم ألف سنة، ينعم العالمُ خلالها بالسلام العالميّ، وبإنتصار الخير على الشر، ومعه سيحكم المؤمنون به طوال هذه الفترة الزمنيّة على الأرض. ومنشأ هذا الفكر يعتمد على ما جاء في السفر الأخير من أسفار الكتاب المقدس، (وهو المعروف بإسم سفر الرؤيا) كما يعتمد على رؤيا "دانيال" ورؤيا "حزقيال". وقد إختلفت الطوائف البروتستانتيّة في فهمها لتفاصيل المُلك الألفي إختلافاً كبيراً، لكنّها كلّها مُجمعةٌ على قيام مملكة المسيح التي سيحكم فيها ألف سنة، وقد نتج عن هذا الإختلاف ظهور مفاهيم هامَة من الصعب فهم "الرؤيا" دون الوقوف عليها وشرحها. وقد قام عدد كبيرٌ من الأساتذة والمؤلفّين في هذا الموضوع بشرحها وبيان دلالتها والمقصود منها وهي:

أولاً: الألفية التدبيريّة: [2]

هي كما هو واضح من إسمها، يقوم فيها العُنصرُ الإلهيُّ بفعلٍ واضحٍ ومفهومٍ،وهو فعلُ التدبير أي التخطيط لحدوث شئ ما، وتعني أنَّ مَن يؤمن بها يعتقد أنَّ هذا المُلك أو تلك المملكة، إنما

---

[1] الرؤيا ٢٠: ٤ ــ ١٥.
ملاحظة: للتوسع في نص هذه الرؤيا راجع الرؤيا ٢١: ١ ــ ١٤.
[2] راجع كتاب القس إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٩١، ص ١٨٦ ــ ٢٠٤ وكتاب الاستاذ رضا هلال، [م. س] ص ٨٦ ــ ٩٣، ١٩٠ ــ ١٩١، ٢٥٠ ــ ٢٥٢ وكتاب الأستاذ فؤاد شعبان، [م. س] ص ٣٢٠ ــ ٣٣١ وكتاب الأستاذ إميل أمين [م. س]، ص ١٦٧ ــ ١٦٩، وكتاب كارين آرمسترونج، [م. س] ص ٢٢٦ ــ ٢٢٩ وكتاب الاستاذ سعد رستم، [م. س] ص ٢١٦ فما فوق.

ستكون من عمل الله "المدبّر" للأمر، وأن الله يهُيئ للمُلك من خلال رموز يُسْتَدلُّ بها على قرب وقوع زمان الحكم، مثل قيام دولة إسرائيل، ومثل إنطباق وتحقق خطّة الله للكون التي رسمها بناءً على علاقته مع إسرائيل ومثل إكتمال مرور التاريخ بالتدبيرات أو بالعهود السبعة[1] لذا فإن على أتباع الألفية التدبيرية، ألاّ يعوقوا عمل الله أو يعارضوه، وإن استطاعوا ساعدوا في إنجازه، لكنهم موقنون بأنهم ليس هم بأيديهم الذين سيقومون به.

وينصبُّ نشاطهم على التبشير الدينيّ الممزوج بقدرٍ سياسيٍ وبملامحَ إجتماعيةٍ، وقد أخذوا في بلورة نهجهم منذ الستينيات في القرن الماضي.

ثانياً: القبلُ الألفيّة (سابقو المُلك الألفيّ).[2]

يرى أصحاب المذهب قبل الألفي، أنَّ الأحداث ستسير بدءاً من عودة السيد المسيح إلى الأرض، ليبدأ إقامة مملكته الأرضية بنفسه لمدة ألف عام، وهي تحتملُ أن يكون المؤمنون به هم الذين يقومون بتنفيذ الخطط الأوليّة للمملكة ونظامها، أو تدبيريَةً حيث دورُ المؤمنين بالمسيح فيها ينحصرُ في إنتظار حدوث المُلكِ مع المساعدة قدر الإمكان لتهيئة الأجواء للحدث الجلل، وتذليل الصعاب أمام العلاقات المبشّرة بقرب حدوثه، ومن هذه العلامات قيام دولة إسرائيل وعودة اليهود إليها وبناء الهيكل (في مكان المسجد الأقصى طبعاً!!!).

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا أنّ الكثيرين من المؤلفين يصنفون أصحاب مذهب الألفية التدبيرية على أنهم من أصحاب المذهب القبل الألفي وأنْ لا فرق بين المذهبين.

ثالثاً: البعد الألفيّة (مذهب الإحيائيين لاحقي المُلك الألفي)[3]

وفيها يرى المؤمنون بها السيد المسيح عائداً إلى الأرض، لكن بعد أن يكون المؤمنون به وقد حكموا العالم لمدّة ألف عام، وفي هذه الحقبة الزمنيّة الطويلة، سوف يبنون مُلكاً مسيحياً أرضيّاً، من خلاله يتّم لهم الحكمُ والسيطرةُ على العالم لمدة ألف عام، ثم يأتي بعد ذلك المسيح.

([1]) من أبرز الخطوط العريضة لخطة الله للكون ارتقاء المسيح في الغيوم وأخذه للمؤمنين إلى السماء ثم وقوع المحنة الكبرى وهي فترة سبع سنوات يحكم أثناءها المسيح الدجال العالم من الهيكل في القدس ثم تحدث في هذه الفترة آلام ومآسٍ كثيرة ثم يآتي في نهايتها المسيح ويقود جيوش الخير للقضاء على جيوش الشر والمسيح الدجال وتبدء بعد ذلك فترة الحكم الألفي ويذكر هنا أن التدبيرين يقسمون التاريخ إلى سبعة عهود أو تدبيرات هي عهد الأعمال، الضمير، الحكومات، الناموس، النعمة، المملكة، الأبدية.

[2] راجع كتاب القس إكرام لمعي، [م. س]، ص ١٨٦ – ٢٠٤ وكتاب الاستاذ رضا هلال، [م. س]، ص ٨٦ – ٩٣، ١٩٠ – ١٩١، ٢٥٠ – ٢٥٢ وكتاب الأستاذ فؤاد شعبان، [م. س] ص ٣٢٠ – ٣٣١ وكتاب الأستاذ إميل أمين [م. س]، ص ١٦٧ – ١٦٩، وكتاب كارين آرمسترونج، [م. س]، ص ٢٢٦ – ٢٢٩ وكتاب الاستاذ سعد رستم، [م. س]، ص ٢١٦ فما فوق.

[3] المراجع السابقة نفسها.

وللوصول إلى هذا الشكل من أشكال الحكم، يتم الإنتقال التدريجي من النظّمُ العلمانية السياسية إلى النظم التي تعمل فيها العقيدةُ عملَها وتشكّلُ أبعاد الحياة على وفقها، ويكون إستخدام الكتاب المقدس ــ خاصة العهد القديم فيها ــ كمصدر رئيس للتشريع والقيم والأخلاقيات.

ملاحظة هامة: يعتقدُ "البروتستانت" بأنّ اليهود في ظلّ الحُكم الألفي للسيد المسيح سوف يؤمنون برسالته ويدخلون في المسيحيّة وأنّه بسبب إيمان هؤلاء سيؤمنُ عددٌ كبيرٌ من الأمم بالمسيح، وتقول النبؤة: إنَّ عدد هؤلاء اليهود الذين سيعتنقون المسيحية سيكون مائةً وأربعةً وأربعين ألفاً، وأنّ السيّد المسيح سيخرج لإستقبالهم حين يأتون إليه من كل أنحاء العالم، ولذلك فليسَ من المستغرب أن نرى دعمهم المطلق لليهود ولدولة إسرائيل في عصرنا الحاضر...

لقد كانت عقيدة المُلك الألفي سائدةً في القرون الأولى للمسيحية، وسبب ذلك هو أنّ المسيحيين الأوائل كانوا يظنّون أن نهاية الأيام قريبة إلى الحد الذي ظنّ فيه بعضهم أنّها ستنتهي قبل نهاية الجيل الذي عاش فيه السيد المسيح، وعلّل كثيرون من شُرّاح ومفسّري "الكتاب المقدّس" ذلك بفهم المسيحيين الأوائل لكتابات "بولس الرسول" و"رؤيا يوحنا اللاهوتي"، التي كتُبتْ في حوالي سنة ٩٧ ميلادية في جزيرة "بطمس" (وقد إستمرت حتى القرن الرابع الميلادي، لكنها بدأت في الاختفاء بعد ذلك، خاصّةً بعد أن رفضها العديد من أتباع الكنيسة وقدّيسيها وعلى رأسهم "القدّيس أوغسطين" الذي يُعّد واحداً من فلاسفة الكنيسة ومفكّريها، وكان رفضُه لهذه العقيدة من مُنطلقٍ إيمانّيٍ، وهو أنّ السيد المسيح لم يتكلّم أبداً عن مُلكٍ دنيويٍّ بشريٍّ، إنما كان حديثه كلهُ روحياً وعن مملكةٍ روحيّةٍ وليست دنيويةً).[١]

ولكنْ هل يفيدُ ذلك بوجود مسيحيين لا يعتقدون بمملكة المسيح الأرضيّة وبحكمهِ الألفيّ وبدور اليهود في هذه المملكة؟؟ إنّ الأجابة على هذه التساؤلات كلّها إنّما تقودنا للحديث عن رافضي المُلك الألفي ففي معتقداتهم، بهذا الشأن، ما يعطينا الأجوبة الشافية.

رافضو المملكة الألفيَة:[٢]

يرفض أصحاب هذا المذهب التفسير الحرفيَّ للنبؤة المذكورة كما أنهم يرفضون كلَّ محاولةٍ لتحديد مجيء المسيح الثاني ويقولون [بأنّه لا أحد يعلم عن هذا اليوم أو الساعة إلاّ الآبُ وحده]. وهم

---

(1) الأستاذ إميل أمين، [م. س]، ص ١٦٩.

(2) راجع كتاب القس اكرام لمعي، [م. س]، ص ٢٠٤ فما فوق وكتاب الاستاذ رضا هلال، [م. س]، ص ٨٦ ـ ٩٣، ١٩٠ ـ ١٩١، ٢٥٠ ـ ٢٥٢ وكتاب الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ٣٢٠ ـ ٣٣١ وكتاب الأستاذ إميل أمين [م. س]، ص ١٦٧ ـ ١٦٩، وكتاب كارين آرمسترونج، [م. س] ص ٢٢٦ ـ ٢٢٩ وكتاب الاستاذ سعد رستم، [م. س]، ص ٢١٦ فما فوق.

ينتظرون مجيء المسيح في أيِّ وقت. وان كان المسيح نفسه لا يعرف موعد المجئ، فالعلامة الوحيدة لمجيئة هي المجيء ذاتُه، لذلك لا توجد أيّةُ علامةٍ تشير إلى المجيء. وأصحاب هذه النظرية لا ينكرون أنّ هناك أحداثاً سوف تتحققُ قبل المجيء الثاني (مثل عودة بعض اليهود إلى المسيح)، لكنّهم يقولون [إنّ هذه الأشياء يمكن أن تكون حادثةً بالتدرّج، وعندما تظهر بوضوحٍ سيكون الوقت متأخراً جداً لعمل أيِّ شئٍ، فالمجئ الثاني سوف يأتي دون علامةٍ مؤكّدةٍ] ... **(كما يعتقد أصحاب هذا المذهب بأنّ نبوءات العهد القديم قد تحقّقت في أحداثٍ قريبةٍ آنذاك، ولا علاقة لها بأحداث اليوم، ولذلك فهم يُعلنون بوضوحٍ أنّ الكتاب المقدّس لم يتحدث مطلقاً عن عودة اليهود إلى فلسطين، ولا عن مُلكِ المسيح من أورشليم، ويؤكدون ذلك بالقول [إنّ الحائط الذي كان يفصل بين اليهود والأمم قد أزيل]، ولا يوجد فارق بين يهودي وأُمَمّي أمام الله، وليس لليهود دور في التاريخ منُفصِلٌ عن الأمم، وليس لديهم أي إمتيازٍ لدى الله وبالتالي فليست لهم معاملةٌ خاصّةٌ من أيّ نوعٍ ولا وجودَ لهم كشعب الله لأنّهم ذابوا في الأمم وصاروا كأيّ شعبٍ آخر يعود إلى الله)** [(١)].

ولعلَّ معتقدات وآراء أصحاب هذا المذهب الرافض للألفيّة حسبَ التفسير "البروتستانتي" المتهّود لها تتوافق كثيراً مع معتقدات مجمع كنائس الشرق الأوسط بشكل عام حيث يذهب هؤلاء إلى أنّ أنها مملكة روحيّةٌ أخلاقيّةٌ بالدرجة الأولى كما يرفضون إعطاء اليهود أيّة أفضليّة في هذا الموضوع، وسيأتي تفصيل ذلك في مبحث خاص إن شاء الله.

---

(١) راجع كتاب القس اكرام لمعي، [م. س]، ص ٢٠٤ فما فوق وكتاب الاستاذ رضا هلال، [م. س]، ص ٨٦ – ٩٣، ١٩٠ – ١٩١، ٢٥٠ – ٢٥٢ وكتاب الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ٣٢٠ – ٣٣١ وكتاب الأستاذ إميل أمين [م. س]، ص ١٦٧ – ١٦٩، وكتاب كارين آرمسترونج، [م. س] ص ٢٢٦ – ٢٢٩ وكتاب الاستاذ سعد رستم، [م. س]، ص ٢١٦ فما فوق.

المبحث الثالث

بناء الهيكل الثالث

يؤمن البروتستانت المتهوّدون بوجود الهيكل. ويحتلُ الحديث عن الهيكل[١] وسبب بنائه ومراحل هذا البناء وأسباب هدمه ومراحل إعادة بنائه وأوصافه مساحةً كبيرةً جدّاً من صفحات الكتاب المقدّس وبالذات التوراة وتحديداً في أسفار (أخبار الأيام الأوّل والثاني، والملوك الأوّل، والتكوين وإشعياء وحزقيال) وليكونَ الكلامُ أكثر دقةً وتحديداً أضربُ المثالين التاليين:

١. إحتوت الإصحاحات (٢٣ – ٢٦) من سفر أخبار الأيام الأوّل ما مجموعه (١٢٨) آيةً كاملةً تتحدّث عن الهيكل مِن حيثُ عزمُ "داود" على بنائه، وطلب الربّ لذلك، وبناؤه في عهد "سليمان" ووصية "داود" لسُليمان بذلك وأمره لرؤساء بني إسرائيل بالمساعدة في ذلك وتقسيمه للاّويّين وواجباتهم وللكهنة، ولتوزيعه فرق الموسيقى وحُرّاس الأبواب وأُمناء الخزائن. وكلُّ ذلك متعلّق "بالهيكل". ومن ثمّ تحدّثت الآيات عن تقديم "داود" تصميمات "الهيكل" وآنيته "لسُليمان" وتبرّعه هو والرؤساء الأثرياء لبناء "الهيكل"....

٢. أمّا سفر الملوك الأوّل الذي أُستُهلَّ بالحديث عن وفاة "داود" وخلافة "سليمان" إبنه ملكاً على بني إسرائيل فقد أسهب في ذكر تفصيلاتٍ دقيقةٍ مُمِلّةٍ عن بناء الهيكل تحدّثت عن الإستعدادات التي سبقت المباشرة في البناء ومساهمة "حيرام" ملك صور في ذلك وتسخير "سليمان" لثلاثين ألف رجُل للبناء. ثم تحدّثت عن أدقّ التصميمات الداخليّة "للهيكل" الذي إبتدأ بناؤه في شهر أيّار من السنة الرابعة لتوليّه عرش إسرائيل (أي بعد خروج بني إسرائيل من مصر بأربعمائة وثمانين عاماً) ثم إنتهى الحديث في هذا السفر عن "الهيكل" بِذكر أنّ الإنتهاء من بنائه بكل تفاصيله تمَّ في شهر تشرين الثاني من السنة الحادية عشرة لحُكم "سليمان"؛ أيّ أنّ تشييد "الهيكل" إستغرق سبعَ سنوات وسيأتي ذكر النصوص الدّالّة على ذلك في الصفحات القادمة إن شاء الله.

ولعلّ أهمَّ ما حملّه سفرُ الملوك الأول من معلومات، تخدم رسالتي هذه، هو أنّ "سليمان" ألقى خطاباً تدشينيّاً (إفتتاحيّاً) عقِبتهُ صلاةٌ[٢] تدشينيّة هامّة تمّ فيهما تحديدُ معالِم المرحلة القادمة مِن حُكمه طلب فيهما التوفيق والعون من الله. وكان الخِطابُ يحملُ صورةً واضحةً للحديث عن إلهٍ

---

[1] كلمة الهيكل (Eg-gal)(إيكال) كلمة من مصدر سومري، ونقلت إلى اللغة الفينيقية ثم العبرية ثم العربية، وهي تعني (البيت الكبير)، وألصقت هذه التسمية بكل مكانٍ كبيرٍ يُتخذُ للعبادة. ويشار هنا إلى أنّ كلَّ ما تناولته كتب التاريخ عن هذا الهكيل المزعوم إنما هو مأخوذٌ من نصوص التوراة التي توسعت في ذكر أدقّ تفاصيله. أمّا عن الإنجيل فقد ذكره في وصفٍ يُفهم منه أنّه معبدٌ أو بيت للعبادة، بعكس التوراة التي وصفته بأوصاف تكاد تطابق أوصاف المعابد الوثنيّة لقدماء الإغريق.

[2] للتوسع في هذا الموضوع راجع سفر الملوك الأول ٨: ١٢ – ٦٦ وسفر أخبار الأيام الثاني ٦: ١ – ٢٤.

واحدٍ، ولا أبالغُ إذا وصفتُ هذا الخطاب بإنّه خطابٌ توحيديّ يشهد بوحدة الربّ ويعاهدهُ بالإستقامة على دينه والتمسُّك بعهده وحفظ وصاياة والتوبة إليه عند إرتكاب المعاصي والذنوب.

"عِنْدَئِذٍ هَتَفَ سُلَيْمَانُ: "قال ٱلرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي ٱلضَّبَابِ، وَلَكِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ هَيْكَلاً رَائِعاً، مَقَرّاً لِسُكْنَاكَ إِلَى ٱلأَبَدِ". وَفِيمَا كَانَتْ كُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ وَاقِفَةً هُنَاكَ، ٱلْتَفَتَ ٱلْمَلِكُ نَحْوَهُمْ وَبَارَكَهُمْ جَمِيعاً، قَائِلاً: "تَبَارَكَ ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ ٱلَّذِي حَقَّقَ ٱلْيَوْمَ وَعْدَهُ ٱلَّذِي قَطَعَهُ لأَبِي دَاوُدَ ... وَٱنْتَصَبَ سُلَيْمَانُ أَمَامَ مَذْبَحِ ٱلرَّبِّ، فِي مُوَاجَهَةِ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ، وَقَالَ: **"أَيُهَا ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيل، لَيْسَ نَظِيرٌ لَكَ فِي ٱلسَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَلاَ عَلَى ٱلأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. أَنْتَ يَا مَنْ تُحَافِظُ عَلَى عَهْدِ ٱلرَّحْمَةِ مَعَ عَبِيدِكَ ٱلسَّائِرِينَ أَمَامَكَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِم. ٱلْيَوْمَ حَقَّقْتَ وَعْدَكَ لِأَبِي دَاوُدَ فَٱلآنَ ٱحْفَظْ لأَبِي دَاوُدَ مَا وَعَدْتَهُ بِهِ، إِنَّهُ إِذَا حَذَا أَوْلاَدُهُ حَذْوَهُ، وَسَارُوا فِي طَرِيقِكَ، فَسَيَجْلِسُ دَوْماً وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَرْشِ إِسْرَائِيلَ"**.[١]

"إِذَا ٱنْهَزَمَ شَعْبُكَ أَمَامَ عَدُوِّهِمْ مِنْ جَرَّاءِ خَطِيئَتِهِمْ، ثُمَّ تَابوا مُعْتَرِفِينَ بِٱسْمِكَ، وَصَلُّوا مُتَضَرِّعِينَ إِلَيْكَ فِي هَذَا ٱلْهَيْكَلِ، فَٱسْتَجِبْ أَنْتَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱصْفَحْ عَنْ خَطِيئَةِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ، وَأَرْجِعْهُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي وَهَبْتَهَا لآبَائِهِمْ".[٢]

ثم يذكر السّفْر نفسه أنّ سليمان لمّا إنتهى من هذه الصّلاة إلى الربّ والتضرُّع إليه نهض من أمام المذبح **حيث كان جاثياً على ركبتيه وباسطاً يديه نحو السماء** وقف وباركَ الشعبَ كلّه ودعا لهم ... **معلومّةٌ هامّةٌ أخُرى تضمّنها هذا السّفر ألا وهي موقف الربّ من خطاب سُليمان (التوحيدي)** السابق فقد أخبرنا السّفرُ عن أنّ الله تجلّى لسُليمان[٣] وأخبره بأنّه قد سمع صلاته وتضرّعه وأنه قدَّس الهيكل وتقبّله وأنّه سيستمر في مباركته وتوفيقه دائماً **إذا سلكَ "سليمان" أمام الله كما سلك أبوه "داود" بكمال القلب والإستقامة وطبّق كلّ ما أمره به، وإذا هو أطاعَ فرائضَ الربّ وأحكامه فالمُكافأة حاضرةٌ، ألا وهي تثبيتُ كرسيّ مُلك سليمان على إسرائيل للأبد إضافةً لشرطٍ آخر ألا وهو أن لا ينحرف هو وأبناؤه وبنو إسرائيل عن إطاعة وصايا الرب وفرائضه وألاّ يعبدوا آلهة أخرى ويسجدوا لها وإلاّ كانت النتيجةُ أن يبُيدَ الربُّ إسرائيل عن وجه الأرض التي وهبها لهم وأن ينبذ الهيكل فتصبح إسرائيل مثلاً ومثار هزءٍ لجميع الأمم ويصبحُ الهيكل عبرةً يثيرُ عَجبَ كلَّ من يمرُّ به فيَصْفُرُ ويتساءل عن سبب خرابه ودماره وتخلّي الربّ عنه، فتكون**

(1) سفر الملوك الأول ٨: ١٢ – ١٤.
(2) سفر الملوك الأول: ٨: ٣٣، ٣٤
(3) للتوسع في هذه القصّة راجع سفر الأيام الثاني ٧: ١٢- ٢٢.

الإجابة لأنَّ بني إسرائيل تركوا الربّ وتشبثوا بآلهةٍ أخرى وسجدوا لها وعبدوها فجلبَ عليهم الربُّ كلَّ هذا البلاء.

"وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ سُلَيْمَانُ بِنَاءَ هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ وَقَصْرِ ٱلْمَلِكِ، وَكُلَّ مَا رَغِبَ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْ مَبَانٍ أُخْرَى. تَجَلَّى ٱلرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ ثَانِيَةً كَمَا تَجَلَّى لَهُ فِي جِبْعُونَ، وَقَالَ لَهُ: "سَمِعْتُ صَلاَتَكَ وَتَضَرُّعَكَ ٱلَّذِي رَفَعْتَهُ أَمَامِي، لِهَذَا قَدَّسْتُ هَذَا ٱلْهَيْكَلَ ٱلَّذِي شَيَّدْتَهُ لأَضَعَ ٱسْمِي عَلَيْهِ إِلَى ٱلأَبَدِ، فَتَكُونُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ ٱلأَيَّامِ. **فَإِنْ سَلَكْتَ أَنْتَ أَمَامِي كَمَا سَلَكَ أَبُوكَ دَاوُدُ بِكَمَالِ ٱلْقَلْبِ وَٱلاِسْتِقَامَةِ، وَطَبَّقْتَ كُلَّ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، وَأَطَعْتَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، فَإِنّي أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى ٱلأَبَدِ، كَمَا وَعَدْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ** قَائِلاً: "لاَ يَنْقَرِضُ مِنْ نَسْلِكَ مَنْ يَمْلِكُ عَلَى عَرْشِ إِسْرَائِيل. أَمَّا إِنِ ٱنْحَرَفْتُمْ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ عَنِ ٱتِّبَاعِي، وَلَمْ تُطِيعُوا وَصَايَايَ وَفَرَائِضِي ٱلَّتِي سَنَنْتُهَا لَكُمْ، وَغَوَيْتُمْ عَابِدِينَ آلِهَةً أُخْرَى وَسَجَدْتُمْ لَهَا، فَإِنّي أُبِيدُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي وَهَبْتُهَا لَهُمْ، وَأَنْبِذُ ٱلْهَيْكَلَ ٱلَّذِي قَدَّسْتُهُ لاِسْمِي، فَيُصْبِحُ إِسْرَائِيلُ مَثَلاً وَمَثَارَ هُزْءٍ لِجَمِيعِ ٱلأُمَمِ. وَيُصْبِحُ هَذَا ٱلْهَيْكَلُ عِبْرَةً يُثِيرُ عَجَبَ كُلِّ مَنْ يَمُرُّ بِهِ، فَيَصْفِرُ وَيَتَسَاءَلُ: "لِمَاذَا صَنَعَ ٱلرَّبُّ هَكَذَا بِهَذِهْ ٱلأَرْضِ وَبِهَذَا ٱلْهَيْكَلِ؟ فَيَأْتِيهِمُ ٱلْجَوَابُ: "لأَنَّهُمْ تَرَكُوا ٱلرَّبَّ إِلَهَهُمُ ٱلَّذِي أَخْرَجَ آبَاءَهُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرِ، وَتَشَبَّثُوا بِآلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا وَعَبَدُوهَا لِذَلِكَ جَلَبَ ٱلرَّبُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ هَذَا ٱلْبَلاَءِ"[1]

ويُفهمُ ممّا تقدّم أنّ الخراب الذي لحق بالهيكل وحلّ به إنّما كان نتيجةً طبيعيةً وعقاباً من الربّ لمخالفة بني إسرائيل لميثاقه وعهده وترك أوامره وقد وقع هذا الخراب الأول للهيكل على يد الحاكم "نبوخذنصّر" البابلي سنة ٥٨٧ ق.م. فقد تمرَّد "صديقا" على "نبوخذنصّر" مُستعيناً بالمصريين. وثارت "يهودا" على "بابل" وقاومت "أورشليم" الحصار البابليّ ثمانية عشر شهراً سقطت بعدها المدنية. وبعدَ شهرٍ من سقوطها أرسل "نبوخذنصّر" أحد قوّاده إلى أورشليم ومعه تعليمات لمحوها فجعلها قاعا صفصفاً وهُدِمَ المبعدَ وأُخذتْ كنوزهُ الذهبّيةُ وسُبِيَ اليهودُ إلى "بابل".

"وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ مِنَ ٱلشَّهْرِ ٱلْخَامِسِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ ٱلْمَلِكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، قَدِمَ نبُوزَرَادَانُ قَائِدُ ٱلْحَرَسِ ٱلْمَلَكِيِّ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَحْرَقَ ٱلْهَيْكَلَ وَقَصْرَ ٱلْمَلِكِ وَسَائِرَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ ٱلْعُظَمَاءِ. وَهَدَمَتْ جُيُوشُ ٱلْكِلْدَانِيِّين ٱلَّتِي تَحْتَ إِمْرَةِ رَئِيسِ ٱلْحَرَسِ ٱلْمَلَكِيِّ جَمِيعَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ، وَسَبَى نَبُوزَرَادَانُ بَقِيَّةَ ٱلشَّعْبِ ٱلَّذِي بَقِيَ فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَٱلْهَارِبِينَ ٱلَّذِينَ لَجَأُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ وَسِوَاهُمْ مِنَ ٱلسُّكَّانِ. وَلَكِنَّهُ تَرَكَ فِيهَا فُقَرَاءَ ٱلأَرْضِ ٱلْمَسَاكِينَ لِيَزْرَعُوها

---

[1] سفر الملوك الأول ٩: ١ – ٩.

وَيَقْلَحُوهَا. وَحَطَّمَ ٱلْكِلْدَانِيُّونَ أَعْمِدَةَ ٱلنُّحَاسِ وَبِرْكَةَ ٱلنُّحَاسِ ٱلَّتِي فِي بَيْتِ ٱلرَّبِّ، وَنَقَلُوا نُحَاسَهَا إِلى بَابِلَ. وَٱسْتَوْلَوْا أَيْضاً عَلَى ٱلْقُدُورِ وَالرُّفُوشِ وَالمَقَاصِّ والصُّحُونِ وَجَمِيعِ آنِيَةِ ٱلنُّحَاسِ ٱلَّتِي كَانَتْ تُسْتَخْدَمُ فِي ٱلْهَيْكَلِ. وَكَذَلِكَ ٱلْمَجَامِرِ وَٱلْمَنَاضِحِ. كُلُّ مَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنَ ذَهَبٍ أَخَذَهُ قَائِدُ ٱلْحَرَسِ ٱلْمَلَكِيِّ كَذَهَبٍ، وَمَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنْ فِضَّةٍ كَفِضَّةٍ "(١)

ولمّا وصل الحاكم الفارسي (قورش) إلى "بابل" وسقطت في قبضته قطع على نفسه عهداً بمساعدة اليهود وإعادتهم من المنفى في "بابل" إلى "أورشليم" وتعهّد لهم ببناء "هيكلٍ" جديدٍ وإعادة محتويات الهيكل القديم التي آستولى عليها "نبوخذنصّر"، وقد كان صنعُ (قورش) هذا مع اليهود لسببين أولهما: أنّ اليهود، بسبب خيانتهم، ساعدوه في الدخول إلى "بابل" والإنتصار على جيشها(٢) والثاني: أنّ عشيقة والده اليهودية وإسمها "أستير" أشارت عليه بالإحسان إليهم ومعاملتهم بالحُسنى ومساعدتهم بالعودة إلى أورشليم...

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ اليهود جعلوا في التوراة سفراً يحمل إسمها وهو "سفر أستير"، كما أنّهم خلّدوا إسمها عن طريق عيدٍ يحتفلون به إسمه "عيد الأستير".

"هَذَا مَا يقولهُ كورُشُ مَلِكُ فَارِسَ: لَقَدْ وَهَبَنِي ٱلرَّبُّ إِلَهُ ٱلسَّمَاءِ جَمِيعَ مَمَالِكِ ٱلأَرْضِ، وَأَوْصَانِي بأَنْ أَشَيِّدَ لَهُ هَيْكَلاً فِي أُورُشَلِيمَ فِي مَمْلَكَةِ يَهُوذَا، فَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ شَعْبِهِ ــ لِيَكُنِ ٱلرَّبُّ مَعَهُ ــ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي أَرْضِ يَهُوذَا فَيَبْنِيَ هَيْكَلَ ٱلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. إِنَّه ٱللهُ ٱلَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ. وَعَلَى أَهْلِ ٱلْمَوَاضِعِ ٱلَّتِي يُقِيمُ فِيهَا ٱلآنَ ٱلْمَسْبِيُّونَ ٱلْمُتَغَرِّبُون أَنْ يَمُدُّوهُمْ بِٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلدَّوَابِ، فَضْلاً عَمَّا يَتَبَرَّعُونَ بِهِ لِبِنَاءِ هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ ٱلّذِي فِي أُورُشَلِيمَ. فَهَبَّ رُؤَسَاءُ بُيُوتِ يَهُوذَا وَبِنْيَامِينَ، وَٱلْكَهَنَةُ وَٱللاَّوِيُّونَ، كُلُّ مَنْ نَبَّه ٱلرَّبُّ قَلْبَهُ لِيَرْجِعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِبِنَاءِ هَيْكَلِ ٱلربِّ هُنَاكَ. وَأَمَدَّهُمْ جِيرَانُهُمْ بِآنِيَةِ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وبِأَمْتِعَةٍ وَدَوَابٍّ وَتُحَفٍ، فَضْلاً عَمَّا تَبَرَّعُوا بِهِ. وَأَخْرَجَ ٱلْمَلِكُ كُورُشُ آنِيَةَ بَيْتِ ٱلرَّبِّ ٱلَّتِي كَانَ ٱلمَلِكُ نَبُوخَذْنَاصَّرُ قَدْ غَنِمَهَا مِنْ هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ، وَوَضَعَهَا فِي مَعْبَدِ آلِهَتِهِ"(٣)

لكنّ قورش لم يكمل بناء الهيكل الجديد حيث مات في إحدى المعارك ولم يُبنَ من الهيكل إلاّ أساساتُه حتى جاء الحاكم "داريوس" وأمر بإتمام البناء، وقد باشر هذه المهمّة (زروبابل) حاكم اليهودّية آنذاك "وَٱلآنّ تَشَجَّعْ يَا زَرُبَّابِلُ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، وَتَشَدَّد يَا يَهُوشَعُ بْنُ يَهُو صَادِقَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ،

---

(1) سفر الملوك الثاني ٢٥: ٨ ــ ١٥.
(2) بل ويذهب بعض المؤرخين إلى القول إنّها سقطت دون قتال.
(3) سفر عزرا ١: ٢ ــ ٧.

وَأَنْتُمْ كَذلِكَ يَا جَمِيعَ سُكَّانِ آلأَرْضِ. تَشَجَّعُوا وَآعْمَلُوا بِجَدٍّ لأَنِّي مَعَكُمْ، يَقُولُ آلرَّبُّ آلْقَدِيرُ. بِمُقْتَضَى عَهْدِي آلّذِي أَبْرَمْتُهُ مَعَكُمْ عِنْدَمَا خَرَجْتُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ. إِنَّ رُوحِي مَاكِثٌ مَعَكُمْ، فَلاَ تَفْزَعُوا. لأَنَّهُ هَكَذَا يَقُولُ آلرَّبُّ آلْقَدِيرُ: هَا أَنَا مُزْمِعٌ مَرَّةً أُخْرَى، عَمَّا قَلِيلٍ، أَنْ أُزَلْزِلَ آلسَّمَاءَ وَآلأَرْضَ وَآلْبَحْرَ وَآلْيَابِسَةَ. وَأُزَعْزِعَ أَرْكَانَ جَمِيعِ آلأُمَمِ فَتُجْلَبَ نَفَائِسُهُمْ إِلَى هَذَا آلْمَكَانِ وَأَمْلأَ هَذَا آلْهَيْكَلَ بِآلْمَجْدِ. فَآلذَّهَبُ وَآلْفِضَّةُ لِي يَقُولُ آلرَّبُّ آلْقَدِيرُ. وَيَكُونُ مَجْدُ هَذَا آلْهَيْكَلِ آلأَخِيرِ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ آلْهَيْكَلِ آلسَّابِقِ، وَأَجْعَلُ آلسَّلاَمَ يَسُودُ هَذَا آلْمَوْضِعَ يَقُولُ آلرَّبُّ آلْقَدِيرُ"[١]

وقد تم بناء هذا الهكيل الثاني على نمط الأول "عِنْدَئِذٍ أَصْدَرَ دَارِيُوسُ آلْمَلِكُ مَرْسُوماً بِآلْبَحْثِ فِي دَارِ آلْمَحْفُوظَاتِ فِي بَابِلَ، حَيْثُ تُحْفَظُ آلْوَثَائِقُ، فَعَثَرُوا فِي قَصْرِ أَحْمَثَا، عَاصِمَةِ إِقْلِيمِ مَادِي، عَلَى مَرْسُومٍ هَذَا نَصُّهُ: "مُذَكِّرَةٌ. أَصْدَرَ آلْمَلِكُ كُورُشُ فِي آلسَّنَةِ آلأُولَى لِحُكْمِهِ مَرْسُوماً بِشَأْنِ هَيْكَلِ آللهِ فِي أُورُشَلِيمَ، جَاءَ فِيهِ: لِيُعَدْ بِنَاءُ آلْهَيْكَلِ آلّذِي يُقَرِّبُونَ فِيهِ آلذَّبَائِحَ، وَلْتُرْسَ أُسُسُهُ ... وَآلآنَ يَا تَتْنَايُ وَالِي عَبْرِ آلنَّهْرِ وَشَتَرْبُوزْنَايُ وَسَائِرَ رِفَاقِكُمَا آلأَفَرْسَكِيِّينَ آلْمُقِيمِينَ فِي عَبْرِ آلنَّهْرِ: آبْتَعِدُوا مِنْ هُنَاكَ. لاَ تَتَدَخَّلُوا فِي سَيْرِ عَمَلِ بِنَاءِ هَيْكَلِ آللهِ هَذَا؛ وَلْيُتَابِعْ وَالِي آلْيَهُودِ وَشُيُوخُهُمْ بِنَاءَهُ فِي ذَاتِ مَوْقِعِهِ آلسَّابِقِ ... وَتَمَّ بِنَاءُ آلْهَيْكَلِ فِي آلْيَوْمِ آلثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ آذَارَ، فِي آلسَّنَةِ آلسَّادِسَةِ مِنْ مُلْكِ دَارِيُوسَ آلْمَلِكِ"[٢]

أمَا عن الهيكل الثاني فقد ورد كلُّ ما تلزم معرفتهُ عنه من تفصيلاتٍ في سفر حزقيال حيث تمَّ ذِكرُ كلّ أوصافه ومحتوياته ومَداخله ومَخارجه ومساحته ومقارناته بالهيكل الأوّل عبر سبعة إصحاحات كاملة هي (٤٠ – ٤٦) وفي آياتٍ مجمُوعُها مائتنان وآيتان، كلُّها وصفُ تفصيليّ دقيق للهيكل الثاني إضافةً إلى إثنتي عشرة آيةً من الإصحاح السابع والأربعين من السّفر نفسهِ، كلهَّا حديثٌ عن هذا الهيكل الجديد ووصفٌ له.

وقد بقي هذا الهيكل الثاني قائماً موجوداً عند بعثة المسيح إبن مريم عليه السلام،[*] **ويروي إنجيل متّى أنّ أول إختبارٍ إختبر به الشيطانُ نبوّةَ المسيح كان عند الهيكل** "ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى آلْمَدِينَةِ آلْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى حَافَةِ سَطْحِ آلْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: "إِنْ كُنْتَ آبْنَ آللهِ، فَآطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَل، لأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: يُوْصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ!" فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "وَقَدْ كُتِبَ أَيْضاً: لاَ تُجَرِّبِ آلرَّبَّ إِلهَكَ!"[٣]

---

(1) سفر حجيّ ٢: ٤ – ٩.
(2) سفر عزرا ٦: ١ – ٣، ٦- ٧ ، ١٥.
(*) على ذمة كتّاب الكتاب المقدس.
(3) متّى ٤: ٥ - ٧.

كما تروي الأناجيل أنّ عيسى، عليه السلام، عَمِلَ على تطهير الهيكل ممّا كان بداخله من ممارساتِ اللّصوص وأولئك الذين يبيعون ويشترون بداخله ويمارسون مهنة الصّرافة والتجارة محاولاً من خلال ذلك تذكيرهم أنّ الهيكل لم يُبنَ لمثل هذه الأمور وإنّما للتقديس والعبادة والصلاة[1] "ثُمَّ دَخَلَ يَسُوعُ ٱلْهَيْكَلَ، وَطَرَدَ مِنْ سَاحَتِهِ جَمِيعَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ؛ وَقَلَبَ مَوَائِدَ ٱلصَّيَارِفَةِ وَمَقَاعِدَ بَاعَةِ ٱلْحَمَامِ. وَقَالَ لَهُمْ: "قَدْ كُتِبَ: إِنَّ بيتي بَيْتاً لِلصَّلاَةِ يُدْعَى. أَمَّا أَنْتُمْ فَجَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!" وَبَيْنَمَا هُوَ فِي ٱلْهَيْكَلِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمْيٌ وَعُرْجٌ، فَشَفَاهُمْ. فَتَضَايَقَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ، وَٱلْكَتَبَةُ، عِنْدَمَا رَأَوْا ٱلْعَجَائِبَ ٱلَّتِي أَجْرَاهَا"[2]

ولكنّ الكهنة كانوا مصرّين على الضّلالة والعمى وإستخدام الهيكل وكراً يحيكون فيه المؤامرات ويدبّرون الكيد للمسيح، عليه السلام، ولدينه الجديد ولأتباعه وقد كانت تلك المؤامرات سبباً لاشتباكه معهم وتعنيفه لهم. "لَكِنِ ٱلْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُون! فَإِنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ فِي وُجُوهِ ٱلنَّاس، فَلاَ أَنْتُمْ تَدْخُلُون، وَلاَ تَدَعُونَ ٱلدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ! ٱلْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تَلْتَهِمُونَ بُيُوتَ ٱلأَرَامِلِ وَتَتَذَرَّعُونَ بِإِطَالَةِ صَلَوَاتِكُمْ لِذَلِكَ سَتَنْزِلُ بِكُمْ دَيْنُونَةٌ أَقْسَى! ٱلْوَيْلُ لَكُمْ أَيُهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تَطُوفُونَ ٱلْبَحْرَ وَٱلْبَرَّ لِتَكْسَبُوا مُتَهَوِّداً وَاحِداً؛ فَإِذَا تَهَوَّدَ جَعَلْتُمُوهُ أَهْلاً لِجَهَنَّمَ ضِعْفَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ! "ٱلْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْقَادَةُ ٱلْعُمْيَانُ! تَقُولُونَ: مَنْ أَقْسَمَ بِٱلْهَيْكَلِ، فَقَسَمُهُ غَيْرُ مُلْزِمٍ؛ أَمَّا مَنْ أَقْسَمَ بِٱلْهَيْكَلِ، فَقَسَمُهُ غَيْرُ مُلْزِمٍ؛ أَمَّا مَنْ أَقْسَمَ بِٱلْهَيْكَلِ، فَقَسَمُهُ غَيْرُ مُلْزِمٍ؛ أَمَّا مَنْ أَقْسَمَ بِذَهَبِ ٱلْهَيْكَلِ، فَقَسَمُهُ مُلْزِمٌ! أَيُّهَا ٱلْجُهَّالُ وَٱلْعُمْيَانُ! أَيُّ ٱلاثْنَيْنِ أَعْظَمُ: ٱلذَّهَبُ أَمِ ٱلْهَيْكَلُ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱلذَّهَبَ مُقَدَّساً؟ وَتَقُولُونَ: مَنْ أَقْسَمَ بِٱلْمَذْبَحِ، فَقَسَمُهُ غَيْرُ مُلْزِمٍ؛ أَمَّا مَنْ أَقْسَمَ بِٱلْقُرْبَانِ ٱلَّذِي عَلَى ٱلْمَذْبَحِ، فَقَسَمُهُ مُلْزِمٌ! أَيُّهَا ٱلْعُمْيَانُ! أَيُّ ٱلاثْنَيْنِ أَعْظَمُ: ٱلْقُرْبَانِ أَمِ ٱلْمَذْبَحُ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱلْقُرْبَانَ مُقَدَّسَاً؟ فَإِنَّ مَنْ أَقْسَمَ بِٱلْمَذْبَحِ، فَقَدْ أَقْسَمَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عليْهِ؛ وَمَنْ أَقْسَمَ بِٱلْهَيْكَلِ، فَقَدْ أَقْسَمَ بِهِ وَبِالسَّاكِنِ فِيهِ؛ وَمَنْ أَقْسَمَ بِٱلسَّمَاءِ، فَقَدْ أَقْسَمَ بعَرْش ٱللهِ وَبِٱلْجَالِسِ عَلَيْهِ! "ٱلْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ!".[3]

ولمّا وصل المسيحُ، عليه السلام، في حواره مع كهنة الهيكل الفاسدين إلى طريق مسدودٍ أنذرهم ودعا على أورشليم "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ عِقَابَ ذَلِكَ كُلِّهِ سَيَنْزِلُ بهذَا ٱلْجَيل. "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ ٱلأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا! كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ ٱلدَّجَاجَةُ

---

[1] حديث الإنجيل عن الهيكل يشبه الحديث عن بيت لعبادة الرب بخلاف وصف التوراة له والذي يكاد يطابق أوصاف المعابد والمذابح الوثنية.

[2] متّى ٢١: ١٢ ـ ١٥.

[3] متّى ٢٣: ١٣ -٢٣.

فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، فَلَمْ تُرِيدُوا! هَا إِنَّ بَيْتَكُم يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً! فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْنِي مِنَ ٱلآنَ، حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ ٱلآتِي بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ!"[(١)]

وكانت النهاية لهذا الشّد والجذب مع الكهنة الفريسيين والحوارات الطّويلة معهم في "الهيكل" أن تنّبأ المسيح، عليه السلام، بخراب الهيكل "ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنَ ٱلْهَيْكَلِ، وَلَمَّا غَادَرَهُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلامِيذُهُ، وَلَفَتُوا نَظَرَهُ إِلَى مَبَانِي ٱلْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ: "أَمَا تَرَوْنَ هَذِهِ ٱلْمَبَانِي كُلَّهَا؟ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُتْرَكَ هُنَا حَجَرٌ فَوْقَ حَجَرٍ إِلاَّ وَيُهْدَمُ!".[(٢)]

يُستفادُ ممّا سبق أنّ المسيح، عليه السلام، دعا على أوشليم وتنبّأ بخراب هيكلها وهي النبوءة التي تحققت بعد ذلك عام (٧٠ للميلاد) على يد القائد الروماني "تيطس" "الذي حاصر القدس ستة أشهر ثمّ دخلها فأحرق الهيكل ودمرّه تدميراً كاملاً وذبح كهنته وأوقع باليهود مذبحةً مُريعةً وخرّب المدينة وساق الكثيرين من أهلها عبيداً إلى روما"[٣] "ويُلاحَظُ أن "تيطس" فعَل ما فعَل، لكنّه أبقى الحُطام في مكانه وتوالت الأيام حتى جاء القائد الروماني (هيدريان / أدريانوس) فحرث الأرض وسوّاها (غيَّر معالهما) وحرّم على اليهود سُكنى القدس وبدّل إسمها إلى (إيلياء كابيتولينا) وأقام مكان الهيكل معبداً للإلة (جوبيتير)"[(٤)]

(محاولاتٌ يهوديةٌ فاشلةٌ لإعادة بناء الهيكل)

لقد حاول اليهود مراراً وتكراراً إعادة بناء الهيكل الذي تهدَّم، فباءت كلُّ محاولاتهم بالفشل. ومن ذلك على الخصوص المحاولة التي تمّت في عهد (الإمبراطور يوليانوس) الذي إعتلى العرش سنة ٣٦١م[(٥)] والذي قرّب اليهود إليه، وخطط لإعادة بناء هيكلهم تكذيباً لنبوءة المسيح، عليه السلام، وعَهِدَ بذلك إلى رجل يدعى "البينوس" وعيّنه حاكماً على اليهودية وزّوده بالأموال اللازمة لتحقيق هذا المشروع، وأمره أن ينجز العمل في أسرع وقتٍ مُمكنٍ، ودعا أغنياءَ اليهود لمؤازرته، فإجتمعت منهم في "أورشليم" أعدادٌ كبيرة، وشرعوا يحفرون المكان ويحفرون الأرض ويقتلعون الأحجار من الأساسات القديمة حتى يضعوا الأساساتِ الجديدة، وقد أخذوا ينقلون الأتربة والأحجار بأطراف أرديتهم في حماسةٍ بالغةٍ، وعندما شرعوا في وضع الأساسات الجديدة، بعد أن أزالوا بأيديهم جميع

---

(1) متّى ٢٣: ٣٦ - ٣٩.
(2) متّى ٢٤: ١، ٢.
(3) د. ليلى سعد الدين، أديان مقارنة ص ١١٦ بتصرف ط١، ١٩٨٥، دار الفكر، الأردن.
(4) الأستاذ أحمد شلبي، اليهودية، ص ٩٥، ط٢، ١٩٩٧، مكتبة النهضة المصرية.
(5) للتوسع في قراءة هذه المحاولات الفاشلة لإعادة بناء اليهود للهيكل عبر التاريخ راجع كتاب الأستاذ إميل أمين "ذئاب في ثياب حملان" ص ٣٢٤، ٣٢٥ وكتاب الدكتورة ليلى سعد الدين، مثل الذين حمّلوا التوراة ص ١٣٢، ١٣٣، ط١، ١٩٨٤ دار الفكر الأردني، وكتاب الأنباغريغوريس، الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ط ١٩٧٥، القاهرة.

ما تبقّى في الأساسات القديمة حدثت زلزلةٌ عظيمةٌ فآمتلأ ما آحتفروه بالتراب، وتبدّدت أدواتُ البناء ومات كثيرٌ من العمَّال، فلما أعادوا الكَرَّةَ خرجت من الأرض كراتٌ ناريةٌ رشقتْ وجوهَ العمّال بالأحجار التي جمعوها ليضعوها في الأساسات الجديدة، وحدث مثلُ هذا في كلّ مرةٍ حاولوا فيها البناءَ، وهكذا فشلوا فشلاً ذريعاً في إعادة بناء الهيكل، بل إنّهم بمحاولتهم تلك تمموّا بأنفسهم نبوءة المسيح، عليه السلام، التي يبدو أنها لم تكن قد تمّت حرفيّاً إلاّ عندما أرادوا هم تكذيبها بأيديهم، إذ بأيديهم رفعوا ما تبقّى من الأحجار بعد أن دمّر "تيطس" وجنوده الرومان الهيكل في سنة (٧٠ للميلاد). وممّن روى قصّة هذا الفشل اليهودي في عهد (الإمبراطور يوليانوس) القدّيسُ "غريغوريوس" والقديس "يوحنا ذهبيّ الفم"، كما رواها المؤرخ اليهودي "إميان".

وينقل الأستاذ إميل أمين عن كتابات سُقراط[1]: [إنّه في الليلة التالية لبدء اليهود عملهم، حدث زلزالٌ عظيمٌ حطَّم الأحجار التي كانت لا تزال في الأساسات القديمة للهيكل الذي تدمَّر، فلمّا وصلت أنباء هذا الزلزال إلى اليهود المقيمين في الأماكن البعيدة، هرَعَوا بأعدادٍ كبيرةٍ إلى مكان الهيكل، حيث حدث الزلزالُ وشاء الله أن تحدثَ معجزةٌ أخُرى عظيمةٌ، فقد نزلت نارٌ من السماء وأحرقت جميعَ أدوات البناء، وظلّتِ النارُ مشتعلةً لمدّة يومٍ كاملٍ، فأتلفت الفؤوسَ والأدوات الحديديّة والمناشير والمطارق، وبالإجمال دمّرت النارُ مختلفَ الأدوات التي حصل عليها البناؤون لإنجاز العمل].[2]

إنّ البروتستانت يشاركون اليهود إعتقادهم بأن إعادة بناء الهيكل ستعجّلُ بقدوم المسيح، فالطرفان يؤمنان بأن اليوم الآخر على الأبواب. وبالنسبة للنصارى فإن ذلك يعني أن المجيء الثاني للمسيح عيسى بن مريم أصبح وشيك الوقوع، وأما بالنسبة لليهود فإن مجيء المسيح اليهودي المنتظر للمرة الأولى هو أيضاً وشيك القدوم. ويؤمن الطرفان بأن المكان الذي سيتم فيه ذلك القدوم هو (جبل الهيكل) في القدس، لأنه المكان الذي يجب أن يتم فيه إعادة بناء هيكل سليمان، وبموجب العقيدة السائدة بين البروتستانت؛ فإن التعاليم الإنجيلية تتطلب حدوث ثلاثة أمور قبل أن يتحقق مجيء المسيح الثاني:

يجب أن تصبح إسرائيلُ دولةً وأن تكونَ القدسُ عاصمةً يهوديةً وأن يُعادَ بناءُ الهيكل.

وفي نظر هؤلاء البروتستانت اليهود لم يبق سوى إعادة بناء الهيكل وهو الشرط الثالث لكي يحدث المجيء المتوقع للمسيح.

---

(1) سقراط المذكور هو أحد مورّخي الكنيسة القدماء.

(2) راجع كتاب إميل أمين، [م. س]، ص ٣٢٥.

يعتقدُ البروتستانت المتهوّدون أنّ بناء هيكل جديد هو واجبٌ مقدّسٌ وذلك إستجابةً لأوامر الكتاب المقدَّس وتعتقدُ الأغلبيّةُ العظمى من هؤلاء أنّ الهيكل كان مبنيّاً في مكان المسجد الأقصى الحاضر أو قريباً منه تحت قبّة الصخرة وفي مقابلةٍ أجرتها معه الكاتبة الأمريكية الشهيرة "غريس هالسل"[١] لخَّصَ عالم الآثار الأمريكي في (معهد الأرض المقدّسة بالقدس) معتقدات اليهود حول مكان بناء الهيكل بقوله: "هنالك عدة نظريات حول الهيكل. كثيرون يقولون [إنه يقعُ حيث تقعُ قبّةُ الصخرة اليوم]. ولذلك يقول الصهيونيون [يجب إزالة المسجد]. يقولون: [إنّ إرادة الله، مثل هزة أرضية سوف تدمّره، أو أن شخصاً ما سوف يقوم بنفسه بالديناميت]، إنّ كبير الحاخاميين الإشكناز الحاخام "غوردن" يعتقدُ أنّ الهيكل كان يقع إلى الشمال قليلاً من قبة الصخرة. وثمة نظرية ثالثة تقول: إنّ الهيكل كان يقعُ على الجانب الشّمالي من الساحة. وهم يعتقدون أن قُدسَ الأقداس يقع قرب قبة الروح القدس. والرأي الرابع أنّ الهيكل قد سبق وتم بناؤه، على شكل كنيسٍ ضخمٍ في شارع "جورج الخامس" في غرب القدس. "ولمّا عادت "غريس هالسل" لسؤاله بقولها [أين كان موقع الهيكل قبل ألفيْ سنةٍ كما تعتقد؟؟] ردّ قائلاً [إنّني لا أعرف. لا أحدَ يعرفُ. كلُّ ما نعرفه هو أنَّ كل أولئك الذين يقولون: إنهم يريدون الهيكل، يريدون في الدرجة الأولى تدمير المسجد. ليس لدي أية فكرة كيف سيتم التدمير. ولكنه سيحدث ... إنهم سيبنون هيكلاً هنا. كيف ومَن ومتى وأين لا تسأليني]".[٢]

تتمّثل أهمية كتابات (غريس هالسل) عن هذا الموضوع في أنَها كانت وبإستمرار تذهب في جولاتٍ سياحيّةٍ إلى فلسطين وتجري مقابلاتها الصحفية مع اليهود ومع "الأمريكيين البروتستانت" المتهّودين الذين يسكنون في بعض المستعمرات هناك وقد أكّدت عدّة مراتٍ في كتابها (يد الله) على أنّ الاستعداد لبناء الهيكل هو الشغل الشاغل لليهود الآن، ومن ذلك قولها (.... قال لنا مرشدنا السياحيّ، وهو يشير إلى القُبّة والصّخرة والمسجد الأقصى "هنالك سنبني الهيكل الثالث. لقد أعددنا كلَّ الخطط اللازمة للهيكل حتى أنّ مواد البناء أصبحت جاهزةً أيضاً. إنها محفوظةٌ في مكان سريٍّ. هناك عددٌ من المحلاّت التي يعمل فيها الإسرائيليون لإعداد اللوازم التي سنستخدمها في الهيكل الجديد. ويقوم أحد الإسرائيليين بنسج قطعة من الكتان الصافي لاستخدامها في ملابس كهنة الهيكل". وبعد صمت قليل أضاف يقول: [في مدرسةٍ دينيةٍ تدُعى ياشيفا اتيريت كوهانيم ــ تاج الكهنة ــ

---

[1] غريس هالسل، النبوّة والسياسة ترجمة محمد السّماك، ص ٩٢، ٩٣، ط٣، ١٩٩٠، دار الناشر للطباعة والتوزيع.
[2] غريس هالسل، [م. س]، ص ٩٣.

وتقع بالقرب من مكان وقوفنا يقوم الحاخامات بتعليم الشبان كيف يؤدون مناسك التضحية بالحيوان])[١]

والسؤال المُلِحُّ الذي يفرضُ نفسه الآن هو إلى ماذا يستندُ "البروتستانت المتهوّدون" ومن يدعمهم في عصرنا الحاضر في القول بوجوب العمل على بناءِ الهيكل الثّالث؟؟ وهل تصمدُ أدلتّهم أمام علم الآثار المعاصر الذي لم يُثبتْ حتّى هذه اللحظة وجود أيّ أثر يشيرُ إلى مكان الهيكل الأوّل أو الثاني؟؟

في الإجابة على ذلك أقول: يستدلُّ هؤلاء المتهوّدون على نبوءة بناء الهيكل الثالث بما يلي:

أولاً: "وَيُقِيمُونَ فِي ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي وَهَبْتُهَا لِعَبْدِي يَعْقُوبَ ٱلَّتِي سَكَنَ فِيهَا آبَاؤُكُمْ، فَيستَوْطِنُونَ فِيهَا هُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَأَحْفَادُهُمْ إِلى ٱلأَبَدِ. وَيَكُونُ عَبْدِي دَاوُدُ رَئِيساً عَلَيْهِمْ مَدَى ٱلدَّهْرِ. وَأُبْرِمُ مَعَهُمْ مِيثَاقَ سَلاَمٍ، فَيَكُونُ مَعَهُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً، وَأُوَطِّنُهُمْ وَأُكَثِّرُهُمْ وَأُقِيمُ مَقْدِسِي فِي وَسَطِهِمْ إِلَى ٱلأَبَدِ. وَيَكُونُ مَسْكِنِي مَعَهُمْ، فَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً وَيَكُونُونَ لِي شَعْباً. فَتُدْرِكُ ٱلأُمَمُ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ مُقَدِّسُ إِسْرَائِيلَ، حِينَ يَكُونُ مَقْدِسِي قَائِماً فِي وَسَطِهِمْ إِلَى ٱلأَبَدِ".[٢]

والردّ على ذلك أنَّ الدليل الذي يستدلوّن به إنمّا يدلّ على بناء الهيكل الثاني، وهذا جزءٌ من نبوءة حزقيال التي رآها أثناء كونه أسيراً مع بقيّة اليهود في بابل ومن الثابت في الكتاب المقدّس أنّ حزقيال كان واحداً من أنبياء اليهود في فترة السبي البابلي.[٣]

ثانياً: "وَسَمِعتُ صَوْتاً هَاتِفاً مِنَ ٱلْعَرْشِ: "ٱلآنَ صَارَ مَسْكِنُ ٱللهِ مَعَ ٱلنَّاسِ، هُوَ يَسْكُنُ بَيْنَهُمْ، وَهُمْ يَصِيرُونَ شَعْباً لَهُ. ٱللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهاً لَهُمْ! وَسَيَمْسَحُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ. إِذْ يَزُولُ ٱلْمَوْتُ وَٱلْحُزْنُ وَٱلصُّرَاخُ وَٱلأَلَمُ،لأَنَّ ٱلأُمُورُ ٱلْقَدِيمَةَ كُلَّهَا قَدْ زَالَتْ! وَقَالَ ٱلْجَالِسُ عَلَى ٱلْعَرْشِ: "سَأَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيداً" ثُمَّ قَالَ لِي: "آكْتُبْ هذا، فإِنَّ مَا أَقُولُهُ هُوَ ٱلصِّدْقُ وَٱلْحَقُّ". ثُمَّ قَالَ: "قَدْ تَمَّ أَنَا ٱلأَلِفُ وَٱلْيَاءُ [ٱلْبِدَايَةُ وَٱلنِّهَايَةُ]. أَنَا أَسْقِي ٱلْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ ٱلْحَيَاةِ مَجَّاناً. هذا كُلُّهُ نَصِيبُ ٱلْمُنْتَصِرِ، وَأَكُونُ إِلهاً لَهُ، وَهُوَ يَكُونُ ٱبْناً لِي].[٤]

أمّا هذا الدليل الذي إستدلَّ به هؤلاء "البروتستانت المتهوّدون" من رؤيا يوحنّا في إصحاحها الحادي والعشرين فمردودٌ عليهم تماماً لأنّ الآيات اللاحقة من السّفر نفسه والإصحاح نفسه يقول فيها يوحنّا (ولم أجد في المدينة هيكلاً، لأنّ الربّ الإله القدير على كلّ شيءٍ والحَمَلَ هما

(1) غريس هالسل، يد الله، ترجمة محمد السمّاك ص ٦٥، ط١، ٢٠٠٠، دار الشروق.
(2) سفر حزقيال ٣٧: ٢٥ ـ ٢٨.
(3) راجع مقدّمة سفر حزقيال، ص ٩٧٣ حسب طبعة جي سي سنتر، القاهرة، ط٣، سنة ١٩٨٨.
(4) الرؤيا ٢١: ٣ ـ ٧.

هيكلُها)[(١)] **وهذا يوافق تماماً ما يعتقده المسيحيون الآرثوذكس والكاثوليك في أنّ جسدَ المسيح هو الهيكل الجديد الذي يريده الربُّ لا هيكل الحجارة الذي دعا عليه المسيح بالخراب والدّمار.**

ثالثاً: فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ أُقِيمُ مَسْكِنَ دَاوُدَ ٱلَّذِي تَهَاوَى، وَأَسُدُّ ثُغْرَاتِهِ وَأَعَمِّرُ خَرَائِبَهُ وَأُعِيدُ بِنَاءَهُ كَٱلْعَهْدِ بِهِ فِي ٱلأَيَّامِ ٱلْغَابِرَةِ. لِكَيْ يَرِثَ إِسْرَائِيلُ مَا تَبَقَّى مِنْ أَدُومَ وَجَمِيعَ ٱلأُمَمِ ٱلَّتِي دُعِيَ ٱسْمِي عَلَيْهَا، يَقُولُ ٱلرَّبُّ صَانِعُ هَذِهِ ٱلأُمُورِ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ، يُدْرِكُ فِيهَا ٱلْحَارِثُ ٱلْحَاصِدَ، وَدَائِسُ ٱلْعِنَبِ بَاذِرَ ٱلْحَبِّ، وَتَسِيلُ ٱلْخُمورُ ٱلطَّيِّبَةُ مِنْ كُرُومِ ٱلْجِبَالِ وَتَفِيضُ بِهَا ٱلتِّلاَلُ كُلُّهَا. وَأَرُدُّ سَبْيَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ فَيُعِيدُونَ بِنَاءَ ٱلْمُدُنِ ٱلْخَرِبَةِ وَيَسْكُنُونَهَا، وَيَزْرَعُونَ كُرُوماً وَيَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرِهَا، وَيَغْرِسُونَ جَنَّاتٍ وَيَأْكُلُونَ مِنْ ثِمَارِهَا. وأغْرِسُ شَعْبِي فِي أَرْضِهِمْ فَلاَ يُسْتَأْصَلُونَ ثَانِيَةً أَبَداً مِنَ ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي وَهَبْتُهَا لَهُمْ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ إِلَهُكُمْ".[(٢)]

والردُّ على هذا الدليل أنّ القدّيس يعقوب بيَّن لليهود في عصره أنّ المقصود من ذلك هو الإشارة إلى كنيسةِ المسيح التي تجمع الأمم مع اليهود ويكوّنون شعبه، وقد تقبّل الكثير من اليهود ذلك. مع الإشارة إلى أنّ كلام القدّيس يعقوب هذا قد وردَ عند إنعقاد مجمع أورشليم، وقد نقل "أعمال الرسل" ذلك: "وَبَعْدَ ٱنْتِهَائِهِمَا مِنَ ٱلْكَلاَمِ، قَالَ يَعْقُوبُ: "ٱسْتَمِعُوا لِي أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ: أَخْبَرَكُمْ سِمْعَانُ كَيْفَ تَفَقَّدَ ٱللهُ مُنْذُ ٱلْبِدَايَةِ غَيْرَ ٱلْيَهُودِ لِيَتَّخِذَ مِنْ بَيْنِهِمْ شَعْباً يَحْمِلُ ٱسْمَهُ؛ وَتُوَافِقُ هذا أَقْوَالُ ٱلأَنْبِيَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي ٱلْكِتَابِ. سَأَعُودُ مِنْ بَعْدِ هذا وَأَبْنِي خَيْمَةَ دَاوُدَ ٱلْمُنْهَدِمَةَ ثُمَّ أُقِيمُ أَنْقَاضَهَا وَأَبْنِيهَا مِنْ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَسْعَى إِلَى ٱلرَّبِّ بَاقِي ٱلنَّاسِ وَجَمِيعُ ٱلشُّعُوبِ ٱلَّتِي تَحْمِلُ ٱسْمِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، فَاعِلُ هذِهِ ٱلأُمُورِ ٱلْمَعْرُوفَةِ لَدَيْهِ مُنْذُ ٱلأَزَلِ. "لِذَلِكَ أَرَى أَنْ لاَ نَضَعَ عِبْئاً عَلَى ٱلْمُهْتَدِينَ إِلَى ٱللهِ مِنْ غَيْرِ ٱلْيَهُودِ".[(٣)]

---

(1) الرويا ٢١: ٢٢.
(2) عاموس ٩: ١١ ــ ١٥.
(3) أعمال الرسل ١٥: ١٣ ــ ١٩.

المبحث الرابع

نبوءة وقوع معركة هرمجدّون ونهاية العالم

تقع نبوءة هرمجدّون[١] في آخر نبوءات البروتستانت المتهوّدين وهي إن لم تكن الأخيرةَ فهي قبل الأخيرة. وهذا الإختلاف في ترتيب وقوع النبوءات يُمليه الإختلافُ الذي سبَقتْ الإشارةُ إليه عند الحديث عن مَذهبيْ ما قبل الألفيّة وما بعد الألفية؛ فمنهم مَن يرى هذه المعركة سابقةً للحكم الألفيّ السعيد للسيد المسيح ومُقدّمةً ضروريةً له، ومنهم من يراها أثراً لازماً يترتب على نزول المسيح وإقامته للمملكة الألفية وبدئه في محاربة الكُفار وإبادته لهم في معركة "هرمجدّون". وليسَ هناك وصفٌ تُوصفُ به هذه المعركة أدقَّ من وصف (الأسطورة) وهذا الوصف يشعرُ به وبمعناه الصحيح كلُّ مَنْ قرأ الأساطيرَ الإغريقيّة ومغامرات القادة الرومان والقادة اليونانيين القدماء فالجوُّ المحيط بهذه المعركة الأسطورية (هرمجدّون) لا يختلفُ كثيراً عن أجواء (إلياذة هوميروس) و(ملحمة جلجامش) وقصّة (حصان طروادة) وأسطورة (الأوديسّا) وما إلى ذلك من روايات الخيال والأساطير التي تأخذُ القارئ إلى عالمٍ لا ينتهي من الإثارة والتّشويق والخيال الذي لا يعرف الحدود ...

أقول: إنّ هذه المعركة بكل تفاصيلها إنّما تقع في إطار ما يمكن تسميتهُ بـــ (النثر التوراتي القصصّي المشوِّق) والذي أرى تصنيفه تحت عنوان (آداب اللغة وفنون التعبير) أصحُّ من تصنيفه تحت عنوان (العقائد)، كيف لا ونحن نلحظُ بجلاءٍ ووضوحٍ أثناء قراءتنا لنصوص المعركة كيف تنهمرُ الأمطار وتذوب الصخور وتتساقط النيرانُ وتهتزُّ الأرض وتتساقط الجبالُ وتَنهار الصخُور وتتساقط الجُدران على الأرض ويَخرجُ الربُّ ويحارب الأمم كما في يومِ حربه وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيّتون الذي قُدّام "أورشليم" من الشرق فينشق جبل الزيتون من وسطه نحو الشرق ونحو الغرب وادياً عظيماً جداً ... وهذه تكون الضربةُ التي يضربُ بها الربُّ كل الشعوب الذين تجنَّدُوا على "أوشليم" فيذوب لحُمهم وهم واقفون على أقدامهم وعيونُهم تذوب في أوقابهم ولسانهم يذوب في فمهم.

ثم نرى أثناء قراءتنا لهذه المعركة كيف يدعو الربُ الطيورَ الطائرة في وسط السماء لتجتمع إلى عشاء الإله العظيم لكي تأكل لحومَ ملوكٍ ولحومَ قوّادٍ ولحومَ أقوياءٍ ولحومَ خيلٍ والجالسين عليها

---

[١] هرمجدون Armageddon كلمة عبرية مكونة من مقطعين: "هر أو هار" معناها الجبل، و"مجدّون": اسم وادٍ في فلسطين، يقع في مرج ابن عامر على بعد ٥٥ ميلاً شمال تل أبيب، و٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا، و١٥ ميلاً من شاطئ البحر المتوسط. وقال د. فرنسيس دافيدسن في تفسير الإنجيل: "القصد من هرمجدون مجهول، والترجمة العادية "جبل مَجِدُّو" لا يمكن أن تكون صحيحة، إذ لا جبل في مجدو".

ولحومَ الكلّ، حراً وعبداً وصغيراً وكبيراً، ثم يتمُّ القبض على الوحش والنبيّ الكذاب وطرحهما حَيْيَنْ إلى بحيرةٍ النار المُتَّقِدَة بالكبريت.

وحتّى تكتمل الصورةُ المسرحية لهذه "المَلحمة" التي نُسبت إلى "حزقيال"[1] اليهودي تأتي إضافاتٌ مسيحيّةٌ ولمساتٌ فنّيةٌ يضيفُهَا عليها (يوحّنا اللاهوتي في رؤياه) لتكتمل هذه المشاهد وتنتهي بنهايةٍ سعيدةٍ، ينزلُ فيها البطل (السيد المسيح حسب إعتقاد "البروتستانت"، والمسيّا المخلّص حسَب إعتقاد اليهود) ليأخذ بزمام الأمور فيقرّر أن يأتي بنفسه ليقود المعركة فينزلُ ليرفعَ أتباعه وكلَّ مَن آمَن به للسماء، ويتركُ الكافرين بألوهيّته لا تأخذه بهم أدنى شفقةٍ يحَترقون في الأرض في بُحيرة "كبريتٍ ناريّةٍ"، ويكتفي هو والقدّيسون والمؤمنون بالنَّظر من فوق السحاب إلى المَحرقةِ الرّهيبةِ في الأرض فإذا إنقضَتْ، يهبط إلى الأرض مع مَنْ رفَعهم لِيُقيمَ مملكة الرب مدّة ألف سنةٍ (الألفية) يعم فيها الخير والسلام والبركة ... إذاً فنحنَ أمام نوع مِن القصص "الكلاسيكيّة" الإغريقيّة ولكنّ الذي يختلف في قصّتنا وملحمتنا (هرمجدّون) هذه هو إسمُ البطل ومكان الملحمة وتاريخها؛ فبدلاً من أن يكون البطل هو (بروتوس أو أوكتافيوس أو الإسكندر المقدوني أو هنيبعل أو جلجامش) كان البطل هنا هو السيّد المسيح، عليه السلام، وبدلاً من أن تكون ساحة المعركة (طروادة أو أثينا أو روما أو أوروك السومريّة) كانت "سهل مجيد" أو مجدّو في فلسطين ... وممّا تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّ الكثيرين لم ينتبهوا إلى أن المخرج "الأمريكي" (ميل جبسون) إقتبسَ الكثير من خلفيات وأجواء فيلمه الأخير (أبو كاليبتو) من نصوص التوراة القديمة ... وقد ثبت أنّ نصوص الكتاب المقدّس في الكثير الكثير من مقاطعها تصلحُ لأن تُنْتَجَ منها "أفلام سينمائية" تجذب الملايين من المشاهدين الباحثين عن الإثارة والتشويق والبطولة. ولأدلل على ذلك أقول: إنّ كتاب الداعية الأصولي الإنجيلي "هول لنيدسي" (The Late Great Planet Earth) الذي تخصَّصَ في شرح نبؤات آخر الزمان (مثل هرمجدّون والمملكة الألفية ومجيء المسيح) "قد بيع منه (٢٥ مليون) نسخة وقد تحول إلى فيلم سينمائي كتب السيناريو فيه (أورسون ويلز)" [2] وأقبل على حضوره ملايينُ الناس في الولايات الأمريكية وحدها. ومن الأمثلة الأخرى على "الأفلام" التي تحدّثت عن هذه النبؤات "فيلم" هرمجدّون (Armageddon) والذي لعب دور البطولة فيه الممثل الأمريكي المشهور (بروس ويلس) ومنها فيلم (Omen) وفي هذا الفيلم تزور "كاميرا التصوير" سهل مجيدو وتدخل إلى بعض المعابد

---

[1] واحدٌ من أنبياء اليهود أثناء فترة السبيّ البابلي.

[2] غريس هالسل، يد الله، [م. س]، ص ١٧.

اليهودية الموجودة فيه ... وقبل أن أذكر نصوص الكتاب المقدّس التي ذكرت تفاصيل هذه المعركة أنبّه إلى الملاحظات الهامة التالية:

أولاً: لم تُذكر معركة هرمجدون في التوراة كلها ولو مرّةً واحدة، وإنّما ذُكرت كلمة (مَجَدُّو) ثلاث مرات فقط؛ ومن ذلك مرّتان في سفر الملوك الثاني ٢٣: ٢٩، ٣٠ عند الحديث عن موت الملك "يوشيا" في معركة ضد ملك مصر عندما حاول "يوشيا" مساعدة ملك "أشور" في حربه ضد ملك مصر وهذا النص هو:

"أَمَّا بَقِيَّةُ أَخْبَارِ يُوشِيَّا وَكُلُّ مُنْجَزَاتِهِ أَلَيْسَتْ هِيَ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابِ أَخْبَارِ أَيَّامِ مُلُوكِ يَهُوذَا؟ وَفِي أَيَّامِ حُكْمِ يُوشِيَّا زَحَفَ فِرْعَوْنُ نَخُوُ مَلِكُ مِصْرَ نَحْوَ نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ أَشُّورَ، فَهَبَّ يُوشِيَّا لِمُسَاعَدَةِ مَلِكِ أَشُّورَ عِنْدَ **مَجَدُّو**، فَقَتَلَهُ مَلِكُ مِصْرَ، فِي أَثْنَاءِ ٱلْمَعْرَكَةِ. فَحَمَلَهُ رِجَالُهُ فِي مَرْكَبَةٍ وَعَادُوا بِهِ مِنْ **مَجَدُّو** لأُورُشَلِيمَ، حَيْثُ دَفَنُوهُ فِي قَبْرِهِ. فَوَلَّى ٱلشَّعْبُ يَهُوَآحَازَ بْنَ يُوشِيَّا مَلِكاً عَلَيْهِمْ خَلَفاً لأَبِيهِ"[١]

كما ذكرت هذه الكلمة في سفر يشوع ١٢: ٢١ في نصٍّ هو **(مَلِك مَجِدّو واحدٌ)** وذلك عند ذكر أسماء الملوك الذين قضى عليهم يوشع وبنوإسرائيل.

ثانياً: ذُكرتْ كلمة (هرمجّدون) في الإنجيل مرّةً واحدةً فقط وذلك في رؤيا يوحنّا اللاهوتي[٢] والتي كانت المُستندَ الانجيليّ (للأصوليين البروتستانت) عند حديثهم عن هذه المعركة وهذا النّصُ هو: "وَجَمَعَتِ ٱلأَرْوَاحُ ٱلشَّيْطَانِيَّةُ جُيُوشَ ٱلْعَالَمِ كُلَّهَا فِي مَكَانٍ يُسَمَّى بِٱلْعِبْرِيَّةِ "هَرْمَجِدُّونَ".[٣]

ثالثاً: لا يؤمن اليهود بمعركة (هرمجدون) وذلك لعدم ورودها في التّوراة (كما تبيَّن لنا) لكنّهم يؤمنون بتفاصيلَ قريبةٍ من تفاصيلها، وكلُّ هذه التفاصيل تقع في اليوم الذي سمّوه (يوم الغضب) أو (يوم الربّ) أو (يوم غضب الربّ). ولكنّ السؤال الذي يطرحُ نفسه هنا هو إذا لم يكن اليهود مؤمنيين بمعركة هرمجدون فلماذا يسمحون بقدوم عشرات الألوف من السُيّاح المسيحيين لزيارة سهل مجيدو كل عام؟؟؟ ولماذا يُساهمون في نشر المعتقدات الهرمجدّونية في أمريكا وأوروبا اليوم؟!!! أمّا الجواب على هذا السؤال فيتمثّل في النقطتين التاليتين:

---

(1) سفر الملوك الثاني ٢٣: ٢٨ – ٣٠.
(2) سبق الحديث عنها والتعريف به.
(3) الرؤيا ١٦: ١٦.

أولاً: لأنّ هذه العقيدة "الهرمجدونية" تخدم أهدافهم السياسية في تكوين وطنٍ قومي لهم في فلسطين من جانبٍ، كما تساعدهم على تحقيق حُلْمهم في السيطرة على العالم من جانبٍ آخر، وهو ما يعني تسييس الدّين في خدمة الأهداف القومية اليهودية، بل تنظّمُ الدولة اللقيطةُ رحلاتٍ سياحيّةً دوريةً لجذب المؤمنين "بالهرمجدون" من كل دول العالم وفي مقدمتها أمريكا"[١]

ثانياً: للمردود الماليّ الضّخم الذي يجنيه الكيان الصهيونيّ من الترويج لهذه العقيدة في الغرب، حيث يأتي آلافُ السيّاح إلى الكيان الصهيوني لرؤية أماكن وقوع وتحقُّق هذه النبؤات. والكيان الصهيوني هو المستفيد الأكبر والوحيد من هذا النوع من السياحة الدّينية التي تعود بالنفع على الإقتصاد الصّهيوني في الدّاخل.

يزور القدس سنوياً حوالي ١٠٠ ألف سائح. وبما أن كل زائر ينفق أكثر من ٧٠٠ "دولار" في إسرائيل، فإن ذلك يمثل بليون دولار في السنة. إن السّياحة تمثل ٦ بالمئة من الدخل القومي، وهي مصدرٌ مُهمٌ من مصادر العملة الصّعبة للاقتصاد الإسرائيلي المطوّق".[٢]

رابعاً: إنّ بطل معارك (يوم الربّ) الذي يؤمن به اليهود يختلفُ كلَّ الإختلاف عن بطل معركة "هرمجدّون" الذي يؤمن به المسيحيّون البروتستانت، فهو عند اليهود (المسيّا أو الماشيح المخلّص)[٣] وهو عند البروتستانت (المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام) وموقفُ اليهود من المسيح عليه السلام معروف وواضحٌ؛ فقد حاربوه وإنقلبوا عليه وتآمروا عندما علموا أنّه ليس (المسيّا) الذي كانوا ينتظرونه وإنتهت بهم المؤامرتُ إلى محاكمته وصلبه (كما يعتقدون)[٤] ... وبينما ينتظر المسيحيّون البروتستانت المسيح ليأتي في ذلك اليوم وتلك المعركة ليحملهم فوق السحاب، فإنّ اليهود ينتظرون مَلِكاً شديداً قاسياً محارباً هدفه قيادتُهم للسيطرة على العالم والتسلط على بقيّة الأمم وإخضاعها وإذلالها.

"إنه "المسايا" أو "المشايا، ويُسمونه مَلِكَ السَّلام، ويُهيّئون لخروجه ويستعدون. ومع أنهم يتّفقون مع النصارى على أن المسيح المنتظَر سيكون من بني إسرائيل، وسينزلُ بين بني إسرائيل

---

(1) د. محمد إسماعيل المقدم، خدعة هرمجدون، ص ٤٩، ٥٠، ط١، ٢٠٠٣، دار بلنسية، الرياض.

(2) غريس هالسل، النبؤة والسياسة، [م. س]، ص ١٠٤، ١٠٥، ط٣، ١٩٩٠ دار الناشر للطباع والنشر.

(3) "الماشيح" و"المشيحانية" Messiah and Messianism "ماشيح" كلمة عبرية تعنى "المسيح المخلّص"، ومنها "مشيحيوت" أي "المشيحانية" وهي الاعتقاد بمجئ " الماشيح". والكلمة مشتقة من الفعل العبري "مشح" أي "مسح" بالزيت المقدس. وكان اليهود، على عادة الشعوب القديمة، يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبيهما، دلالةً على المكانة الخاصة الجديدة وعلى أن الروح الإلهية أصبحت تسرى فيهما، حسب الاعتقادات السائدة آنذاك. وقد اتسع مدلول الكلمة فيما بعد، فأصبحت تعنى "المخلص". وترى العقيدة المشيحانية اليهودية أن ذلك المخلّص هو من نسل داود، وأنه سيأتي بعد ظهور النبي إيليا ليعدّل مسار التاريخ وينهي عذاب اليهود وشتاتهم، ويعود بهم إلى أرض صهيون (فلسطين)، ثم يبدأ الفردوس الأرضى الذي يدوم ألف سنة. عبد الوهاب المسيري، الموسوعة اليهودية، المجلد الخامس، ص ٢٩٤.

(4) سبق الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الأول.

وسيكونون جُندهَ وأعوانه، وستكون قاعدةَ مُلكه هي القدس، كما يتّفقون على أنَّ تاريخ نزوله سيوافق رقماً ألفياً، إلا أنه عند اليهود ليس مسيح النصارى، بل هو مسيح الضّلالة المسيح الدجّال لكنهم لا يُسمّونه كذلك"[١]

يُستفاد ممّا سبق وجود عقيدة ثابتةٍ عند البروتستانت المتهّودين، إستقرَّ بهم الأمر على تسميتها (بهرمجدّون)، وهم مؤمنون بها ولكن على إختلافٍ بين مذاهبهم في وقوعها قبل أو بعد المجيء الثاني للمسيح. وهؤلاء يصرّون على حرفيّة الإعتقاد بها وبزمان وقوعها حتّى إنّهم حدّدوا أكثر من موعدٍ لوقوعها وفي كلّ مرّةٍ باء توقُّعهم بالفشل وأُصيبوا بخيبة الأمل، إلاّ أنّهم يعودون من جديدٍ للحديث عنها وتكييفها حسب الظروف لإسقاطها على بلدٍ ما وأشخاصٍ ما وحروبٍ ما. وأمثلةُ هذه التنبؤات الفاشلة التي ينادي بها "البروتستانت" كثيرةٌ متكررةٌ ولو أنّ منهم مَن يستحيي ويحكّمُ عقله لحَكَمَ على هذه البنؤة (وغيرها) بأنّها كذبةٌ أخرى و"سيناريو" آخر لا لن يقعَ مهما حدث في الكون من وقائع. ومن أمثلة هذه التوقعات الفاشلة بحدوث (مجيء المسيح الملازم طبعاً لقيادته لمعركة هرمجدون) ما يلي:

المثال الأول[٢]: في عام ١٨٤٣ أخبر "وليام ميلر" أتباعه [إنه على يقين وقناعة تامة بأنه في وقت ما بين ٢١ آذار عام ١٨٤٣ و٢١ آذار عام ١٨٤٤، طبقاً للحسابات اليهودّية، سوف يأتي المسيح ويحضر معه قديسيه]. إستطاع "ميلر" أن يكسب الكثير من الأتباع بمواعظه الحماسيّة التي كانت تتخذُ أحياناً طابعاً مُفرِطاً من الصِّياح وإشتراك المُصلّين بالغناء والتراتيل لدرجة سقوط بعضهم في نوباتِ إغماءٍ ورعشةٍ. وكان معظم ما يتحدّث عنه يتعلّقُ بمجيء المسيح المرتقَب (حسب نبوءات وتوقعات ميلر) وغفرانه لمن يؤمنون به ويتّبعونه عند ظهوره. إستغرقت مواعظه مدة إجمالية تزيد عن (٦٢٧) ساعةً وكان الحضور في الهواء الطلق يتجاوز آلاف المصلّين.

لم تتحقق نبوءة ميلر في الفترة التي حدَّدها وإعترف هو بخطأٍ في حساباته قائلاً: [إخوتي، لقد إنقضى عام ١٨٤٣ ولم تتحقق آمالنا، فهل نهجر السفينة؟ كلا ... كلا ... لا نعتقد أن النبوءات قد إنتهت ... فعاد وحدد يوم (٢٢) تشرين الأول لمجيء المسيح. ولمّا كان يوم ٢١ تشرين الأول توافدت حشودٌ كبيرةٌ من المؤمنين من أتباعه إلى قمم التلال المجاورة دون خشيةٍ من ظروف الطّقس البارد العاصف ودون الإعداد لقضاء ليلةٍ كاملةٍ هُناك. أمضى الناسُ ليلتين كاملتين بانتظار

---

(1) الأستاذ معتز محمد الجعبري، نصارى الغرب المتصهينون يرقصون على طبول هرمجدون، ص ١٧، ط١، ٢٠٠٣، دار عالم الثقافة، الأردن.

(2) راجع كتاب الأستاذ فؤاد شعبان [م. س]، ص ٩٥، ٩٦ وكتاب كارين آمسترونج [م. س]، ص ١٥٤ فما فوق.

الحدث العظيم، إلا أنّه حين لم تتحقْ النبوءة، أُصيبَ الجميعُ بخيبةِ أملٍ كبيرةٍ جعلت الشّكَّ واليأس يُخيّم على الكثيرين حتى أنَّ بعضهم عمدَ إلى الإنتحار، خاصّةً أنّ الكثيرين منهم كانوا قد باعوا أو تنازلوا عن كُلِّ ما يملكونه.

المثال الثاني: تنبّأ الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان (وهو واحدٌ من أبرز البروتستانت المتهوّدين) "بهرمجّدون" عدّة مرّات وفي أكثر من مناسبةٍ، ولكنّ تنبؤاته تلك باءت كلها بالفشل؛ ففي عام ١٩٧١ قال "ريغان"[(١)]: إنّ جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل "هرمجدون" قد مرّت، ففي الإصحاح ٣٨ من سفر "حزقيال" أنّ الرب سيأخذُ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعُهم مّرةً ثانيةً إلى الأرض الموعودة ... لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنةٍ، ولأولِ مرّةٍ يبدو كل شيء في مكانه بانتظار "هرمجدون" والمجئ الثاني للمسيح .. إنّ حزقيال يقول [إنّ النّار والحجار المشْتعلة سوف تمطرُ على أعداء شعب الرب]. إنّ ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يُدَمَّرون بواسطة السَّلاح النووي ... ويخبرنا "حزقيال" [أنّ جوج وماجوج، الأمة التي ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتي من الشمال] إن جوج يجب أن تكون روسيا ليس من الأمم القديمة شمالى إسرائيل غير روسيا. لقد أصبحت روسيا شيوعية ومُلحدةً لتضعَ نفسها ضدَّ الربّ، والآن تنطبق عليها تماماً مواصفات جوج. وفي عام ١٩٧٦، ناقش "ريجان" حاكم ولاية كاليفورنيا معركة "هرمجدون" في مقابلة مُسّجلةٍ مع "جورج أوتيس"، وقال ريجان [إنه ينتظر نبوءة حرب جوج وماجوج التي تعتبرُ بأنهاغزو روسي لإسرائيل في المستقبل القريب].

وفي حملته للرئاسة عام ١٩٨٠، ذكر "ريجان" في مقابلة تليفزيونية أجراها معه الواعظ التليفزيوني "جيم بيكر" [إننّا قد نكون الجيلَ الذي يشهدُ "هرمجدون"]. وفي العام نفسه، نقل "ويليام سافاير" مُعلِّقُ صحيفة "نيويورك تايمز"، أنّ ريجان قال أمام مؤتمر يهودي [إنّ إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقعٍ لحدوث هرمجدون].

وفي مقابلة مع القس "جيري فالويل" عام ١٩٨١، كشف "فالويل" عن أن الرئيس ريجان قال له [إنّ تدميرَ العالم يمكُن أن يحدث قريباً].

المثال الثالث: تقود البروتستانت المتهودين مجموعةٌ من القسِّيسين والدّعاة المتطرّفين المعروفين في الولايات المتحدة منذ ما يزيد على خمسٍ وعشرين سنة ومن أبرز هؤلاء القسيسين (هول ليندسي وجيري فولويل وجون هاجي وكين بوغ وبات روبرتسون) وهم معروفون بولائهم

---

(١) للتوسع في هذا الموضع راجع كلاً من: كتُب الأستاذ رضا هلال، [م. س] ص ١٣٥، والأستاذ جورجي كنعان، [م. س]، ص ١٣٠، ١٣١، وغريس هالسل، يد الله [م. س]، ص ٩٧، ٩٨ بتصرف، والأستاذ إميل أمين، [م. س] ص ٢٠٤، ٢٠٥.

المطلق للكيان الصهيوني وبتنظيمهم الدائم لرحلاتٍ إلى الأراضي المقدّسة وبإيمانهم الحرفيّ بنبؤات الكتاب المقدّس، وقد رصدت الكاتبةُ الأمريكية "غريس هالسل" مجموعةً لأراء وأقاويلٍ بعضٍ مِن هؤلاء المتطرّفين فيما يتعلّق بموضوعنا في كتابها "يد الله"[١] ومن ذلك: [أعلن التلفزيونيُ الإنجيلي جيري فولويل أنّ "هرمجيدون حقيقة" و"هي حقيقة مرعبة" و"إننا جزء من جيل النهاية، من الجيل الأخير" فالتاريخ سيصل إلى ذروته ... إنني لا أعتقد أن أولادي سوف يعيشون كامل حياتهم. ويقول فولويل أيضاً: "في خلال هرمجيدون ستكون هناك مناوشةٌ واحدةٌ وأخيرةٌ، ثم إنّ الله سوف يتخلّص من هذا الكون، سوف يدمِّرُ هذه الأرض ... هذه السماوات والأرض" وينتهي قائلاً: "إنّ المليارات من البشر سوف يموتون في محرقة هرمجيدون].

يقول فولويل وليندسي: [إنّ الله يريدنا أن نخوض معركةً رهيبةً تضع حدّاً للتاريخ الإنساني. والآن، مع حوالي إثنتي عشرة دولةً تملك السلاح النووي، نستطيع بالفعل أن نقضي على العالم].

ويقول التلفزيونيّ الإنجيليّ "بات روبرتسون": [إنّ الكتاب المقدّس "يحتوي على إشاراتٍ محددةٍ حول أحداث العالم المقبلة، إنه يتضمن "نبوءات تهزّ الدنيا" فمعركة هرمجيدون في موقعها، ويمكن أن تقع في أي وقت لتحقيق نبوءة "حزقيال"، إنها على إستعدادٍ لأن تحدث ... فالولايات المتحدة تقع في هذا المقطع من نبوءة "حزقيال" ... ونحن نقف على إستعداد].

ويكتب المؤلف "جون هاجي" في كتابه "الفجر الأخير": [إنّ نهاية العالم كما نعرفه تقتربُ منا، "وإن أمريكا رمز لتيتانيك حديثة ... إننا الآن في سباقٍ نحو الكارثة!"].

وممّا يجدرُ ذكره عند الحديث عن نبؤة "هرمجدّون" وما يرتبط بها من مجيء المسيح أنّ هذه النبؤة محلُّ إعتقادٍ واسع الإنتشار في الشّارع الأمريكي والحديث عنها (والذي يثيره القسّيسون السابق ذكرهم) يشبهُ الهَوسَ حيث أنّ كثيرين من "البروتستانت" ينظرون إليها على أنّها الحلّ الوحيد والعلاج النافع لواقع البشريّة وإنحرافاتها في هذا القرن والذي سبقه وقد رصدت "غريس هالسل" مدى إنتشار هذه النبؤة وغيرها في الشارع الأمريكي في كتابها (يد الله) كما رصدها الأستاذ فؤاد شعبان في كتابه من (أجل صهيون).

ومن الإستطلاعات والآراء التي ذكرتها "غريس هالسل" في كتابها "يد الله" حول موضوع معركة هرمجيدون ما يلي:[٢]

---

[1] غريس هالسل، يد الله، [م. س]، ص ١٣، ١٤.
[2] المرجع السابق نفسه، ص ١٤، ١٨، ١٩، بتصرف.

أولاً: تشير إستطلاعات الرأي إلى أنّ أعداداً متزايدةً من الأمريكيين يقبلون منطق هذه العقيدة. وقد أجاب ٣٩ بالمائة من الأمريكيين، وفقاً لاستطلاع يانكيلوفيتش الذي أجري في عام ١٩٨٤ **[بأنه عندما يقول الكتابُ المقدس إن الأرض سوف تُدَمَّرُ بالنار، فهذا القول يعني أننا سوف نُدَمِّرُ بأنفسنا أرضَنا في هرمجيدون بالنووية].**

ثانياً: أظهر إستطلاع ١٩٩٨م أن مزيداً من الأمريكيين يقول نفس الشيء. وأوردت مجلة تايم (كبرى المجلات الأسبوعية الأمريكية) **أنّ أكثر من نصف الأمريكيين ــ ٥١ بالمائة ــ يعتقدون أن كارثةً مِن صُنع الإنسان سوف تمحقُ الحضارة في خلال القرن التالي.**

ثالثاً: إن شهرة عقيدة هرمجيدون تجاوزت ما يسمى "المعتوهين" ووصلت إلى أرفع مستوى في السلطة الحكومية. ففي كتابه "بما يكفي من المعاول: ريجان، بوش، والحرب النووية"، يذكر "روبرت شير" أن وزير الدفاع "كاسبار وينبرجر" سُئل في عام ١٩٨٢ عن هرمجيدون فأجاب: [لقد قرأت سفر الرؤيا. نعم، إنني أعتقد أنَّ العالم يتجه نحو النهاية بعمل من الله كما آمُلُ. وفي كل يوم أشعر بأن الوقت بدأ ينفد].

رابعاً: يقول الباحث المؤرّخ "ديف ماك بيرسون": إن خطر عقيدة "هرمجيدون" يكمن في "أنها عقيدة قاتلة ومعدية" ويضربُ مثالا على ذلك، إستطاع هيربرت آرمسترونج في نهاية الستينيات وفي بداية السبعينيات أن يُقْنِع الآلاف من أتباعه بتسليم ممتلكاتهم إلى كنيسته "كنيسة الله العالمية"؛ وذلك على أساسِ الاعتقادِ بأنَّ العالم يتجه نحو النهاية ويقول "تيد دانيال" رئيس تحرير نشرة "تقرير نبوءات الألفية" في فيلادلفيا: [إن الناس الذين يعتقدون بنهاية العالم قريباً، يقومون بأعمالٍ غريبة" فحتى عام ١٩٩٩م سجّل دانيال أكثر من ١٢٠٠ حركة من هذا النوع.

خامساً: يُقَدَّرُ عدد الأصوليين في الولايات المتحدة بحوالي ٥٠ مليوناً، إنهم منتشرون في العديد من العقائد المسيحية. غير أنَّ أشد المدافعين عن عقيدة "هرمجيدون" حماسةً هم الذين ينتمون إلى الحركات الإنجيلية وتمثّل هذه الحركات في الوقت الحاضر الفرع الأسرع نمواً من الأصولية بين مسيحي شمال أمريكا.

أمّا عن الإستطلاعات التي ذكرها الاستاذ الدكتور فؤاد شعبان فأذكر منها ما يلي:[١]

في استطلاع أجرته مؤسسّة (Princeton Research Associates) بتكليف من مجلة نيوزويك (News Week) (١٩٩٩/١١/١) على عيّنةٍ عشوائيةٍ تتألف من ٧٥٥ أمريكي بالغ، **تبيّن**

---

(1) الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

أنَّ النسب المئوية التالية من البالغين يعتقدون أن العالم سينتهي بمعركة "مجيدو" حسبما يصفها سفر الرؤيا:

- ٤٠% من أفراد العينة من الأمريكيين البالغين بصورة عامة.
- ٤٥% من أفراد العينة من الأمريكيين المسيحيين البالغين.
- ٧١% من أفراد العينة من البروتستانت الإيفانجيليين.
- ٢٨% من أفراد العينة من غير البروتستانت الإيفانجيليين.
- ١٨% من أفراد العينة من الكاثوليك.

ومن الذين يعتقدون أن معركة مجيدو سوف تقع:

- ٤٧% يعتقدون أنّ المسيح الدجّال موجود على الأرض الآن.
- ٤٥% يعتقدون أنّ المسيح سوف يعود أثناء حياتهم.

وفي شهر تشرين الأول عام ١٩٩٩م أجرى مركز بيو للأبحاث (Pew Research Center) دراسةً بعنوان "كيف ينظر الأمريكيون إلى القرن الواحد والعشرين" فأكدت هذه الدراسة النتائج التي توصلت إليها مؤسسة "برينستون"، إذ وجدت أن:

- ٤٤% من الأمريكيين يعتقدون أنّ المسيح سيعود أثناء حياتهم.
- ٢٢% من الأمريكيين يعتقدون أنّ المسيح سيعود حتماً قبل عام ٢٠٥٠.
- ٤٤% من الأمريكيين يعتقدون أن المسيح قد لا يعود أثناء حياتهم.

وبعد إجراء دراسات ميدانية دقيقة توصَّل أستاذُ التاريخ في جامعة "ويسكونسن" "بول بوير" إلى **أن نبوئات الكتاب المقدس مهيمنةٌ ومنتشرةٌ إنتشاراً كبيراً في الثقافة الأمريكية المعاصرة. كما أضاف بأنّ نسبةً كبيرة من الأمريكيين المسيحيين يعتقدون أن آخر الزمان يوشك أن يأتي وأن ذلك سيحدث أثناء حياتهم. وقد أظهرت إستطلاعاتُ الرأي العام التي يذكرها الدكتور "بوير" أن ٤٠% من هؤلاء الأمريكيين "يعتقدون أن نهاية العالم ستكون بمعركة مجيدو بين المسيح والمسيح الدجال" كما أظهرت الدراسة أن نسبةً كبيرةً من الأمريكيين اليمينيين مهتمون جداً بأمور آخر الزمان.**

وبالعودة للحديث عن "غريس هالسل" في كتابها "يد الله" فإنها تذكرّ كلماتٍ مُقلِقة تثيرُ تساؤلاتٍ محيّرةً على لسان الكاتب والمُحاضِر (هول ليدنسي) حملت عنوان (هرمجدّون لليهود)

لخَّصَ فيها خلاصة هذه النبؤة فقال: [كنت أنظر من فوقِ تلٍّ مرتفعٍ إلى سهل مجيدو، عندما قال لي رفيق السفر "كلايد" [إن المسيح سوف يقود في هذا الموقع قوّاتِ الخير ضدّ قوات الشر، وإنّ ثُلثي اليهود سوف يُقتلون هنا إستناداً إلى إصحاح زكريا ١٣: ٨–٩]. وبعد عمليّةٍ حسابيّةٍ قال: [سيُقتَلُ ثمانية ملايين يهودي، وعلى مدى ٢٠٠ ميل سيرتفع الدم إلى ألجمَة الخيل]. وعندما أبديتُ إهتماماً بهذا السيناريو شرح "كلايد" قائلا [إن الله يفعلُ ذلك خصّيصاً من أجل شعبه القديم، اليهود. لقد وضعَ خطّةً في سبع سنواتٍ لنهاية الزمن من أجل تطهير اليهود وتمكينهم من رؤية النور والإعتراف بالمسيح مُخلِّصاً لهم]. وسألته: ولكن لماذا يختار الله شعباً "شعبه المختار" ـــ كما يقول كلايد ـــ ثم يعمل على إبادة معظمه؟ فردَّ كلايد [كما قلتُ، إنّ الله مَعنيٌّ بتطهرهم. إنه يريدهم أن ينحنوا أمام إبنه، سيدّنا المسيح]. فقلتُ: ولكن لن يبقى سوى القليل؟ هل يبقون من أجل دفن موتاهم؟ أجاب كلايد [نعم سيبقى ١٤٤ ألفا. ومن ثم سيتحوّلون إلى المسيح].

بعد معركة هرمجيدون لن يبقى سوى ١٤٤ الف يهودي. إنّ كلّ رجلٍ أو إمرأةٍ أو طفلٍ من هؤلاء اليهود سوف ينحني للمسيح وما أن يتحّولوا إلى المسيحيّة فإنَّ كل الكبار منهم سيبدؤون على الفور التبشير بتعاليم المسيح وسيكون هؤلاء اليهود مثل ١٤٤ ألف "بيلي جراهام" أطْلِقَ لهم العنان للتبشير][(١)]

أمّا عن المُستندَاتٍ التوراتيّة والإنجيليّة التي يستندُ إليها هؤلاء "البروتستانت" المتهّودون في دعم زعمهم يما يتعلّق بـــ (نبوءة معركة هرمجّدون ونهاية العالم في يوم الربّ) فهي ما يلي:

أولاً: "وَيَجْلِبَ ٱلرَّبُّ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعِيدٍ، مِنْ أَقْصَى ٱلأَرْضِ، أُمَّةً لاَ تَفْهَمُونَ لُغَتَهَا، فَتَنْقَضُّ عَلَيْكُمْ كَٱلنَّسْرِ. أُمَّةً يُثِيرُ مَنْظَرُهَا ٱلرُّعْبَ، لاَ تَهَابُ ٱلشَّيْخَ وَلاَ تَرْأَفُ بِٱلطِّفْلِ، فَتَسْتَوْلِي عَلَى نِتَاجِ بَهَائِمِكُمْ، وَتَلْتَهِمُ غَلاَّتِ أَرْضِكُمْ حَتَّى تَفْنَوْا، وَلاَ تُبْقِي لَكُمْ قَمْحاً وَلاَ خَمْراً وَلاَ زَيْتاً وَلاَ نِتَاجَ بَقَرِكُمْ وَنِعَاجِكُمْ حَتَّى تُهْلِكَكُمْ. وَتُحَاصِرُكُمْ فِي جَمِيعِ مُدُنِكُمْ حَتَّى تَتَهَدَّمَ أَسْوَارُكُمُ ٱلشَّامِخَةُ ٱلْحَصِينَةُ ٱلَّتِي وَثِقْتُمْ بِمَنَاعَتِهَا فِي كُلِّ أَرْضِكُمْ ٱلَّتِي يَهَبُهَا ٱلرَّبُّ إِلَهُكُمْ لَكُمْ. فَتَأْكُلُونَ فِي أَثْنَاءِ ٱلْحِصَارِ وَٱلضِّيقَةِ ٱلَّتِي يُضَايِقُكُمْ بِهَا عَدُوُّكُمْ ثِمَارَ بُطُونِكُمْ، لَحْمَ أَبْنَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمُ ٱلَّذِينَ رَزَقَكُمْ بِهِمِ ٱلرَّبُّ إِلَهُكُمْ. فَيَقْسُو قَلْبُ أَكْثَرِكُم رِقَّةً وَرَأْفَةً عَلَى أَخِيهِ وَٱمْرَأَتِهِ ٱلَّتِي فِي حِضْنِهِ وسائر أبنائه الأحياء فلا يُعْطي أحدُهم مِنْ لَحْمِ أَبْنَائِهِ، ٱلَّذِي يَأْكُلُهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ شَيْءٌ سِوَاهُ فِي ٱلْحِصَارِ وَٱلضِّيقَةِ ٱلَّتِي يُضَايِقُكُمْ بِهَا عَدُوُّكُمْ فِي جَمِيعِ مُدُنِكُمْ. وَكَذَلِكَ فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلنِّسَاءِ رِقَّةً وَرَأْفَةً، وَٱلَّتِي

---

(1) غريس هالسل، يد الله، [م. س]، ص ٧٩.

لِنُعُومَتِهَا وَتَرَفُّهِهَا لاَ تَجْرُؤُ عَلَى لَمْسِ ٱلأَرْضِ بِبَاطِنِ قَدَمِهَا، تَبْخَلُ عَلَى زَوْجِهَا رَجُلِ حِضْنِهَا وَعَلَى ٱبْنِهَا وَٱبْنَتِهَا بِمَشِيمَتِهَا ٱلسَّاقِطَةِ مِنْهَا، وَبِأَوْلاَدِهَا ٱلَّذِينَ تَلِدُهُمْ،لأَنَّهَا تَنْوِي أَنْ تَأْكُلَهُمْ سِرًّا فِي أَثْنَاءِ ٱلْحِصَارِ، فِي ٱلضَّيِّقَةِ ٱلَّتِي يُضَايِقُكُمْ بِهَا عَدُوُّكُمْ فِي كُلِّ مُدُنِكُمْ. فَإِنْ لَمْ تَحْرِصُوا عَلَى ٱلْعَمَلِ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلْمَكْتُوبَةِ فِي هَذَا ٱلْكِتَابِ، لِتَهابوا ٱسْمَ ٱلرَّبِّ إِلَهِكُمُ ٱلْجَلِيلِ ٱلْمَرْهُوبَ، فَإِنَّ ٱلرَّبَّ يَجْعَلُ ٱلضَّرَبَاتِ ٱلنَّازِلَةَ بِكُمْ وَبِذُرِّيَّتِكُمْ ضَرَبَاتٍ مُخِيفَةً وَكَوَارِثَ رَهِيبَةً دَائِمَةً وَأَمْرَاضاً خَبِيثَةً مُزْمِنَةً، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ كُلَّ أَمْرَاضِ مِصْرَ ٱلَّتِي فَزِعْتُمْ مِنْهَا فَتُلاَزِمُكُمْ، وَيُسَلِّطُ ٱلرَّبُّ عَلَيْكُمْ أَيْضاً كُلَّ دَاءٍ وَكُلَّ بَلِيَّةٍ لَمْ تَرِدْ فِي كِتَابِ ٱلشَّرِيعَةِ هَذَا، حَتَّى تَهْلِكُوا. فَتَصِيرُونَ قِلَّةً بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ فِي كَثْرَةِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ، لأَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَ ٱلرَّبِّ إِلَهِكُمْ. وَكَمَا سُرَّ ٱلرَّبُّ بِكُمْ فَأَحْسَنَ إِلَيْكُمْ وَكَثَّرَكُمْ، فَإِنَّهُ سَيُسَرُّ بِأَنْ يَفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ فَتَنْقَرِضُونَ مِنَ ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي أَنْتُمْ مَاضُونَ إِلَيْهَا لامْتِلاَكِهَا. وَيُشَتِّتُكُمُ ٱلرَّبُّ بَيْنَ جَمِيعِ ٱلأُمَمِ مِنْ أَقْصَى ٱلأَرْضِ إِلَى أَقْصَاهَا، فَتَعْبُدُونَ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَجَرٍ لَمْ تَعْرِفُوهَا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، وَلاَ تَجِدُونَ بَيْنَ تِلْكَ ٱلأُمَمِ ٱطْمِئْنَاناً وَلاَ مَقَرّاً لِقَدَمٍ، بَلْ يُعْطِيكُمُ ٱلرَّبُّ قَلْباً هَلِعاً، وَعُيُوناً أَوْهَنَهَا ٱلتَّرَقُّبُ، وَنُفُوساً يَائِسَةً. وَتَعِيشُونَ حَيَاةً مُفْعَمَةً دَائِماً بِالتَّوَتُّرِ، مَلِيئَةً بِٱلرُّعْبِ لَيْلاً وَنَهَاراً. وَتَقُولُونَ فِي ٱلصَّبَاحِ: يَا لَيْتَهُ ٱلْمَسَاءُ، وَفِي ٱلْمَسَاءِ: يَا لَيْتَهُ ٱلصَّبَاحُ، مِنْ فَرْطِ ٱرْتِعَابِ قُلُوبِكُمْ وَمَا تَشْهَدُهُ عُيُونُكُمْ مِنْ هَوْلٍ"[١]

ثانياً: "أَمَّا أَنْتَ يَا ٱبْنَ آدَمَ، فَهَذَا مَا يُعْلِنُهُ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ: **قُلْ لِكُلِّ أَصْنَافِ ٱلطُّيُورِ وَلِجَمِيعِ وُحُوشِ ٱلْبَرِّيَّةِ ٱجْتَمِعِي وَتَعَالَيْ، ٱحْتَشِدِي مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حَوْلَ ذَبِيحَتِي ٱلَّتِي أُعِدُّهَا لَكِ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً أُقِيمُهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ فَتَأْكُلِينَ لَحْماً وَتَشْرَبِينَ دَماً. تَأْكُلِين لَحْمَ ٱلْجَبَابِرَةِ وَتَرْتَوِينَ مِنْ دِمَاءِ رُؤَسَاءِ ٱلأَرْضِ وَكَأَنَّهَا كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَتُيُوسٌ وَعُجُولٌ كُلُّهَا مِنْ قُطْعَانِ بَاشَانَ ٱلسَّمِينَةِ فَتَأْكُلِينَ شَحْماً حَتَّى ٱلشَّبَعِ، وَتَشْرَبِينَ دَماً حَتَّى ٱلسُّكْرَ مِنْ ذَبِيحَتِي ٱلَّتِي أَعْدَدْتُهَا لَكِ.** فَتَشْبَعِينَ عَلَى مَائِدَتِي مِنَ ٱلْخَيْلِ وَفُرْسَانِهَا، مِنَ ٱلْجَبَابِرَةِ وَكُلِّ ٱلْمُحَارِبِينَ، يَقُولُ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ. وَأَجْعَلُ مَجْدِي يَتَجَلَّى بَيْنَ ٱلأُمَمِ فَتَشْهَدُ دَيْنُونَتِي ٱلَّتِي أَنْزَلْتُهَا بِهِمْ، وَقُدْرَةَ يَدِي ٱلَّتِي مَدَدْتُهَا عَلَيْهِمْ. فَيُدْرِكُ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ إِلَهُهُمْ مِنْ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ فَصَاعِداً. وَتَعْلَمُ ٱلأُمَمُ أَيْضاً أَنَّ سَبْيَ إِسْرَائِيلَ كَانَ عِقَاباً لَهُمْ عَلَى إِثْمِهِمْ، لأَنَّهُمْ خَانُونِي، فَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ وَأَسْلَمْتُهُمْ

---

[1] سفر التثنية ٢٨: ٤٩ – ٦٧.

لِيَدِ أَعْدَائِهِمْ، فَسَقَطُوا كُلُّهُمْ بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ، فَعَامَلْتُهُمْ بِمُقْتَضى نَجَاسَتِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، وَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ".[(١)]

ثالثاً: "لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ" ٱنْتَظِرُونِي لأَنِّي عَزَمْتُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي أَقُومُ فِيهِ كَشَاهِدٍ أَنْ أَجْمَعَ ٱلأُمَمَ وَأَحْشُدَ ٱلْمَمَالِكَ لأَسْكُبَ عَلَيْهِمْ سَخَطِي وَٱحْتِدَامَ غَضَبِي، لأَنَّ ٱلأَرْضَ بِكَامِلِهَا سَتُؤْكَلُ بِنَارِ غَيْرَةِ غَيْظِي. عِنْدَئِذٍ أُنَقِّي شِفَاهَ ٱلشَّعْبِ لِيَدْعُوا جَمِيعُهُمْ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ وَيَعْبُدُوهُ جَنْباً إِلَى جَنْبٍ"[(٢)]

رابعاً: "يَقُولُ الرَّبُّ فَيفنَى ثُلُثَا شَعْبِ أَرْضِي وَيَبْقَى ثُلُثُهُمْ حَياً فَقَط. فَأُجِيزُ هَذَا ٱلثُّلُثَ فِي ٱلنَّارِ لأُنَقِّيَهُ تَنْقِيَةَ ٱلْفِضَّةِ، وَأُمَحِّصَهُ كَمَا يُمَحَّصُ ٱلذَّهَبُ. هُوَ يَدْعُو بِٱسْمِي وَأَنَا أَسْتَجِيبُهُ. أَنَا أَقُولُ: هُوَ شَعْبِي، وَهُوَ يَقُولُ: ٱلرَّبُّ هُوَ إِلَهِي".[(٣)]

خامساً: "ٱنْظُرُوا، هَا يَوْمُ ٱلْقَضَاءِ مُقْبِلٌ، لاَهِبٌ كَتَنُّورٍ يَكُونُ فِيهِ جَمِيعُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ وَفَاعِلِي ٱلإِثْمِ عُصَافَةً، فَيُحْرِقُهُمْ ذَلِكَ ٱلْيَوْمُ وَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعاً، يَقُولُ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ. أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا ٱلْمُتَّقُونَ ٱسْمِي فَتُشْرِقُ عَلَيْكُمْ شَمْسُ ٱلْبِرِّ حَامِلَةً فِي أَجْنِحَتِهَا ٱلشِّفَاءَ، فَتَنْطَلِقُونَ مُتَوَاثِبِينَ كَعُجُولِ ٱلْمَعْلَفِ، وَتَطَأُونَ ٱلأَشْرَارَ، إِذْ يَكُونُونَ رَمَاداً تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ، فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي أُجْرِي فِيهِ أَعْمَالِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ. ٱذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي وَسَائِرَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي ٱلَّتِي أَعْطَيْتُهَا فِي جَبَلِ حُورِيبَ لِجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ. هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا ٱلنَّبِيَّ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ قَضَاءِ ٱلرَّبِّ ٱلرَّهِيبُ ٱلْعَظِيمُ فَيَعْطِفُ قَلْبَ ٱلآبَاءِ عَلَى أَبْنَائِهِمِ وَقَلْبَ ٱلأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ، لِئَلاَّ آتِيَ، وَأُصِيبَ ٱلأَرْضَ بِٱللَّعْنَةِ".[(٤)]

سادساً: رؤيا "يوحنّا اللاهوتي" وقد سبق ذكرُ مقاطع منها كشواهد على المَملكة الألفيّة وسأقتصر في ذكر الشواهد التالية منها على بعض ما يدلُّ على معركة هرمجدون (أو يوم الربّ) وهي:

١. "وَجَمَعَتِ ٱلأَرْوَاحُ ٱلشَّيْطَانِيَّةُ جُيُوشَ ٱلْعَالَمِ كُلَّهَا فِي مَكَانٍ يُسَمَّى بِٱلْعِبْرِيَّةِ "هَرْمَجدُّونَ" ثُمَّ سَكَبَ ٱلْمَلاكُ ٱلسَّابِعُ كَأْسَهُ عَلَى ٱلْهَوَاءِ، فَدَوَّى صَوْتٌ مِنَ ٱلْعَرْشِ فِي ٱلْهَيْكَلِ ٱلسَّمَاوِيِّ يَقُولُ: "قَدْ تَمَّ!" فَحَدَثَتْ بُرُوقٌ وَأَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَزِلْزَالٌ عَنِيفٌ لَمْ تَشْهَدِ ٱلأَرْضُ لَهُ مَثِيلاً مُنْذُ وُجِدَ ٱلإِنْسَانُ عَلَى ٱلأَرْضِ، لأَنَّهُ كَانَ زِلزَالاً عَنِيفاً جِدًّا! فَٱنْقَسَمَتِ ٱلْمَدِينَةُ ٱلْعُظْمَى إِلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ، وَحَلَّ ٱلدَّمَارُ بِمُدُنِ ٱلأُمَمِ. فَقَدْ ذَكَرَ ٱللهُ بَابِلَ ٱلْعُظْمَى لِيَسْقِيَهَا كَأْساً تَفُورُ بِخَمْرِ غَضَبِهِ. وَهَرَبَتِ ٱلْجُزُرُ كُلُّهَا،

---

(1) سفر حزقيال ٣٩: ١٧ – ٢٤.
(2) سفر صفنيا: ٣: ٨، ٩.
(3) سفر زكريا: ١٣: ٨، ٩.
(4) سفر ملاخي: ٤: ١ – ٦.

وَٱخْتَفَتِ ٱلْجِبَالُ. وَتَسَاقَطَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ عَلَى ٱلنَّاسِ بَرَدٌ كَبِيرٌ، كُلُّ حَبَّةٍ مِنْهُ بِمِقْدَارِ وَزْنَةٍ وَاحِدَةٍ، فَجَدَّفَ ٱلنَّاسُ عَلَى ٱللهِ بِسَبَبِ هذِهِ ٱلْبَلِيَّةِ ٱلشَّدِيدَةِ جِدًّا".[١]

٢. ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلسَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا حِصَانٌ أَبْيَضُ يُسَمَّى رَاكِبُهُ "ٱلأَمِينَ ٱلصَّادِقَ" ٱلَّذِي يَقْضِي وَيُحَارِبُ بِٱلْعَدْلِ. عَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ أَكَالِيلُ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ كُتِبَ عَلَى جَبْهَتِهِ ٱسْمٌ لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ إِلاَّ هُوَ. وكَانَ يَرْتَدِي ثَوْباً مُغَمَّساً بِٱلدَّمِ؛ أَمَّا ٱسْمُهُ فَهُوَ "كَلِمَةُ ٱللهِ" وَكَانَ ٱلأَجْنَادُ الذين في السماء يتبعونه راكبين خيولاً بَيْضَاءَ، وَلاَبِسِينَ كَتَّاناً نَقِيًّا نَاصِعَ ٱلْبَيَاضِ، وَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ سَيْفٌ حَادٌّ لِيَضْرِبَ بِهِ ٱلأُمَمَ وَيَحْكُمَهُمْ بِعَصاً مِنْ حَدِيدٍ، وَيَدُوسَهُمْ فِي مَعْصَرَةِ سَوْرَةِ غَضَبِ ٱللهِ ٱلْقَدِيرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَقَدْ كُتِبَ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ وَرَبُّ ٱلأَرْبَابِ". ثُمَّ رَأَيْتُ مَلاَكاً وَاقِفاً فِي ٱلشَّمْسِ، يُنَادِي ٱلطُّيُورَ ٱلطَّائِرَةَ فِي وَسَطِ ٱلسَّمَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ قائلاً: "هَلُمِّي ٱجْتَمِعِي مَعاً إِلى وَلِيمَةِ ٱللهِ ٱلْكُبْرَى! تَعَالَيْ وَٱلْتَهِمِي لُحُومَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْقَادَةِ وَٱلأَبْطَالِ، وَٱلْخُيُولِ وَفُرْسَانِهَا، وَلُحُومَ ٱلبَشَرِ جَمِيعاً مِنْ أَحْرَارٍ وَعَبِيدٍ، وَصِغَارٍ وَكِبَارٍ". وَرَأَيْتُ ٱلْوَحْشَ وَمُلُوكَ ٱلأَرْضِ وَجُيُوشَهُمْ وَقَدِ ٱحْتَشَدُوا لِيُحَارِبُوا هذَا ٱلْفَارِسَ وَجَيْشَهُ. فَقُبِضَ عَلَى ٱلْوَحْشِ وَعَلَى ٱلنَّبِيِّ ٱلدَّجَّالِ ٱلَّذِي قَامَ بِٱلْمُعْجِزَاتِ فِي حُضُورِ ٱلْوَحْشِ وَأَضَلَّ بِهَا ٱلَّذِينَ قَبِلُوا شَارَةَ ٱلْوَحْشِ، وَسَجَدُوا لِتِمْثَالِهِ. وَطُرِحَ كِلاَهُمَا حَيًّا فِي بُحَيْرَةِ ٱلنَّارِ وَٱلْكِبْرِيتِ ٱلْمُتَّقِدَةِ، وَقَتَلَ ٱلسَّيْفُ ٱلْخَارِجُ مِنْ فَمِ ٱلْفَارِسِ جَمِيعَ ٱلْبَاقِينَ، وَشَبِعَتِ ٱلطُّيُورُ كُلُّهَا مِنْ لُحُومِهِمْ".[٢]

٣. ثُمَّ رأَيْتُ مَلاَكاً نَازِلاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ، وَبِيَدِهِ مِفْتَاحُ ٱلْهَاوِيَةِ وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ قَيَّدَ بِهَا ٱلتِّنِّينَ، أى ٱلْحَيَّةَ ٱلْقَدِيمَةَ، وَهُوَ إِبْلِيسُ أَوِ ٱلشَّيْطَانُ، وَسَجَنَهُ مُدَّةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَطَرَحَهُ فِي ٱلْهَاوِيَةِ وأَغْلَقَهَا عَلَيْهِ، وَخَتَمَهَا، حَتَّى يَكُفَّ عَنْ تَضْلِيلِ ٱلأُمَمِ، إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ ٱلأَلْفُ سَنَةٍ. وَلَكِنْ لاَبُدَّ مِنْ إِطْلاَقِهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ".[٣]

٤. "فَحِينَ تَنْقَضِي ٱلأَلْفُ سَنَةٍ، يُطْلَقُ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، فَيَخْرُجُ لِيُضَلِّلَ ٱلأُمَمَ فِي زَوَايَا ٱلأَرْضِ ٱلأَرْبَعِ، جُوجَ وَمَاجُوجَ، وَيَجْمَعُهُمْ لِلْقِتَالِ، وَعَدَدُهُمْ كَثِيرٌ جِدًّا كَرَمْلِ ٱلْبَحْرِ! فَيَصْعَدُونَ عَلَى سُهُولِ ٱلأَرْضِ ٱلْعَرِيضَةِ، وَيُحَاصِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مُعَسْكَرَ ٱلْقِدِّيسِينَ وَٱلْمَدِينَةَ ٱلْمَحْبُوبَةَ، وَلَكِنَّ نَاراً

---

[1] الرؤيا: ١٦: ١٦ – ٢١.
[2] الرؤيا: ١٩: ١١ – ٢١.
[3] الرؤيا: ٢٠: ١ – ٣.

مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ وَتَلْتَهِمُهُمْ. ثُمَّ يُطْرَحُ إِبْلِيسُ ٱلَّذِي كَانَ يُضَلِّلُهُمْ، فِي بُحَيْرَةِ ٱلنَّارِ وَٱلْكِبْرِيتِ، حَيْثُ ٱلْوَحْشُ وَٱلنَّبِيُّ ٱلدَّجَّالُ. هُنَاكَ سَوْفَ يُعَذَّبُونَ نَهَاراً وَلَيْلاً، إِلَى أَبَدِ ٱلآبِدِينَ"[١]

٥. "ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً لاَ بَحْرَ فِيهَا، لأَنَّ ٱلسَّمَاءَ وَٱلأَرْضَ ٱلْقَدِيمَتَيْنِ قَدْ زَالَتَا. وَأَنَا رَأَيْتُ ٱلْمَدِينَةَ ٱلْمُقَدَّسَةَ، أُورُشَلِيمَ ٱلْجَدِيدَةَ، نَازِلَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ، مُجَهَّزَةً كَأَنَّهَا عَرُوسٌ مُزَيَّنَةٌ لِعَرِيسِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتاً هَاتِفاً مِنَ ٱلْعَرْشِ: "ٱلآنَ صَارَ مَسْكِنُ ٱللهِ مَعَ ٱلنَّاسِ، هُوَ يَسْكُنُ بَيْنَهُمْ، وَهُمْ يَصِيرُونَ شَعْباً لَهُ. ٱللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهاً لَهُمْ! وَسَيَمْسَحُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ. إِذْ يَزُولُ ٱلْمَوْتُ وَٱلْحُزْنُ وَٱلصُّرَاخُ وَٱلأَلَمُ، لأَنَّ ٱلأُمُورَ ٱلْقَدِيمَةَ كُلَّهَا قَدْ زَالَتْ!" وَقَالَ ٱلْجَالِسُ عَلَى ٱلْعَرْشِ: "سَأَصْنَعُ كُلَّ هذَا، فَإِنَّ مَا أَقُولُهُ هُوَ ٱلصِّدْقُ وَٱلْحَقُّ". ثُمَّ قَالَ: "قَدْ تَمَّ أَنَا ٱلأَلِفُ وَٱلْيَاءُ (ٱلْبِدَايَةُ وَٱلنِّهَايَةُ). أَنَا أَسْقِي ٱلْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ ٱلْحَيَاةِ مَجَّاناً. هذَا كُلُّهُ نَصِيبُ ٱلْمُنْتَصِرِ، وَأَكُونُ إِلهاً لَهُ، وَهُوَ يَكُونُ ٱبْناً لِي. أَمَّا ٱلْجُبَنَاءُ وَغَيْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَٱلْفَاسِدُونَ وَٱلْقَاتِلُونَ وَٱلزُّنَاةُ، وَٱلْمُتَصِلُونَ بِٱلشَّيَاطِينِ وَعَبَدَةُ ٱلأَصْنَامِ وَجَمِيعُ ٱلدَّجَّالِينَ، فَمَصِيرُهُمْ إِلَى ٱلْبُحَيْرَةِ ٱلْمُتَّقِدة بِٱلنَّارِ وَٱلْكِبْرِيتِ، ٱلذِي هُو ٱلْمَوْتُ ٱلثَّانِي".[٢]

---

[1] الرؤيا: ٢٠: ٧ – ١٠.
[2] الرؤيا: ٢١: ١ – ٨.

المبحث الخامس

موقف كنائس العالم من المسيحيّة المتهوّدة ونبوئاتها

ـ مقدمـــــة وحقائــــق ـ

قبل الخوض في تفصيل موقف الكنائس المسيحية الأخرى ممّا سبقَ ذِكره من تهويد البروتستانت للمسيحيّة، وقبل البدء في ذكر ردودهم على ما سبق من النبوئات فإنه يجدرُ التنبيه إلى أمرين:

أولاً: إنّ الأمر الخطيرَ المُشكِل في موضوع النبوئات لا يتمثّل في كثرة الكنائس التي تحمل هذا الفكر (بل التراث العقدي) وكثرة أتباعها فحسْب، بل يتمثّل الخطر في وصول بعض أتباعها إلى كرسيّ الحُكم والرئاسة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. ومنهم على سبيل المثال "رونالد ريغان" الذي تقدَّم بيانُ بعض معتقداته، ومنهم كذلك الرئيس الأمريكي "جورج بوش" الذي كان ولا زال يعتقدُ أنّه يسمعُ صوت الربّ يناديه ويطلب إليه القيام ببعض المهمّات والأمور (كالحروب ومقاتلة أعداء الله والإرهابيين) وهي الأمور التي لا تقدر على تنفيذها سوى الأمّة الأمريكيّة العظيمة وجيشها الجاهز دوماً للقيام بواجباته في تنفيذ أوامر الربّ وإمضاء رغباته في الأرض (والتي على رأسها طبعاً التمهيد لعودة المسيح ومجيئه الثاني) ووضع كل مقدّرات وإمكانيات (الأمة الأمريكيّة العظيمة) وتسخيرها لخدمة دولة شعب الله المختار (في كتابه "بوش في حرب" يميط الكاتب الأمريكي والصحفيّ الشهير "بوب وودورد" اللثام عن نوايا بوش منذ اللحظة الأولى لدخوله البيت الأبيض، والتي تتلخّص في عبارةٍ واحدةٍ هي "التخلُّص من الشرّ والأشرار" مضيفاً [سنصدِّرُ الموتَ والعنف إلى الأركان الأربعة للأرض للدفاع عن هذه الأمة العظيمة] ... وفي هذا المجال، فإن بوش يعني أن العناية الإلهية هي التي ستضع على كاهلهِ مَهّمة دعم ومساندةِ بل وقيادة معُسكر الخير ضدَّ معسكر الشر، وهو المفهوم الذي سيتجلّى لاحقاً في مُصَطلحَيْ محور الخير محور الشر، واللّذَينِ هما في أصلهما مفاهيمُ منسوبةٌ إلى الفِكر "اللاهوتي" "لرؤيا يوحنا اللاهوتي" حينما يتحدّثُ عن معسكَر القدّيسين الذي يتعرَّضُ لمعسكر الأشرار إبانَ حرب هرمجدّون وقبل حدوث الملك الألفي). [١]

ثانياً: لا تقتصرُ مسألةُ الإعتقاد بهذه النبوئات على الجانب الإعتقاديّ النظريّ المحض فقط، بل تتجاوزه إلى المناداة بوجوب تطبيق هذه المعتقدات وإقامتها على أرض الواقع (أي أن تحقيق

---

[١] الاستاذ إميل أمين، [م. س] ص ٢١٥.

هذه النبؤات على الأرض إنّما هو واجبٌ مُقدَّسٌ)؛ وقد شرعت الولايات المتحدّة وإدارتها البروتستانتيّة المتُصهْينة منذ ميلادها، كما ذكرنا فيما سبق، إلى تحقيق إثنتين من هذه النبؤات فحققت قدراً عظيماً من نبؤة "عودة الشعب المختار إلى أرض الميعاد" وهي تعمل حالياً على تحقيق نبؤة "بناء الهيكل الثالث"، والذي يدور الإعتقاد على أنّه قائمٌ مكان المسجد الأقصى وأنّ المسيح لن ينزل إلاّ بعد إكتمال بنائه (الهيكل) خصوصاً إذا ما تذكَّرنا أنّ هؤلاء البروتستانت الأمريكيين هم من المجيئيين التدبيريين المؤمنين بما قبل الألفية(١). ويتضح هذا السعيُّ لتحقيق النبؤة عمليّاً بوجود آلاف المستوطنين البروتستانت في المستعمَرات الصّهيونية على أرض فلسطين ومعظمهم يتجمّع في مستوطنات القدس وما حولها (حيث ستقع النبؤات)، كما يتّضحُ هذا السعي في دعم هؤلاء الدائم للمنظمات الصهيونية المتطرّفة التي حاولت أكثر من مرة القيام بمهاجمة المسجد الأقصى وإحراقه وتنفيذ أعمالٍ عسكريّةٍ لهدمه. يقول المستوطن الأمريكي "بوبي براون" والذي جاء من مدينة "بروكلين" وسكن في مستعمرة "تيكوا" في ضاحية بيت لحم [أنظر إلى أي صورة للقدس فترى ذلك المسجد! يجب إزالته. سنبني يوماً ما الهيكل الثالث هناك]. وقال أيضاً [إنَّ وجود مسجدٍ قابعٍ في وسطنا يشعرنا بوجود وصمة عار في جبيننا](٢)

((أقامت الكاتبة الأمريكية "غريس هالسل" أثناء زيارتها لفلسطين المحتلة في منزل هذا المستوطن "بوبي براون" وزوجته "ليندا". وفي مساء أحد الأيام قالت لهما [إنَّ بناء الهيكل عن طريق تدمير المسجد يمكنُ أن يشْعِلَ حرباً كارثيّةً]. فقال براون: [تماماً. إننا نريُد هذا النّوع من الحرب، لأننا سنربحها. عندئذٍ سوف نطرد كلَّ العرب من أرض إسرائيل] ثم أكّد: [سوف نعيُد بناءَ هيكلنا]. وفيما كان يتحدث إليها كان مسلَّحو منظمة "غوش إيمونيم" يعقدون إجتماعاً سريّاً لإعداد خطةٍ لتدمير المسجد. وكما ثبتَ فيما بعدُ فقد حصلوا على صورةٍ جويّةٍ للمسجد وإستأجروا طيّاراً عسكريّاً كلّفوه بسرقةِ طائرةٍ عسكريةٍ لإستخدامها في قصف المسجد على أن يقوموا بعد ذلك بهجومٍ أرضي".(٣)

"وذكرت صحيفة "صوت القرية" في عددها الصادر عام ١٩٨٥ نقلاً عن مراسلها "روبرت فريدمان" [إنَّ مجموعاتٍ من اليهود المحمَّلين بالقنابل كانوا سيقفزون من فوق جدار المدينة القديمة إلى ساحة المسجد] وقالت الصحيفة أيضاً: [لقد شُيِّدَ نموذجٌ من المسجد لإجراء التدريبات وحساب

---

(1) المؤمنون بالمجيء الثاني للمسيح، عليه السلام، وهم يعملون على تدبير وتحقيق كلّ الأحداث التي تُعتبرُ مقدِّمة لمجيئه مثل إعادة شعب الله المختار إلى أرض إسرائيل وإقامة الهيكل الثالث .... الخ.

(2) غريس هالسل، يد الله، [م. س]، ص ٧٢.

(3) المرجع السابق نفسه، ص ٧٢.

الوقت اللازم لكل حركة وصُنِعتْ القنابلُ المحليّة التي جُرِّبَتْ في الصحراء. وأجرى "ميناحيم ليفي" وهو قائدُ قوةِ إحتياطٍ هندسيةٍ في الجيش الإسرائيلي حساباته لتحديد الجهة التي سينهارُ المسجد بإتجاهها بعد نسفه، والمدى الذي ستصلُ إليه الشّظايا المتطايرة. ولكنهم أُعتقلوا قبل أن يُنفّذُوا مُخطّطهم. وفي أثناء المحاكمة عُومِلوا كأبطالٍ كبار. وقد إعترفَ أحدُ الإرهابيين ويدُعى "إيهودا إتيزيون" قائلاً [إنّ تقصير الحكومة الإسرائيلية في "تطهير" الموقع الإسلامي، أوجب عليّ أن أقوم بذلك] لم يندم، بل قال للمحكمة: [إنني بريءٌ مائة بالمائة، لأنَّ البناء ــ قبةَّ الصخرة ــ يجبُ أن يُزال]. لم يُحكَم على أيّ من المسلّحين بعقوبةٍ طويلةٍ؛ فالرئيسُ الإسرائيلي إستبدل بعقوبةِ السجن غراماتٍ ماليةً. ولم يكن المال ينقصُ هؤلاء المسلّحين لأن "الدولارات" تنهمر عليهم من مسيحيي ويهود الولايات المتحدة)). [١]

يُستفاد ممّا سبق أنّ مسألة النبؤات تشغلُ حيّزاً عظيماً في العقل والضمير الأمريكي وأن الدفاع عن "الدولة اليهودية" وحمايتها أمرٌ ضروريٌ ولازمٌ، ليس لكونها أرضَ شعب الله المُختار فقط بل أيضاً لأنّها الأرضُ التي تتحقق على ترابها النبؤات وأنّ اليهود الذين يقطنونها إنما هم (مفتاح المستقبل) وبيدهم وحدهم (العصا السحريّة) التي تحقق هذه النبؤات ...

ـ حقائـــــق هامـــــة ـ

حتى نفهم حقيقة موقف الكنائس الأخرى من البروتستانتية المتهوّدة ونبؤاتها يجب أولاً أن نفهم الحقائق الثلاث التالية:

الحقيقة الأولى: إنّ واحداً من الأسباب المباشرة لرفض الكنائس، بشكلٍ عامٍ، لتفسير البروتستانت المتهّودين للنبؤات السابقة هو القراءة الحرفيّة للأناجيل وبالتالي التفسير الحرفيّ لها وبالتالي الإعتقاد بعصمتها وأنّها ستحدثُ، بلا ريبٍ، وتتحقّق على نحو حرفيٍ لا رمزيّة فيه؟! وقد ساهمت مجموعةٌ من الأشخاص في نشر هذا الإتجاه القائم على وجوب الإعتقاد بالتفسير الحرفيّ للنبؤات ونصوصها (ومنهم مزارعٌ من نيويورك يُدعى "**وليام ميللر**" ومنهم **تشارلزفيني** والذي يُعتبرُ شخصيةً محوريّةً في تاريخ الدِّين في الولايات المتحدة في الأربعينات من القرن التاسع عشر ومنهم "**جون نيلسون داربي**" صاحب نظرية تاريخ الخلاص[٢] المنُقَسم إلى سبع فتراتٍ، التي إستقاها من قراءته الدَّقيقة الحرفيّة للكتاب المقدّس ومنهم "**تشارلز هودج**" أستاذ اللاهوت

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ٧٣.
[2] سبق الحديث عنها في نبؤة المملكة الألفيّة.

الشهير بجامعة "برينستون" عام ١٨٧٣ وأخيراً إبنه "**آرشيبولد أ. هودج**" الذي شغل كرسي الأستاذية بعد أبيه في عام ١٨٧٨ وأكَّدَ على هذا الإتجاه بكتابته **(دفاع عن الحقيقة الحرفيّة للكتاب المقدس)** في مقال نشره في مجلة "ذا برينستون ريفيو"، بالإشتراك مع زميلٍ شابٍ يدُعى "بنجامين وارفيلد"، فأصبح المقالُ من أمّهات المراجع... وكان يقول **[إنَّ جميع القصص والعبارات الواردة في الكتاب المقدس خاليةٌ بصورةٍ مُطلقةٍ من الأخطاء، ومُلزِمةٌ بصورةٍ مطلقةٍ بالإيمان والطاعة فكل ما يقوله الكتاب المقدس يمثّلُ "الحقيقة الصادقة" المُطلَقة. فإذا قال الكتاب المقدس إنه مُنَزَلٌ، فهو مُنَزَلٌ]**[١]

وتعلّق "كارين آرمسترونج" على هذا المنهج الحرفيّ في التفسير، وبالذات فيما يتعلّق بمقالة "آرشيبولد أ. هودج" هذه بقولها [ولم يكن مثل هذا الرأي يتَّسِمُ بأيّةِ موضوعيّةٍ عقلانيّةٍ، وهو مُغَلَقٌ في وجه البدائل، ولا يتميّزُ بالتماسك إلاّ من خلال ما يقوله هو نفسه، وإذا كان إعتماد أساتذة برينستون على العقل وحده قد جعل هذا الراي متمشياً مع الحداثة، فإن دعاواه لم تكن تتفق مع الحقائق].[٢] وهذا التعليقُ لا يعكس رأي "آرمسترونج" وحدها فيما يتعلّق بحرفيّة تفسير النّصوص بل هو رأيُ العديد من الخُبراء الذين كتبوا في مثل هذا الموضوع ومنهم "الدكتور ج. كالفن كين"، الرئيس السابق لقسم الدراسات الدينّية في جامعة "سانت لورنس" في "نيويورك"، إذ يقول: [إنَّ النُّصوص الكتابيّة التي تردُ فيها هذه النبوءات المفترَضة قليلةٌ جدّاً، كما أنّ نظرةً فاحصةً لها تدلُّ على أنهَّا إمّا غامضة جداً في دلالاتها وبالتالي غيرُ مُقنعِةٍ، أو أنها نبوءات لأحداثٍ وقعت بالفعل بعد كتابتها بوقتٍ قصيرٍ، أو أنها إنتُزِعَتْ من سياقها وأُعطيت دلالاتٍ ليست واردةً أبداً في ذلك السياق][٣]. ومنهم كذلك الفيلسوف الفرنسي "روجيه جارودي" الذي يصف سُلوكَ التفسير الحرفيّ بأنّهُ "هرطقة تشكّلتْ من القراءة الحرفية الإصطناعية لكلامٍ مُنَزلٍ، بهدف جعلِ الدينِ أداةً للسياسة، بإضفاءِ القدُسيّة عليها ... إنه مرضٌ مُميتٌ يصيبُ نهايةَ القرن "[٤]

وأخير فقد علّق على ذلك الكاتب الديني "بول جيرسيد" حينّ قال في مجلة "الدوريّة الكاثوليكيّة اليسوعيّة" التي تصدرُ في أمريكا في العدد الصادر في ١٠/٥/١٩٧٥: [إنَّ الإدِّعاءَ بسياسةٍ لاهوتيّةٍ، وخلقَ "شعبٍ مختارٍ" مبنيٍّ على عناصرَ عرقيةٍ ودينيةٍ يعني خلقَ مشكلةٍ حادّةٍ

---

[١] كارين آرمسترونج، [م. س] ص ١٥٤، ١٥٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢ بتصّرف واختصار.
[٢] المرجع السابق نفسه ص ٢٣٢.
[٣] الدكتور فؤاد شعبان،[م. س]، ص ٢٢٥.
[٤] المرجع السابق نفسه ص ٢٢٥.

مباشرةٍ بين هذا الشّعب وجيرانه، واللجوءُ إلى الكتاب المقدس لحلِّ مشكلةٍ سياسيةٍ هو إستغلالٌ للكتاب المقدس دون حس تاريخي أو شعور بالمسؤولية][١]

الحقيقة الثانية: يأتي في مقدمة المؤسسات الكَنَسيّة التي تواجه الإتجاهاتِ اليمينيّة المسيحيَة المتطرفة "**المجلس الوطني للكنائس الأمريكية**" حيث ينتقدُ هذا المجلس التفسيرَ الحرفيَّ الأصوليَّ للنّصوص المقدَّسة والإتجاهاتِ الصهيونية لهذه الجماعات. ومن الكنائس الهامة التي تواجه هذه التيارات وتساند قضايا الشرق الأوسط بقوة "**الكنيسة المشيخّية**" في الولايات المتحدة الأمريكية.

الحقيقة الثالثة: ليس كلُ البروتستانت الأمريكيين صهاينةً أصوليين، كما أنه ليس كل الأصوليين الصهاينة أمريكيين، فهذه الحركةُ توجد أيضاً في أوروبا وفي بلدان أخرى كثيرةٍ. وعلينا أن ندرك أيضاً أن عدد البروتستانت الأصوليين ليس كبيراً جداً ولكنهم يملكون الأموال ومحطات التلفاز والدِّعاية الضخمة، (وبإضافة اللوبي اليهودي إلى هؤلاء الأصوليين فإنهم يصبحون قوةً لا يُستهانُ بها. وبالإضافة إلى ذلك **فإنّ الصّهيونية المسيحية هي بالأساس إتجاهٌ وليست كنيسةً، فلا توجد كنيسةٌ تُسمّى كنيسة المسيحيين الأصوليين أو الصهاينة، لكنها اتجاهٌ توجدُ في معظم الكنائس،** تقوى أو تضعُفُ بمقدار قبول الكنيسة لأعضاء ينتمون لمثل هذا الفكر. كما أنّ معظم الكنائس البروتستانتية في الولايات المتحدة قد رفضت الفكر الأصولي وأصدرت بياناتٍ واضحةً في هذا الشأن، وإذا ما وصمنا كل البروتستانت بالأصولية فإننا نقع بذلك في نفس خطأ الغرب عندما يصمُ كلَّ المسلمين بالإرهاب دون تمييز)[٢]

تفصيل القول في موقف الكنائس من البروتستانتيّة المتهّودة وتفسيرها للنبوءات

أولاً: موقف كنائس المجلس الوطني الأمريكي:

إنّ من أبرز المعارضين للمسيحيّة المتهوَّدة داخل الولايات المتحدّة المجلس الوطني لكنائس المسيح National Council of the Churches of Christ، (ويضم هذا المجلس ٣٤ طائفة يبلغ عدد أتباعها نحو الأربعين مليون شخص. وتصدر عن هذا المجلس مجلةٌ شهريةٌ تُدعى "القرن المسيحي" Christian Century كما تصدر عنه مجلةٌ شهرية أخرى تدُعى "المسيحية والأزمات"

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢٢٦.

(2) وردت هذه الملاحظة للدكتور القس إكرام لمعي في دراسة للأستاذ أديب نجيب بعنوان، موقف اليمين المسيحي والكنائس الأمريكية من قضايا الشرق الأوسط، وذلك ضمن سلسلة مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية السنة ١٣ العدد ١٢٢ ص ٧.

The Christianity and Crisis. ويستقطب المجلس ومجلتّاه "الإنجيليين الليبراليين" الذين يرفضون التفسيرَ الحرفيَّ للكتاب المقدس، كما يرفضون الصهيونيّة اللاهوتية في الكنيسة"[١]

وقد فصَّل الأستاذ محمد السمّاك القول في المجّلات التي تصدر عن هذا المجلس الوطني (أو القومي) وفي بعض الكنائس الإنجيليّة المتعاطفة مع خّطه المُعارض لصهينة المسيحيّة وذكر منها الكنيسة المشيخيّة والكنيسة المنهجيّة (Methodists) والكنيسة المعمدانّية والكنيسة الأسقفيّة ...

ثانياً: موقف الكنيسة الكاثوليكية من المسيحية الصهيونية ونبوئاتها

ذكر الدكتور محمد السمّاك في كتابه السابق تفصيلاً كاملاً لموقف الكنيسة الكاثوليكية (ومركزها روما) من الحركة الصهيونية منذ بداية تأسيسها وأكّدَ على أنّ هذا الموقف يتمثّل في رفض كنيسة "روما" لإقامة الصهيونيّة لدولةٍ إسمها إسرائيل وعاصمتها القدس، وذكر الأستاذ السمّاك مقاطع من إعلان كنيسة "روما" الصادر عشية الأول من أيار لعام ١٨٩٧ والذي جاء فيه: (لقد مرَ ألف وثمانمئة وسبعة وعشرون سنة على تحقيق نبوءة المسيح، بأن القدس سوف تُدَمَّرُ.... أمَّا فيما يتعلق بإعادة بناء القدس بحيث تصبح مركزاً لدولةٍ إسرائيليةٍ يُعادُ تكوينها، فيتحتَّمُ علينا أن نُضيفَ أن ذلك يتناقضُ مع نبوئات المسيح نفسه الذي أخبرنا مسبقاً بأن القدس سوف تدوسها العامة "جنتيل" حتى نهاية زمن العامة (لوقا ٢١/٢٤)،أي حتى نهاية الزمن" [٢]

ثمّ دعم الاستاذ السّماك رأيه في تصنيف كنيسة "روما" كرافضةٍ لتهويد وصهينة المسيحيّة بذكرِ مقطعٍ من رسالة البابا "بيوس" العاشر الجوابيّة إلى "ثيودور هرتزل" مؤسِّس الحركة الصهيونية بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩٠٤ وكان ممّا جاء في هذه الرسالة قولُ البابا [لا نستطيع أبداً أن نتعاطف مع هذه الحركة ــ الصهيونية ــ نحن لا نستطيع أن نمنع اليهود من التوجُّه إلى القدس، ولكننا لا يمكن أبداً أن نُقِرَّهُ. إنّني بصفتي قيّماً على الكنيسة لا أستطيع أن أُجيبكَ بشكلٍ آخر. لم يعترفِ اليهودُ بسيدِّنا، ولذلك لا نستطيعُ أن نعترف بالشعب اليهودي، وبالتالي، فإذا جئتم إلى فلسطين وأقام شعبكم هناك، فإننا سنكون مُستعدّين كنائسَ ورُهباناً لتعميدكم جميعاً][٣]

وإنتّي مع إحترامي الشّديد لرأي الأستاذ السمّاك وتقديري لمجهوداته المفيدة جدّاً في هذا المجال ومؤّلفاته النافعة والتي أفدتُ منها أنا شخصياً لكنني أخالفه في مسألتين ممّا سبق ذكره وأوردُ عليهما الإعتراضين التاليين:

---

(1) الدكتور محمد السمّاك، [م. س] ص ١٦٥، ١٦٦.
(2) المرجع السابق نفسه ص ١٦٧.
(3) المرجع السابق نفسه ص ١٦٨.

الإعتراض الأول: تصنيفه لكنيسة "روما" ضمن الكنائس المعارضة لتهويد المسيحيّة. وهذا التصنيف يمكن أن يُعتَبرَ صحيحاً لغاية تشرين الأول من عام ١٩٦٥ حين أصدر البابا بولس السادس والمجمع المسكونيُّ الوثيقة التاريخية الأخطر في تاريخ الكاثوليكية ألا وهي تبرئة اليهود من دم المسيح وصلبه والمتضمّنة أن المسيح وُلدَ ــ من ناحية الجسد ــ في الشعب اليهودي وأنّ الكنيسة مدينةٌ للشعب اليهودي بسبب ذلك وأنّ المسيحيين قد تسلّموا تراثهم من الشعب اليهودي ... وممّا جاء في تلك الوثيقة (تنظرُ الكنيسة بإهتمامٍ أعظمَ إلى ما تكون عليه علاقاتها بالدِّيانات غير النصرانية. فهي نظراً لما تلتزم به في تقريرِ الوحدة والمحبّة بين الناس، بل وبين الأمم، تصرف جُلَّ إهتمامها هنا إلى ما هو مُشترَكٌ بين بني البشر، وما من شأنه أن يمهد للتعايش... ــ إلى أن تقول ــ ومع أن الكنيسة هي شعبُ الله الجديد، فيجب ألاّ يُشَهَّرَ باليهود بحجةِ الإستناذ إلى الكنيسة المقدسة بأنهم عند الله ملعونون... ــ وجاء في الخاتمة ــ إنّ هذا المجمع المقدّس يناشدُ النَّصارى أخيراً مناشدةً حارّةً أن يسلكوا بين الأمم مسلكاً حميداً. وأن يساعدوا جميع الناس ما أمكنهم ذلك، وما استطاعوا إليه سبيلاً...)[١] ولم يُصدِر البابا الوثيقة بقرارٍ فرديٍّ منه بل جرى عليها تصويت، كان خاصاً بالديانات غير المسيحية، (فأقرَّ البيانُ في مجموعه بأغلبية ١٧٦٣ صوتاً مقابل ٢٥٠، وقد جرى التصويت على القرار فقرةً فقرةً. وهذه هي النتائج الخاصة بالجزء المتعلق باليهود. **وأقر المجمع بأغلبية ١٩٣٧ صوتاً مقابل ١٥٣ المقدِّمة الخاصَّةَ بالديانة اليهودية، التي صرَّحت بأنه يوجد وِثاقٌ روحيٌ بين المسيحيين واليهود ودعت إلى الحوار الأخوي فيما بينهم. وأقرَّ المجمعُ الفقرة التي تنفي المسؤولية الجماعيَّة لصلب المسيح عن اليهود، بأغلبية ١٨٧٥ صوتاً مقابل** ١٨٨).[٢] وفي الرابع والعشرين من حزيران ١٩٨٥م صدرت وثيقةٌ رسميّةٌ عن لجنة الفاتيكان للعلاقات الدينية مع اليهودية برّأت اليهودَ في الأجيال كلّها من دم المسيح عليه السلام؛ (**وقد تضمَّن النصُّ الحرفيُّ للوثيقة**، كما نشرته صحيفة "أوبسيرفاتوري ــ رومانو" لسان حال الفاتيكان في عددها الصادر بتاريخ الخامس والعشرين من حزيران ١٩٨٥م **تعليماتٍ مشدّدةً لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرّخين والمدّرسين وقطاعاتِ الكنيسة الكاثوليكية كافةً بشأن التعامل مع اليهود، وتلاوةِ الصّلوات النّصرانيةِ من الطَّقس الكاثوليكي**

---

[1] أنيس القاسم، نحن والفاتيكان وإسرائيل، ص ٧٣، ٧٤، ٧٥، بتصُّرف ط ١٩٦٦ من منشورات مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بيروت لبنان.

[2] المرجع السابق نفسه ص ٧٤، ٧٥، بتصرف واختصار.

بشكلٍ يضمنُ عدمَ التعرُّض لهم، وذلك في محاولة لقطع جذور مظاهر معاداة الساميّة بين النصارى! ومهدت لها بالقول: (إنَّ الكنيسة التي ترفضُ إضطهاد الإنسان؛ وتدركُ التّراث المشتركَ مع اليهود، والتي لا تُحرّكُها أسبابٌ سياسيةٌ وإنما المحبّةُ الروحيةُ للأناجيل، تندّدُ بالكراهية والعداء للسامية مع اليهود، وتستنكر إضطهادهم في جميع الأوقات، وفي أي مكان ...)[١]

ولعلّ واقعنا المعاصر أكبرُ تصديقٍ لِصِحَةِ هذا الكلام وللتعبير عن إرتماء كنسية روما في أحضان النفوذ اليهودي وحرصها على عدم إستثارة غضب الكيان الصهيوني مهما كانت الأسباب.

الإعتراض الثاني: تصنيفُ الأستاذُ السمّاك للكنيسة المنهجيّة (الميثوديّة) ضمن الكنائس الإنجيليّة المتُعاطفة مع خطّ (مجلس الكنائس الوطني) والمعارضة لِصَهينة المسيحيّة؛ فهذا التصنيف لا يمكن أن يكون صحيحاً، وكيف يكون كذلك ونحن نرى ما يقدّمهُ الرئيس الأمريكي "جورج بوش" مِن دعم مطلقٍ للصهيونيةِ والدولة العبريّة[٢] وهو الرئيس الأبرز في التاريخ الأمريكي الذي ينتمي إلى طائفة (الميثوديست) هو وزوجته (لورا) التي تزّوجها عام ١٩٧٧ وكانت من أتباع هذه الطائفة. وأفكار ومعتقدات الطائفة المثيودية، وهي من التدبيريين المؤمنين بمذهب ما قبل الألفيّة، مشهورةٌ معلومةٌ (وقد إستطاع القِس الإنجيلي المتطرّف "بيلي جراهام"، وهو من أشد المدافعين عن المسيحية الصهيونية، إقناع جورج بوش بالإنضمام لهذه الطائفة وقد سار بوش مع هذه الطائفة حتى صار أحد أعمدتها الأساسية، بل إن نجاح بوش في حياته السياسية بعد ذلك توقّف على هذه الطائفة التي تُشَكِّلُ خليطاً من الصّهيونية والمسيحيّة وتشير المعلومات إلى أن بوش تدرَّج في المراتب الدينيّة لهذه الطائفة حتى وصلَ إلى مرتبةٍ عاليةٍ يُطْلَقُ عليها "المعلّم"، ومنْ يحصل على هذه المرتبة لابد وأنْ يكون قد درسَ بإستفاضةٍ متناهيةٍ مبادئ "الميثوديست" وبدأ يطّبقها ويدعو إليها عمليّاً.وقد نجح بوش في إجتذاب مئات الشباب للإنضمام إلى الميثوديست، وكذلك برع في قدرته على إقناع الآخرين بهذه الأفكار. [٣] وكان بوش دائمَ الترددُّدِ على إسرائيل لأن "الميثوديست" تعتبرُ أنَّ أرضَ إسرائيل هي البقعة المبارَكة في هذا العالم، وأنّ المسيحيّة الحقّة جاءت لتقُيمَ التحالف الروحيّ لإنقاذ العالم من خلال الإعتماد على التّوراة التي تُمثّلُ قيمةً دينيةً عُليا، وأنَّ العالَم لابدّ وأنْ يبُعثَ على أساسٍ من

---

(1) الاستاذ إسماعيل الكيلاني، الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص ١٦٤.

(2) للتوسّع في هذا الموضوع راجع كتاب "ستيفن مانسفيلد" (عقيدة جورج دبليو بوش) ط١، ٢٠٠٤ من منشورات جا. بي تارشر، أمريكا.

(3) راجع دراسة الأستاذ مصطفى بكري عن الرئيس المبشّر وطائفة الميثوديست ص ٢ المنشورة على الإنترنت على موقع islam way وكتاب الاستاذ إميل أمين [م. س] ص ٢١٤ بتصّرف.

التّوراة والإنجيل الحقّ، **ولهذا فإنّ "بوش" عندما يقرأ كُلَّ يوم في كتابه المقدَّس فهو لا يقرأ الإنجيلَ المتداول بين المسيحيين، وإنّما يقرأ الكتاب المقدَّسَ للميثوديست الذي يجمعُ بين التوراة والإنجيل في مزيجٍ مشتركٍ، حتى إنَّ صلواته التي يؤديّها كل يوم وبإنتظام تعبِّرُ عن فكر الميثوديست والتحّالف الصهيونيّ المسيحيّ، ولا تعُبِّرُ عن المسيحيّة المعروفة في الشرق أو "الفاتيكان")** [١]

ثالثاً: موقف الكنيسة الأرثوذكسيّة من المسيحيّة الصهيونية ونبوءاتها

إنّ الكنائس الأرثوذكسيّة في الشرق كلّه، وبالذات في منطقة الشرق الأوسط، على إختلاف مذاهبها وتيّاراتها ترى في الكثير من معتقدات المسيحية الصهيونية وبالذات (النبوءات) خطراً حقيقيّاً يهدّد (الهوية المسيحيّة) ويُفقدها جوهرها ويَجعلها تابعاً آخر من أتباع الصهيونية العالمية ولا أبالغ إذا قلتُ: إنّ مجلس كنائس الشرق الأوسط يكاد يكون الناطق الرسميّ الأبرز المعبِّر والناطق بإسم مسيحيي الشرق الأوسط الذين (يزيدُ عددهم على الإثني عشر مليون وهم في سوادهم الأعظم ينتمون إلى الكنائس الشرقيّة والأرثوذكسيّة القديمة)[٢].

(تأسَّس هذا المجلس في أيار عام ١٩٧٤، من الكنائس الآرثوذكسية والإنجيلية في منطقة الشرق الأوسط، ثم إنضمت إليه في عام ١٩٩٠ الكنائس الكاثوليكية في المنطقة. ولهذا المجلس أربعة رؤساء، إثنان منهم عن الأرثوذكس (عائلة الروم الأرثوذكس، وعائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية)، والثالث عن الإنجيليين والأسقفيين، والرابع عن الكاثوليك. وقداسة البابا شنودة الثالث هو أحد الرؤساء الحاليين لهذا المجلس).[٣] لقد أصدر المجلس بيانا ضد الجماعات الإنجيلية المتطرِّفة [المسيحيّة الصهيونيّة] نُشِرَ في عام ١٩٨٦ باللغة الإنجليزية بعنوان: What is Western Fundamentalist Christian Zionism تُرجِمَ إلى اللغة العربية في عام ١٩٩١، وتمَّ توزيعه على نطاق واسع. وقد أثار التقرير ردودَ فعلٍ واسعةً من جانب المُفكّرين والكُتّاب الصحفيين المصريين والعرب وممّا جاء في هذا البيان (إنّ التعاظمَ المفاجئ في نشاط الحركات الإنجيلية الغربيّة وعددها، وفي نشاط المراسلين العاملين في الشرق الأوسط، هو مسألة تهمّ كنائس المنطقة ومجلس كنائس الشرق الأوسط، ففيما نجهد لإستعادة وِحدتنا في المسيح، تعترينا مخاوفُ من أنَّ بعض هذه المجموعات تُحدِثُ أثراً إنقساميّاً؛ فبعضها لا يعترفُ للكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها

---

(1) راجع مقالة الأستاذ مصطفى بكري (م. س)، ص ٢.

(2) الاستاذ سعد رستم، [م. س] ص ٣٤٠.

(3) الاستاذ أديب نجيب، موقف اليمين المسيحي والكنائس الأمريكيّة من قضايا الشرق الأوسط، ص ١٤ ضمن سلسلة كراسات استراتيجية الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسيّة والاستراتيجيّة، السنة الثالثة عشر العدد رقم ١٢٢.

وشهادتها ورسالتها الخاصّة، وبعضها الآخر يصرُّ على "زرع" رؤيةٍ لاهوتيّةٍ غريبةٍ على ثقافتنا. بل إنَّ إختلاط المفاهيم أحدث قلقاً، وبخاصّةٍ بين الإنجيليين والأسقفيين من أعضاء مجموعة كنائس المجلس، الذين نجحوا في أداء شهادةٍ أصليةٍ وملائمة ثقافياً". "وفيما يجنح الكثير من المجموعات (الإنجيلية) الجديدة جنوحاً قوياً إلى تكرار هذه الأخطاء، **لابدَّ مِن أن نُضيفَ أنَّ بعضَ هذه الحركات تتميزُ بسماتٍ جديدةٍ وفريدةٍ تُنذِرُ بنسف الشهادة المسيحية، لا في الشرق الأوسط فقط، بل في مواطن هذه الحركات أيضاً، وهذا يُلقي على كاهل كنائس تلك البلاد مسؤولياتٍ معّينةً، بخاصّةٍ في الولايات المتحدة حيث نشأت هذه الحركات**".[١]

وقد حظي هذا البيان بدعمٍ وتأييدٍ عظيمين من أبناء المنطقة من المسيحيين على إختلاف طوائفهم وبعد ذلك ألّفَ المجلسُ فريقَ عملٍ خاصّاً "بالصهيونية المسيحية"، وأصدر في العام "١٩٨٨" كُتيّباً باللغة الإنكليزية يُعَرِّفُ بهذا التيّار ويُفَنِّدُ مزاعمه ويفضحُ أطروحاته ويُدين أهدافه المشبوهة. ولقد صدرت ترجمة هذا الكتيب إلى العربية في العام ١٩٩١م.

ولم يكتف المجلس بما سبق إصداره من بيانات بل إنّ أعضاءه وأُمناءه العاميّن وأمناءه العامينّ المساعدين إستمروا إلى يومنا هذا في تفنيد مزاعم المسيحيّة الصهيونية ونبؤاتها والردّ عليها في كل مناسبةٍ يُتاحُ لهم ذلك فيها، وفي مواقعهم على شبكة "الإنترنت" وفي كتبهم ومؤلّفاتهم الخاصّة وقد تجلّت هذه المواقفُ في الهجوم العنيف الذي شنّه أبناء الطائفتين الأرثوذكسية والقبطيّة على مقررات وبيانات منظمة (السّفارة المسيحيّة) الذي عقدته في عام ١٩٨٥ وكذلك المؤتمر الصهيوني المسيحي العالمّي الثاني الذي عُقدَ في القدس في الفترة الممتدة من العاشر إلى الخامس عشر من شهر نيسان ١٩٨٨.

وقد أكَّدَ "سمير مرقص" ــ الأمين العام المساعد لمجلس كنائس الشرق الأوسط ــ أن التحُركات التي تقوم بها السّفارةُ المسيحية (وهي تجمُّعٌ من الإنجيليين يؤيدون هدم الأقصى وبناء هيكل اليهود) في القدس لدعم الدولة العبرية تصرفاتٌ مرفوضةٌ تماماً مِن كلِّ مسيحيي الشرق.

وقال "مرقص" في تصريحات لــ (إسلام أون لاين)[٢] [إنّ مجلس كنائس الشرق الأوسط ملتزمٌ بالمصلحة العربية والحقوق العربية فيما يتعلق بقضية القدس، وإنه ضدّ أيّ محاولةٍ سياسيةٍ أو

---

[1] صدر هذا البيان عن اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط في ليما سول بقبرص بتاريخ ١٦ ــ ١٨ نيسان ١٩٨٦ وقد أورد نصّه الدكتور محمد السماك [م. س]، ص ١٧٩، ١٨٠ والاستاذ سعد رستم [م. س]، ص ٣٤٠، ٣٤١.

[2] تقرير الاستاذ قطب العربي على موقع (Islam on line) المنشور بتاريخ الثلاثاء ٣١ أكتوبر ٢٠٠٠م.

دينيّةٍ أو ضغوطٍ أو تحالفاتٍ من خارج المنطقة لتبرير الإحتلال الإسرائيلي للقدس والأرض المحتلة أو الإعتداءات المتكرّرة ضد الفلسطينيين أو تقديم أي دعم لدولة الاحتلال الصهيونية].

وقال: [إن السفارة المسيحية في القدس هي مجرَّدُ تجمُّعٍ لبعض الأشخاص أصحاب القناعات الدينيّة الخاطئة حول مفهوم المُلك الألفي، والمجيء الثاني للسيد المسيح، وإنهم يؤمنون أنَّ عودة المسيح لن تتم إلاّ بعد إنتصار دولة إسرائيل. ومن هنا، فإنهم يدعمون هذه الدولة المحتلة، مشيراً إلى أن هذه السفارة لها تاريخ طويل في خدمة المشروع العبري والتوراتي مع إعطائه صبغةً مسيحيةً وهذا مرفوض منا تماماً].[١]

وأوضح "مرقص" أنّ مجلس كنائس الشرق الأوسط ومسيحيي الشرق عموماً لهم موقفٌ مُعادٍ لإعادة صبغ المسيحية بالمفاهيم التوراتية العبرانية؛ لأن المسيحية لها رؤيتها المختلفة عن الرؤية العبرانية.

وكانت الكنيسة الأرثوذكسية في القدس والأراضي المقدسة قد ندّدت بالنشاطات المشبوهة التي تقوم بها ما تسمى بالسّفارة المسيحيّة الصهيونية في القدس، بعد أن أعلنت بعضُ الصحف العبرية عن أخبارٍ مفادُها أنّ مسيحيين من الولايات المتحدة يتوافدون على إسرائيل لتقديم الدعم المادي والسياسي لإسرائيل في أزمتها الحالية.

وقال عطا الله حنا ــ الناطق الرسمي بإسم الكنيسة الأرثوذكسية ــ في تصريح بثّته وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا" [إنَّ هذه السّفارة لا تعترفُ بها أيّةُ كنيسةٍ من الكنائس المحليّة ولا تتعاون معها، بل إنَّ الكنائس أصدرت مراراً وتكراراً بياناتٍ تندّدُ بهذه السفارة المشبوهة وما تقوم به من دعم للاحتلال الإسرائيلي، وهي تسيءُ للعقيدة المسيحية وتشوهها وتحرِّفُ تعاليم الكتاب المقدس "الإنجيل" ... إن هذه المجموعات ليست مسيحية على الإطلاق ولا تنتمي لأية كنيسة رسمية، بل هي بدع وجماعات محورة للديانة المسيحية ومنتحلة الصفة المسيحية بدون حق؛ إذ إنهم أقرب إلى الصهيونية من أي شيء آخر].[٢]

وأختمُ الحديث عن موقف الكنائس الأرثوذكسية من المسيحية الصهيونية بالإشارة إلى الموقف الواضح والعلني ضدّ الصهيونية المسيحية الذي صدر عن السيد "غبريال حبيب" الأمين العام للجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط، الذي أدانَ فيه "سوء إستخدام الكتاب المقدّس

---

[1] المرجع السابق نفسه.
[2] المرجع السابق نفسه.

وإثارة المشاعر في محاولةٍ لتبرير خلق دولةٍ ما [إسرائيل] ولتشريع سياساتِ حكومةٍ ما [الحكومة الإسرائيلية]. [١]

وقد أرفق "حبيب" هذا الموقف بدراسةٍ "لاهوتية" تاريخيةٍ تُسفّهُ الصهيونيّة المسيحيّة وتؤكّد على إعتبارها خَطَراً على المسيحية، وتدعو الدراسة: كنائس الشرق الأوسط إلى تذكير المسيحيين في العالم بإستمرارٍ إلى أنهّم يرفضون "الأيديولوجية" والأهداف السياسية للإتجاه الصهيوني المسيحي"، كما تدعو القيادات الكَنَسية إلى إصدار البيانات التي تندّدُ بهذا الإتجاه وإلى توعيةٍ مستمرةٍ ودائمة في إطار الثقافة الكنسية. كما تذكر هذه الدراسة أنْ "**ليس للمسيحية أيَّ علاقةٍ بهذه الخزعبلات [نظرية هرمجيدون] وذلك بالرغم من أنها [المسيحية] تعرضت للإغراء مراراً حتى تعرّف عن نفسها على أساس هذه أو تلك من الخزعبلات**".[٢]

رابعاً: موقف الكنيسة القبطيّة "وهي جزء من الكنيسة الآرثوذكسية" من المسيحيّة الصهيونية ونبوءاتها

أكَّد البابا "شنودة" الثالثُ، بابا الإسكندرية وبطريرك الكّرازة المرقسية، أنّ مَا يُطلقُ عليه "المسيحيّة الصهيوّنية" هو بدعةٌ أمريكية لا وجود لها في العالم العربيّ، مُشيراً إلى أنّ هذا التعبير مرفوضٌ من جانب كلِّ الطوائف المسيحيّة الرسمية المعروفة في كلِّ أنحاء العالم. وأكّد "شنودة" أنّ هذا التعبير يُعُّد إفرازاً شاذاً لمناخٍ سائدٍ في الولايات المتحدة، حيثُ يتاح لأيّة جماعةٍ مُتطرفةٍ أن تؤسِّسَ مذهباً دينياً، ممّا أدّى إلى ظهورِ تياراتٍ سياسيةٍ مُتَسترّةٍ بالدّين وتَخْرج عنه وتنتهجُ سياساتٍ مرفوضةً. وأضافَ (إنّ المسيحية عموماً تحضُّ على السّلام والمحبّة وترفض أساليبَ القهر والإحتلال وإغتصاب الحقوق وتصفية المُعارضين، وهي مبادئُ أساسيّةٌ في الصهيونية العالمية، كما أنّ المسيحيّة الشّرقية، على وجهِ التحديد، إلتزمتْ بالقضايا الوطنيّة للشعوب العربية وخاضتْ نضالاً مُشتركَاً إلى جانب المُسلمين في العالم العربّي نحو تحقيق الإستقلال وصون الأرض والعِرض. **وأوضح أنَّ مِن عقائد تلك المذاهب المتُطرقة تقديسَ السّبت والإعتقادَ بأنّ مجيء المسيح مرتبطٌ بتجمُّع اليهود مرة ثانية في إسرائيل وهي كلها عقائدُ صهيونيةٌ بالأساس).**[٣]

---

(1) صدر البيان في ليماسول ـ قبرص في نيسان ١٩٨٨، وحمل توقيع الأسقف الدكتور دونالد واغنر Donald E. Wagner، بالتعاون مع الهيئة المختصة بدراسة المسيحية الصهيونية في مجلس كنائس الشرق الأوسط، راجع كتاب الاستاذ محمد السمّاك [م. س] ص ١٨١بتصرف.

(2) الدكتور محمد السّماك، [م. س] ص ١٨١ بتصرُّف.

(3) الاستاذ أديب نجيب، [م. س] ص ١٣ بتصرف.

وفي معرض ردّه على مقولات المسيحيين الصّهاينة حول خطّة الله للكون ولنهاية الزمان وما يتعلّق بذلك من النبّؤات قال البابا شنودة [إنَّ اليهود اليومَ ليسوا شعبَ الله المختار حالياً، وإلاّ فماذا عن بقيةِ الشّعوب؟؟ **كلُّ هذه تعابيرُ غيرُ موجودة في المسيحية ... هناك جماعاتٌ إنبثقتْ من البروتستانتيّة وأصبحَ لها خطورتُها، وهم جماعةُ شهودِ يهوه، ليسوا مسيحيين حتى من إسمهم، ولا أدلَّ على ذلك مِن أنّهم يستخدمون إسم "يهوه" الذي كان مُستخدَماً في العهد القديم، كما أنهم لا يقولون إنّهم مسيحيون ... والسبتيوّن والمجيئيون أيضاً قالوا بمجيء المسيح، وهؤلاء جميعاً لهم أفكارٌ يهودية. البروتستانت يؤمنون بأن المسيح سيأتي إلى الأرض ويسكنُ ألفَ سنةٍ وتكون سنواتِ سلامٍ. ونحن لا نؤمنُ بشيءٍ من هذا ونردُّ عليه ولا نعتبره مَسيحياً لأنَّ المسيح في كلامه قال: "مملكتي ليست من هذا العالم" وكان يدعو إلى ملكوتٍ روحيّ وليس إلى ملكوتٍ أرضي ... كل هذه التعاليم لا علاقة لها بالكتاب المقدس".**[1]

وخلص البابا "شنوده" إلى القول: "لا يوجد شيء في المسيحية عن عودة اليهود إلى القدس، بل إن السيد المسيح قال لهم هوذا بيتكم يُترَكُ لكم خَراباً ولقد تفرقوا في جهات العالم كلها من سنة ٧٠ ميلادية حينما تحطّمت أورشليم والهيكل بواسطة القائد الروماني تيطس".[2]

يُستفاد ممّا سبق أنّ السّواد الأعظم من أبناء الطوائف المسيحيّة يعارض التوجُّه المُتَصَهْينَ الذي تتبناه "البروتستانتيّة". وهذه المعارضة واضحةٌ تماماً عند مسيحييّ الشّرق الأوسط بشكلٍ خاصٍ ولعلَّ المواقف والبيانات التي سبقَ عرضُها تؤكدُ هذا الموقفَ المعارِضَ تمام التأكيد، والسؤال المهمُّ الذي يطرح نفسَه الآن هو إنْ كان المسيحيّون الصّهاينة يستندون في مواقفهم وتفسير نبؤاتهم إلى نُصوص الكتاب المقدّس، فما هي النصُّوص التي يستندُ إليها هؤلاء المعارِضُون للتصهيُن؟؟ وعلى أيِّ وجهٍ يفهمون النبؤات السابقة؟؟

---

(1) الدكتور فؤاد شعبان [م. س] ص ٣٢٠.
(2) المرجع السابق نفسه ص ٣٢٠.

مناقشة نبوءات المسيحية الصهيونية والرد عليها [*]

إنّ اليهود يعتقدون بأنّ الوعد بأرض فلسطين أُعطيَ لليهود وحدهم دون بقيّة البشر، ولكن ليس هذا هو ما يقوله الكتاب المقدس، فكلمة "لنَسْلِك" تتضمّن حتماً العرب "مسلمين ونصارى" الذين يدّعون الإنحدار من "إبراهيم" عبرَ ولدهِ "إسماعيل" الذي كان معروفاً بأبوّته لعدد كبير من القبائل العربيّة. **ومما تجدرُ الإشارة إليه هو أنّه عندما أقام إبراهيمُ عهداً مع الله بواسطة "الختّان" فُوعِدَ بجميع أرض كنعان "مُلكاً أبدياً" كان إسماعيلُ هو الذي جرى ختنهُ لأنَّ إسحاق لم يكن قد وُلِدَ بعد**... صحيحٌ أنّ عبارة "نسل إبراهيم" قد أصبحت، منذ ميلاد إسحق، تعبِّرُ عن المنَحدرين من إسحاق، إشارةً إلى الإسرائيليين ولكنّها،ومنذ البداية، لم تكن كذلك؛ إذ أنّ المنُحدِرين من إسماعيلَ أيضاً لهم كلُّ الحق في أن يُدْعَوْا من نسل إبراهيم، وأن يُطلِقوا هذه التسمية على أنفسهم ... وأما فيما يتعلّقُ بمسألة ما إذا كان "الوعد" أبدياً ولا يمكن نسخة، فإنّهُ لم يُقَطَع إطلاقاً، أيُّ وعدٍ غيرِ مشروطٍ بأنّ التملكَ سيكون أبدياً (هذا مع أن المقصود كان فترة طويلة غير محددة). وحتّى لو لم تكن لدينا رسالاتٌ نبويةٌ تهدينا إلى الصواب في هذا الأمر، لكان من الواضح مع ذلك، بأنّ **هذه الوعود بتملُّك أرض كنعان لم تكُنْ وعوداً غيرَ مشروطة؛ فالعهُد بين الله وبني إسرائيل كان يستوجبُ ولاءَ الشّعب وإستقامة الفرد والجماعة وأما إذا لم يلتزمْ الشعب بذلك، فإن مصيراً رهيباً كان في إنتظاره.**

إنه من الواضح أنَّ الوعود الإلهية إلى أولئك الأنبياء قد أُلغيتْ بسببِ ردّة الأمّة عن الدّين، وعندما أجلىَ السبيُ "الآشوري" السكّانَ عن "السامرة"، والسبيُ البابليُ الشَّعب عن يهودا، رأى الأنبياءُ في هذه المصائب تنفيذاً للعدل الإلهي في حق شعبٍ عاصٍ جاحدٍ. ولكنّهم قالوا لشعبهم إنَّ بقية ستعود ... وفعلاً عاد اليهودُ إلى يهودا، وأعادوا بناء أسوار القدس وأعادوا بناء الهيكل، وبعد حظوظٍ متقلّبةٍ، إستطاعوا تأمينَ فترةٍ وجيزة من الإستقلال السياسيّ والتوسُّع تحت حُكم المكّابيين. وعلى ذلك، فقد تحققت فعلاً نبوءاتُ العودة، ولا يمكن لها أنْ تتحقّقَ ثانيةً؛ ففي مُجمَل الكتابات

---

[*] إن الردود التفصيلية الآتية إنمّا تمثّلُ خلاصة ما كتبه في هذا الموضوع كلٌّ من الأب "قسطنطين قرمش" الراعي الروحي لأرثوذكس الأردن في سلسلة مقالاته في شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من عام ١٩٩١ في جريدة الدستورة بعنوان (هلم نتناظر يا سيد شامير) و(لا يا شامير ....) والمتنيح الأنبا يوحنّا كابس، المعاون البطريركي السابق للأقباط في بحثه (كيان إسرائيل غير القانوني تاريخياً) والأب متّى المسكين في كتابه (تاريخ إسرائيل) والمتنيح الأنبا غريغوريوس في كتابه (إسرائيل في الميزان من منظار مسيحي) وما نقله الاستاذ إسماعيل الكيلاني في كتابه (الخلفية التوراتيّة للموقف الأمريكي ص ٦٩ -٧٣ عن كتاب الأستاذ سامي هدّاوي الجهاد المرّ: فلسطين بين عامي ١٩١٤ و١٩٧٩) ص ٣٦ – ٥٢ والذي نقل بدوره هذه الردود التفصيلية عن الدكتور Alfred Guillaume أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة لندن والدكتور William H. Stinespring أستاذ دراسات العهد الجديد والدراسات الساميّة في جامعة ديوك بولاية نورث كارولينا والذي هو في الوقت نفسه كاهن في الكنيسة المشيخيّة وأخيراً فإن آخر مصدرٍ أخذت منه هذه الردود هي محاضرة الحاخام آلمربرجر "النبوّة والصهيونية ودولة إسرائيل" وهي محاضرة ألقيت في جامعة "ليدن" بهولندا في ٢٠ آذار ١٩٦٨ ونقلها "روجيه غارودي" في كتابه الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص ٤٠ – ٤٢.

المعترف بها دينيّاً، والمتُعلّقة بالعهد القديم، ليس **ثمّة أيّة نبوءةٍ عن عودةٍ ثانيةٍ بعد الرجوع من المنفى البابلي، وذلك** للأسباب الثلاثة التالية:

أولاً: لأنّه بعد النفي، رجع جميعُ اليهود الراغبين في العودة إلى البلاد المقدّسة، علماً بأن أعداداً أكبر من هؤلاء بكثيرٍ قد فضَّلتْ البقاءَ حيثُ كانت، وشكّلت ما يُعرفُ بإسم "يهود الشتات" الذين غدوا فيما بعد العمودَ الفقريَّ للكنيسة المسيحيّة.

ثانياً: ولأن آخر أنبيائهم قد تُوفّيَ قبل قرونٍ من تدمير القدس عام ٧٠ للميلاد.

ثالثاً: ثم إن التاريخ يشهد بأن اليهود الحاليين لا علاقة لهم بسُلالةِ العبرانيين، وأنهّم إذا كَوّنوا في وقتٍ مِن الأوقات أمّةً حقيقيةً، فهذا الوقت كان وجيزاً جداً وقد إضمحلّتْ هذه الأمةُ واختفت تماما؛ فمدةُ مُلكِ "داود" ومُلك "سليمان" لم تدم إلا ثمانيةً وسبعين عاماً، وحتّى مملكتا "يهوذا" و"إسرائيل" اللتان أُسِّستَا على أنقاض المملكة الموحَّدة، لم تلعبا في تاريخ اليهودية إلا دوراً محدوداً وثانويّاً، لذا فإن مملكة إسرائيل قد تلاشت في الإمبراطورية الآشورية، وسقطت مملكة يهوذا في أيدي الفرس، ولم تبقَ ذكرى لهاتين المَملكتين في التاريخ السّياسي والاجتماعي ولكنْ فقط ذكرى دينيّةٌ عابرةٌ.

وإذا ألقينا نظرةً على اليهود الذين نزحوا من البلاد المُختَلِفة وإستوطنوا في فلسطين، نجزم أنهم ليسوا من سلالة العبرانيين القدماء بل هم من اليهود الخزر الذين سكنوا الأراضي المقدسة، فإنه قد حدثَ أن إنضمَّ عددٌ كبيرٌ في أوروبا إلى اليهود في القرون الوسطى وفي عهد الأتراك الذين سادوا على روسيا الجنوبية الشرقية، لقد إنضمَّ عددٌ كبيرٌ إلى اليهوديّة وعلى رأسهم الملك "بولان" في سنة ٧٤٠ ميلادية، وفي القرن الثامن عشر إنضمَّ عددٌ كبيرٌ إلى اليهودية تحت تأثير اليهود البيزنطيين، وكَثُرَ عددُ المنضمّين في القوقاز، وإنتشروا في أوروبا الوسطى وفي "بروسيا" و"بولندا" و"روسيا"، وهاجرَ عددٌ كبيرٌ منهم إلى الولايات المتحدة، ثمَّ بعد أعوام طويلةٍ "نزحت" سلالتهم إلى "إسرائيل اليوم"، كما لا ننسى أنّه لا يوجدُ يهودٌ صُفر وسودٌ وأحباش أشكيناز وسفارديم، فهل يمكن بعد هذا أن يُعتبرَ اليهودُ أمّةً حقيقيّةً؟ بينما الخلافُ واضحٌ في الجِنس واللّغة والأصل والتقاليد وحتى في المعتَقَد!!!.

ولعلَّ التساؤل الذي يثيرُ جماعةَ اللاّهوتيين هو: هل من العدل الإلهي والحق الإنساني إبدالُ شعبٍ يملكُ أرضاً إستوطنَ فيها منذ آلاف السنين، ويُطردُ منها ويُلقى في العرَاء في

الصحراء لتحلَّ محلّهُ جماعاتٌ غريبةٌ من أجناسٍ ولغاتٍ مختلفةٍ وتقاليدَ باليةٍ مُتباينةٍ لا يربطهم إلاّ إسمُ اليهودية؟

فضلاً عن أنّ التّرجمة للكلمة العبرية في التوراة "أبديّاً" في التّرجمات المختلِفة غيرُ دقيقةٍ، لأنَّ المعنى الصحيح لهذه الكلمة في أصلها العبري "حينٌ مِن الدّهر أو فترةٌ من الزمن" فالنبوءات التي وردت في التّوراة ليست أبديةً، بل مشروطةٌ بفترةٍ معيّنةٍ، وقد تمّتْ جميعاً قبل مجئ السيد المسيح.

فالعودةُ تحققت في العهد القديم، أيْ قبلَ الميلاد وليسَ من طبيعة النبوّة أن تتحقّق مرةً أخرى، كما لا تشيرُ جميعُ أسفارِ العهد القديم إلى نبوءةٍ تقولُ بعودةٍ ثانية.

وأخيراً فانّه لا يوجد أساس في العهد الجديد أو في القديم يستندُ إليه إدّعاءُ الصّهاينة بأنّ إقامةِ دولةٍ يهوديةٍ جديدةٍ في فلسطين هو أمرٌ مطلوبٌ أو له ما يُبرِّرُهُ في الكتاب المقدّس أو في نبوءاته. فالوعود الواردة في نبوءات هذه الكتاب تنطبق على البشر كافةً، وليس على اليهود أو الصّهاينة فحسب. ثم إنّ عباراتٍ مثل: "النصر" و"الخلاص" تفيد، في معناها الصّحيح الوارد في الكتاب المقدس، الإنجازاتِ الدّينية والروحية، ولا تفيدُ الغزو والإحتلال، أو إذلالَ الأعداء السياسيين. كما أن عباراتٍ مثل "إسرائيل" و"إسرائيل الحديثة" و"إسرائيل الله" على وجه الخصوص، تنطبقُ، حسبما وردتْ في العهد الجديد، على الكنيسةِ المسيحيّةِ المثاليّةِ، أو على أية جماعةٍ من المؤمنينَ حقّاً، وذلك بالمعنى الدِّيني للإيمان.

إنَّ الدّليلَ لقاطعٌ على أنّه ما من مسيحيٍّ حقيقيٍّ مؤمنٍ بالعهدِ الجديد، بقادرٍ على أن يخلطَ بين "إسرائيل الحديثة"، التي ظهرتْ إلى حّيزِ الوجود نتيجةً للمكائد السّياسّية والقوّة العسكريّة المصحوبةِ بحرمان سكّان البلاد حرماناً لا رحمة فيه. وبين "إسرائيل الله" بحسب مفهومها في العقيدة المسيحية.

إنّ دولة إسرائيل الأولى التي ذكرها الكتاب المقدّس كانت دولةً غير زمانيةٍ، بل قصدهَا اللهُ أن تكون دولةً روحانيّةً، ولم تقُمْ بالقوة البشرية حتى تنهارَ وتسقطَ بالقوة البشرية، **إسرائيلُ الأولى أقامها الله بنفسه، والله هو الذي أسقطها بنفسه، وكان تحذيرُ الله لإسرائيل مستمرّاً بأنّها إذا زاغتْ من تحتِ تدبيره فهو حتماً مُزْمِعٌ أن يرفُضَها ويتخلّى عنها، وذلك واضحٌ كل الوضوح، وقد جاء هذا التحذيرُ مبكّراً جدّاً في نفسِ وقتِ بدايةِ إقامةِ العهد معهم على يد نبي الله موسى،** حين قال الله لهم ولموسى "أنظر قد جعلتُ اليومَ أمامك الحياة والخير والموت والشر بما أنّي أوصيتُكَ

اليومَ أنْ تُحِبَّ الرب إلهكَ وتسلكَ في طُرُقهِ وتحفظَ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنموَ ويباركَكَ الربُّ إلهك في الأرض التي أنتَ داخلٌ إليها لكي تمتَلِكَها، فإنْ إنصرفَ قلبُك ولم تسمع، بل غويتَ وسجدتَ لآلهةٍ أخرى وعبدتَها، فإنّي أنبِّئكم اليومَ أنكم لا محالة تهلِكون ولا تطولُ أيامُكُم على الأرض التي أنتَ عابرٌ الأردنَ لكي تدخُلَها وتمتلكها، أُشهِدُ عليكم اليومَ السماءَ والأرضَ قد جعلتُ قُدَّامكَ الحياةَ والموتَ والبركة واللّعنة" (سفر التثنية ٣٠: ١٥ – ١٩) وقد تكرر تحذيرُ الله لهم في جميع المناسبات وعلى فم جميع الأنبياء معلناً لهم أنهّ مُزمِعٌ أن يرفضَهم ويسلّمَهم لأعدائهم ويتخلّى عنهم بسبب فساد حياتهم الداخليّة، وتعّديهم على جميع النواميس الأدبيّة والأخلاقيّة التي سلّمها لهم علاوةً على عبادتهم للأصنام.

إنه من غير المقبول من أيِّ إنسانٍ الإدّعاءُ بأنّ إنشاء دولة إسرائيل حاليّاً هو تحقُيقٌ لنبوءةٍ توراتيّةٍ، ومن ثمّ فإنَّ كلَّ الأفعال التي قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب. إنَّ السياسة الحاليّة لإسرائيل قد حَطّمْت أو على الأقل قد طمِسَتْ المعنى الروحاني لإسرائيل.

توضح تقاليد النبوءات بجلاءٍ أنّ قداسة الأرض لا تتوقفُ على تُربتها، ولا على شعبها، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض. فالأمرُ الوحيد المقدّس والجدير بصهيون، هو التحالف الإلهي الذي تعبِّر عنه مواقف شعبه. ولذلك فإنّ دولة إسرائيل الحاليّة ليس لها أيّ حقٍ في إدّعاء تحقيق النيّة الإلهية من أجل عصرٍ مسيحيٍ .... خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أنّ شعبها الحاضر يعتمدُ على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوّة العسكرية ويسعى دوماً للتفوق على جيرانه.

وقفة عند رؤيا يوحنّا اللاهوتي[١]

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الرؤيا (التي سبق إيراد نصوصها) إنّما هي إمتدادٌ لرؤيا كلٍّ من "حزقيال" و"دانيال" ليوم غضب الربّ (والذي سبق إيراد نصوصه هو الآخر) وممّا يظهرُ لي أن "يوحنّا" قبل أن يرى رؤياه هذه كان قد أتمّ قراءة كلٍّ من "رؤيا حزقيال" و"رؤيا دانيال" مرّاتٍ عديدةً حتّى كاد يحفظهما عن ظهر قلب، **وإلاّ فكيف يصحُّ أن نفسِّرَ هذا التّطابقَ العجيبَ في بعض نصوص رؤيا يوحنا مع بعض نصوص رؤيا حزقيال ودانيال مع أنّ بينهما مئات السنوات؟ وإذا ما أخذنا بعين الإعتبار أنّ الربّ الذي يؤمن به المسيحيّون يختلف تماماً عن الربِّ (يهوه) الذي يُؤمن**

---

[1] سبق التعريف به.

به اليهود فإننا نستطيعُ أن نستنتجَ حقيقةً واحدةً ألا وهي وقوعُ "يوحنا" تحت تأثير التُّراث اليهودي وأقاصيص التّوراة، خصوصاً وأننا نرى تطابقاً بين مسيحه (المحارب البطل ذي العينين اللتين كلهيبِ النار والفم الذي يَخرُجُ منه سيفٌ ماضٍ ليضربَ به الأمم) وبين ماشيح اليهود المنتظَر ... وحتّى أدلل على هذا التطابق فإنني سأعرض المقارنات التي ذكرها الأستاذُ شفيق مقار[1] بين رؤيا يوحنا اللاهوتي وبين رؤيا حزقيال ومن ثم دانيال ليحكم القارئ بنفسه على مدى التطابق العجيب بين هذه الرؤى؟!.

أولاً: المقارنة الأولى بين رؤيا يوحنّا اللاهوتي وبين رؤيا حزقيال:

رؤيا اللاهوتي	رؤيا حزقيال
"نظرت وإذا باب مفتوح في السماء" (٤: ١)	"كان ... إن السماء انفتحت" (١: ١)
"كنت في الروح في يوم الرب" (١: ١٠)	"فرأيتُ رؤى الله" (١: ١)
"رأيت ... شبهَ إبن إنسان" (١: ١٣)	"رأيتُ ... شبه كمنظر إنسان" (١: ٢٦)
"وصوته كصوتِ مياهٍ كثيرة" (١: ١٥)	"كصوت مياه كثيرة صوتُ القدير" (١: ٢٤) "وصوته كصوت مياهٍ كثيرة" (٤٣: ٢)
"ورجلاه شبهُ النّحاس النّقيّ كأنهما محميّتان في أتون" (١: ١٥)	"ومِن منظر حقويه إلى فوق ومن منظر حقويه إلى تحت مثلُ منظرِ نارٍ ولها لمعان النحاس من حولها" (١: ٢٧)
"هوذا يأتي مع السحاب" (١: ٧)	"سحابة عظيمة ونار متواصلة" (١: ٤)
"وإذا عرشٌ موضوعٌ في السّماء وعلى العرش جالس" (٤: ٢)	"وفوق المقبب (قبة السماء) شبهُ عرشٍ وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق" (١: ٢٦)
"وكان الجالس في المنظر شبهُ حجرِ اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد" (٤: ٣)	"عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق ... ومنظر كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر" (١: ٢٦ و٢٨)
"ومن العرش تخرج بروقٌ ورعودٌ وأصوات" (٤: ٥)	"لمعان ومن النار يخرجُ برقٌ" (١: ١٣)
"وقدّام العرش بحر زجاج شبه البللور" (٤: ٦)	"شبه مقبب كمنظر البللور الهائل" (١: ٢٢)
"وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات" (٤: ٦)	"ومن وسط النار شبه أربعة حيوانات" (١: ٥)
"(والحيوانات) مملؤة عيوناً من قدّام ومن وراء" (٤: ٦)	"ملآنة عيوناً حواليها للأربع" (١: ١٨)
"الحيوان الأول شبه أسدٍ. والحيوانُ الثاني شبهُ عجلٍ. والحيوان الثالث له وجهٌ مثلُ وجه إنسان. والحيوانُ الرابع شبه نسرٍ طائرٍ" (٤: ٧)	"أما شبه وجوهها فوجهُ إنسانٍ ووجهُ أسدٍ لليمين لأربعتها، ووجهُ ثورٍ ووجهُ نسرٍ من الشمال (اليسار) لأربعتها" (١: ١٠)
"ولكل واحد منها ستةُ أجنحةٍ حولها ومِنْ داخلها مملوءةٌ عيوناً" (٤: ٨)	"ولكلِّ حيوانٍ أربعةُ أجنحةٍ وأيدي إنسانٍ تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة" (١: ٦ و٨).

---

[1] الأستاذ شفيق مقار، المسيحيّة والتوراة، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١ ط١، ١٩٩٢، مطبعة رياض الرّيس للنشر، لندن وقبرص.

رؤيا اللاهوتي	رؤيا حزقيال
"فلما رأيتهُ سقطتُ عند رجليه كميّتٍ فوضعَ يده اليمُنى عليّ قائلاً لا تَخَفْ" (١: ١٧)	"ولمّا رأيتهُ خررتُ على وجهي ... فقال لي يا ابن آدم قُمْ على قدميك فأتكلم معك" (١: ٢٨ و٢: ١)
"فاكتب ما رأيتَ وما هو كائنٌ وما هو عتيد أن يكونَ بعد هذا" (١: ١٩)	"قال لي أنا مُرْسِلُكَ إلى بني إسرائيل" (٢: ٣)

ثانياً: مقارنة بين رؤيا يوحنّا اللاهوتي ورؤيا دانيال(١)

رؤيا اللاهوتي	رؤى سفر دانيال
"رأيت ... شبه ابن إنسان " (١: ١٣)	"وإذا مثل إبن إنسانٍ أتى" (٧: ١٣)
"وأمّا رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيب نار" (١: ١٤)	"لباسه أبيضُ كالثلج وشعرُ رأسه كالصوف النقيّ وعرشه لهيب نار" (٧: ٩)
"وإذا عرش موضوعٌ في السماء ... وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً" (٤: ٢ و٤)	"وكنت أرى أنه وُضِعَتْ عروشٌ وجلسَ القديم الأيام" (٧: ٩)
"وإذا جمعٌ كثيرٌ لم يستطع أحد أن يعدّه ... وقوفاً أمام العرش ... هم أمام عرش الله ويخدمونه ليلاً ونهاراً في هيكله والجالس على العرش يحلّ فوقهم" (٧: ٩ و١٥)	"(أمام العرش) الوف ألوفٌ تخدمهُ وربوات وقوفٌ قدّامه" (٧: ١٠)
"أربعة حيوانات حول العرش ... الحيوان الأول شبهُ أسدٍ، والحيوانُ الثاني شبهُ عجلٍ. والحيوان الثالث له مثلُ وجهِ إنسانٍ. والحيوان الرابع شبه نسرٍ طائرٍ" (٤: ٦ و٧)	"وصعد من البحر أربعةُ حيواناتٍ عظيمةٍ هذا مُخالِفٌ ذاك. الأول كأسدٍ وله جناحا نسر .. وحيوانٌ ثانٍ شبيهٌ بالدبّ ... وآخرُ مثلُ النّمر وعلى ظهره أربعة أجنحةٍ طائر وله أربعة رؤوس وأعطي سُلطاناً ... وحيوان رابعٌ هائلٌ وقوي وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة ... وله عشرة قرون". (٧: ٣ و٤ و٥ و٦و٧).

ويُستفادُ ممّا سبق ذكرهُ من مواقف الكنائس الرافضة لتهويد وصهينة المسيحيّة أنّ وجود الكيان الصهيوني وجودٌ غير شرعي وباطلٌ من الناحيتين القانونية والدّينيّة. **وترى هذه الكنائس أنّ اليهوديّة قد إنتهت كدينٍ وعقيدةٍ، وتحوَّلتْ إلى مجرّدِ مرحلةٍ تاريخيةٍ، وأنّ كلمة "إسرائيل" في الإنجيل تعني كنيسة الله وشعب الله، لذا فإن قيام دولةِ إسرائيل بزعمٍ أنّها من الله، هو أمرٌ منافٍ للمسيحية، كما أنّ تأييد إسرائيل هو عداءٌ لشريعةِ المسيح، فالإستعمار لا الدّين هو الذي يتحّمل المسؤولية الجنائيّة في إحياء دولة إسرائيل**، والإستعمار هو المسؤول عن إنشاء وطنٍ عُنصريٍّ عدواني للشعب اليهودي في فلسطين، على أساس الطرد الجمّاعيّ للشعب الأصليَّ.

(والحاصل أنه لا يمكن في ضوء الكتاب المقدس، أن تعترفَ المسيحيةُ لهم بمملكةٍ أو دولةٍ، فالله رفضَ فكرة المملكة منذُ البدءِ كما رفض السيّدُ المسيحُ أن يُقيمَ لهم ملوكاً ... كان الملكُ شخصيّةً مقدَّسةً لا تنطبق على يهود اليوم؛ فالمَلكُ كان الله يختاره بنفسه، ويأمر بمسحه ملكاً بواسطة نبيٍ أو

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢٤٦.

رئيسِ كهنةٍ، وكان الملكُ يتلقى أوامره من الله ويستشيره في كلِّ خطوةٍ ... ومع إنتهاء عهد اليهودية وزوالها، لم يعد لها أمام الله وجودُ مُعترَفٍ به، أو كيانٌ يستندُ إلى قوّةٍ إلهيّةٍ، كما كان الحال قبلَ صلب المسيح، **فإنَّ كلَّ تعبيرٍ يَرِدُ في العهد الجديد يشيرُ إلى إسرائيل، ليس المقصودُ به إسرائيلَ القديمة بل إسرائيل الجديدة، وأعني به الكنيسة المسيحيّة التّي حلتْ محلَّ الكنيسةِ اليهوديّة، وينسحبُ أيضاً على إسم صِهيون، وكذلك أورشليم، فصهيونُ في العهد الجديد صارت لقباً للكنيسة المسيحيّة، وأورشليمُ الأرضيّةُ كنايةٌ عن أورشليم السّماويّة ورمزٌ لها).**[١]

إذن لقد فقدتْ كلمةُ "صِهيون" في المفهوم المسيحيّ في العهد الجديد المعنىَ القديمَ الذي كان لها، وكذلك أورشليم فقدت معناها الحرفيَّ، وصار لها مدلولٌ معنويٌّ وروحيٌّ وأبديٌّ.

---

[1] الأستاذ إميل أمين، [م. س]، ص ٣٠٨، ٣٠٩ بتصرّف واختصار.

الفصل الرابع

المحافظون الجُدُد

المبحث الأول: ظهور الفكر المحافِظ في القارة الأوروبية.

المبحث الثاني: اليمين المحافظ الأمريكي.

المبحث الثالث: ماذا يقول المحافظون الجدد عن أنفسهم؟؟

المبحث الرابع: المرتكزات الفكرية لأجيال المحافظين الجدد.

المبحث الخامس: تحالف المحافظين الجدد مع المسيحيين الصهاينة.

المبحث الأول

ظهور الفكر المُحَافِظ في القارة الأوروبيّة

يذهب كثيرٌ من الكُتّاب والمؤرخين إلى أنّ الفكر المحافِظ، فيما يتعلق بالآيديولوجيات[١] والمذاهب السياسية والدينيّة قد نَشَأ كردٍّ فعلٍ للثورة الفرنسيّة ولما تلاها من ثوراتٍ وتغيُّراتٍ في حياة الناس، ونموِّ المدن وإنتشار ثقافة الحداثة في الغرب ... وما من شكٍّ في أنّ "الفكر المحافظ" يُعدُّ مدرسةً فكريّةً لها موقع هام على خارطة الفكر الأوروبي والغربي بشكلٍ عام... وكثيراً ما كان يستخدم مصطلح "الفكر المحافظ" للدلالة على نمطٍ فكريٍّ سياسيٍّ مميَّزٍ في أوائل القرن التاسع عشر خصوصاً من أصحاب القوى الفِكريّة والإجتماعيّة التي أثار مخاوفَها التحُّولُ السريع في الإقتصاد والسياسة والروابط الإجتماعية بين الناس، فنظر هؤلاء (أصحاب الفكر المحافظ) لهذا التحوّل السريع على أنّه تهديدٌ للإستقرار السياسي والإجتماعي وللنِّظام الثقافيّ الغربيّ في ذلك الحين.

"ولعلَّ منشأ مبادئ الفكر المحافِظ كان من تلك الأفكار التي تضمَّنها كتابُ الفيلسوف "الإنجليزي" المحافظ "إدموند بيرك" "تأملات في الثورة في فرنسا" مع ختام القرن الثامن عشر، والذي كان يأسف للتغيير الثوريّ الذي حدثَ "للنِّظام القديم" .... وخلال القرن التاسع عشر، حدث تحُّولٌ في الدول الغربيّة أحدثه الضّغطُ الذي سببّتهُ الثورةُ الصناعية، والذي إنعكس في نموِّ "الليبرالية"[٢] والاشتراكية والقومية. وفي حين تطلَّعت هذه "الأيديولوجيات" للإصلاح وفي بعض الأحيان ساندت الثورات، كان الفكرُ المحافظ يقف مدافعاً عن النّظام الاجتماعي التقليدي الذي كان مُحاصَراً آنذاك، بل وعن المَلَكيّة وتطويرها دستورياً، لا هدمها".[٣]

أبرزُ الأُسس التي يقوم عليها الفكرُ المحافظ الأوروبي ويدعو إلى تطبيقها

إنّ هذه الأسس كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ ولكنني سأقتصر على ذكر الأجزاء التي تخدم موضوع رسالتي هذه والتي منها:

أولاً: النظرةُ إلى الدِّين والأخلاق:

يختلفُ الفكر المحافظ عن الإتجاهات السياسيّة الأخرى التي تركِّزُ على الدّور الإجتماعي للدين، "فهو ليس فقط ظاهرةً روحانيةً ولكنه أيضاً الدّعامة الأساسية للمجتمعات التي يجب أن تقوم

---

(1) مصطلح مأخوذةٌ من كلمة (idea) وهي الفكرة، ويُقصدَ به الفكر المطروح للتطبيق على ساحةٍ ما.

(2) الليبرالية: مصطلح يطلق على الاتجاهات غير الحرفية، المؤيدة للإصلاح والتجديد والمتحرّرة من الأشكال التقليدية. وهي في الغالب تركز على الحريّة الفردية والتقدّم والاستقلال الذاتي للأفراد. كما تنادي بحماية الحريّات السياسية والدينيّة والمدنيّة.

(3) الأستاذة هبة رؤف عزّت، المدرَّس المساعد بكلية الإقتصاد والعلوم السياسيّة بجامعة القاهرة، دراسة بعنوان (المحافظون من رؤى المجتمع إلى العولمة والإمبرياليّة) ص١، بتصرف. دراسة منشورة بتاريخ ٢٠٠٣/١١/٦ على شبكة الإنترنت على موقع www.Islamonline.com

على مجموعةٍ من الأسس والقواعد الأخلاقية التي يوفّرها الدين. وعلى هذا الأساس نجدُ أنّ هناك علاقةً وثيقةً بين الدّين ورؤية المحافظين للمُجتمع وأسس إدارته وتماسكه. وترفعُ الأحزابُ المحافِظةُ التي تحمل تسمية "الديمقراطية المسيحية" في أنحاء أوروبا من شأن فضائل وقيم المسيحية"[١].

وممّا يجدرُ ذكره هنا أنّ المحافظين يرفضون ترك المسائل الأخلاقيّة للفرد؛ لأنه إذا تُركتْ الأخلاق في أيدي الأفراد، كان هناك إختيارٌ شَخصيٌ فيها ممّا يُعرِّضُ النسيج الذي يقوم عليه المجتمعُ للخطر، "ولذلك فإنَّ الأخلاقيات هي موضوعٌ غيرُ قابلٍ للإختيارات، ويستطيعُ المجتمع الحفاظَ على كيانه وبقائه عن طريق المحافَظةِ على مجموعة القيم الأخلاقيّة والمُجتمعيّة الموجودةِ فيه، ويكون ذلك بالرَّفع من شأن إحترام الدّين والكنيسة. وفي بعض الأحيان يُضطّر إلى إستخدام قوَّةِ القانون. ويَرى المحافظون أنّ القانون ليس مجرّدَ وسيلةٍ للحفاظ على النظام العام، وإنما أيضاً للحفاظِ على القيم الأخلاقية والإجتماعية..."[٢]

ثانياً: الدِّفاع عن التقليديّة:

يُعتبرُ الدّفاع عن التقليدية ومحاربةُ التغيير أحدَ المواضيع المستمرّة والرئيسية في الفكر المحافظ، بالإضافة إلى الرغبة في الحفاظ على المؤسسات القائمة بالفعل "بينما على الوجه الآخر نجد "الليبراليين"[*] يذهبون إلى أنه لا يجب تقييم المؤسسات على أساس إستقرارها وبقائها لفترةٍ طويلةٍ، ولكن إلى أيِّ مدىً تستطيع هذه المؤسسة تحقيقَ الأهداف التي قامت من أجلها، فإذا أخفقتْ هذه المؤسسات في هذا الإختبار كان علينا أن نُعيدَ إصلاحها وهيكلتها، أو نقوم بإلغائها إذا ما لزم الأمر، أمَّا المحافظون فهم يعترضون على ذلك إعتراضاً شديداً ويرون أنَّ المؤسَّسات القديمة يجب أن يتم الإبقاء عليها؛ وذلك لأنها نجحت في تحقيق أهدافها عبر التاريخ وتختزن خبرات ولها رمزيةٌ وطنيّة"[٣] وقد يعكس هذا المنظور **جذورَ نظرةٍ دينيّةٍ عقائديةٍ مسيحيّةٍ للمذهب المحافظ**، فإذا كان الله هو الذي خلق هذا الكونَ وهو مدبِّر أمره، فإنه يجب إعتبارُ المؤسّسات والهيئات "**هبةً من الله**"؛ ولذلك فهي لا يصح أن تتغيرَّ. والمجتمع تشكّلهُ حكمةٌ إلهية، فإذا عبث البشر بالقانون الذي وضعه الله فإنهم بذلك يتحدُّون إرادته وبالطبع سوف يجعلون حياة الإنسان أشقى بدلاً من جعلها أفضل.

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢.
(2) المرجع السابق نفسه ص ٦.
(*) سبق التعريف بـ "الليبرالية".
(3) المرجع السابق نفسه ص ٤.

ثالثاً: الإيمان بفكرة ومفهوم الأُمّة:

"يؤمن المحافظون بفكرة "الأمة"؛ فالأممُ مثلها مثل الأسر تتكوَّن بطريقةٍ طبيعيةٍ، وفي هذه الحالة يكون تكُونُهم نتيجة الإنجذابِ الطبيعيِّ لِمَنْ لهم نفسُ الثقافة أو الدِّين أو العرق أو المكان، وعلى هذا الأساس يعتبرُ خوفُ المحافظين من الأجانب والمهاجرين إليهم وموقفهم الثابت ضد سياسات اللجوء السياسي والعمالة الوافدة لأوروبا وأمريكا (خاصّةً من العالم الإسلامي) أمراً متوقَّعاً في ضوء أفكارهم؛ وذلك لأنهم ينظرون للقادمين من ثقافاتٍ أُخرى على أنهم قد يهددّون الترابط الإجتماعيّ".[١] ويشارُ هنا إلى أنّ اليهود مُستثنون من هذا الخوف حيث يرى المحافظون ترابطاً وثيقاً دينياً وتاريخياً بينهم وبين اليهود، ولعلَّ هذا الترابط راجعٌ إلى الإيمان بالكتاب المقدّس كلّه بعهديه القديم والجديد.

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ٦.

المبحث الثاني

اليمين المحافِظُ الأمريكيّ[*]

لئن كان بعض المؤرخين للفكر السياسي الديني قد ربطوا، كما سبق ذكره، نشأة الفكر المحافظ بـــ "إدموند بيرك" صاحب كتاب "تأمُّلات في الثورة في فرنسا" في نهاية القرن الثامن عشر فإنّهم دون أدنى شكٍّ قد ربطوا نشأة فكر المحافظين في الولايات المتحدة بـــ (ليوشتراوس) الأستاذ الألمانيّ الذي كان يعملُ مدرِّساً للفلسفة في جامعة شيكاغو "ويرى بعضهم في شتراوس الأب الروحي للمحافظين الجدد ومُنَظِّرَ تجدُّد الفكر التقليدي في الولايات المتحدة في حين يعتبره آخرون فيلسوف اليمين"[١]

من هو "ليوشتراوس" وما هي أبرز الأفكار التي نادى بها وورثها عنه اليمينُ الأمريكي؟؟

"ليو شتراوس" يهوديٌ ألمانيٌ ولد في ١٨٩٩/٩/٢٠ ونشأ في كنف عائلةٍ أرثوذكسية (يهودية) إلتحقَ بالصّهيونية وما لبث أن إنفصل عنها لاحقاً ... حصل عام ١٩٢١ على شهادة الدكتوراه ... وفي عام ١٩٣٧ حصل على وظيفةِ باحثٍ في جامعة "كولومبيا"، في "نيويورك"، وما لبثت أن إختفت شقيقتهُ وزوجُها في مصر، في حين تمَّ نفيُ كل أفراد العائلة الذين بقوا في ألمانيا. في عام ١٩٤٤م، حصل "ليو شتراوس" على الجنسية الأميركية وفي عام ١٩٤٨م، وبناءً على توصيةٍ من "البروفسور هانز مورجانتو"، أصبحَ أُستاذاً في جامعة "شيكاغو". وفي عام ١٩٦٧م أخذ تقاعده، وإستمر بإعطاء بعضِ الدّروس في معهد "كلامونت" في "كاليفورنيا"، ومن ثمّ في "سانت جونز كولدج" في "أنابوليس" (ماريلاند). توفي في ١٨ تشرين الأول عام ١٩٧٣، بسبب إلتهاب الرئة، ودفُن في مقبرة كنيسٍ صهيونّيٍ في أنابوليس".[٢]

---

[*] هو التعبير العام الذي يطلق على جميع المسيحيين المتطرفين في التعبير عن آرائهم وفي سلوكهم حيال القضايا السياسية والاجتماعية الداخلية، وحيال قضايا السياسة والعلاقات الخارجية، وخاصةً ما يتعلق منها بإسرائيل والنزاع العربي الإسرائيلي. ومن الجدير بالذكر أن هذا التعبير لا يشير إلى منظمةٍ أو مجموعةٍ معينةٍ ولا إلى مذهبٍ أو كنيسةٍ بعينها. بل هو صفة تطلق على إتجاهٍ دينيٍ موجود في الحياة الأمريكية منذ بداية المجتمع الأمريكي وهو المظلة العريضة التي تضمّ كل هذه المؤسسات والمنظمات. وهو بالتالي يضم أيضاً أعداداً كبيرة من الأمريكيين الذين يؤمنون بمبادئ المسيحية المتطرفة دون أن ينتموا إلى أي من هذه المجموعات المنظمة. يؤمن كل من ينتمي إلى اليمين المسيحي بعصمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وبحرفيه نبوءاته، وخاصة ما يتعلق بخطة الله للكون. وهذا ما يجعله حليفاً وداعماً لإسرائيل وسياستها التوسعية وأهدافها البعيدة الأمد.

[1] آلان فوشون ودانيال فرنه، أميركا المسيحانيّة، ترجمة موريس شربل ص ٦٩ ط١، ٢٠٠٥ دار جروس برس، لبنان.

[2] المرجع السابق نفسه ص ٧٨، ٧٩ بتصر وإختصار وكتاب البروفسورة شادية دروري (ليوشتراوس واليمين الأمريكي).

أما أبرزُ الأفكار التي كانت (الشتراوسيّة)[١] تنادي بها فتكاد تنحصر فيما يلي:

١. رفضُ الحداثة وتفضيلُ الحفاظ على الأوضاع القائمة.
٢. إستخدامُ الدِّين للسيطرة على الجموع.
٣. لا تكون "الديموقراطية" قادرةً إلاّ إذا كانت قوّةً عسكريةً باطشةً.
٤. إستعمال الكذب والخداع للمحافَظة على السلطة.
٥. فرضُ الدِّين على الجماهير.
٦. إستعمال القوة لكبح العدائيّة لدى البشر، من خلال دولةٍ قويةٍ كابحة.
٧. يجب أن يكون الحكم محصوراً في أيدي النخبّة المثقّفة (الصفوة).
٨. الإيمان بالريادة الأمريكية الخيِّرة.

ولوجئنا لتحليل بعض هذه الأفكار والمبادئ كالمبدأ السادس "مثلاً" لوجدناه يعود في جذوره إلى مُعتقدات الطّهوريين (البيورتان) التي حملوها وآمنوا بها مذ وطأت أقدامهم الأرض الأمريكيّة حيث كانوا يعتقدون بأنّ الربّ قد أناط بهم واجباً لإنقاذ العالم وأنّهم جزُءٌ هامٌّ من خطّةٍ أعدّها الرب للناس على الأرض وأنّهم أمّةُ الرِّيادة والخير وأنّ عليهم واجباتٍ تجاه الآخرين يجب تأديتها والقيام بها، إضافةً لإعتقادهم بأنهم الصَّفوة التي إختارها الربّ وكتب لها الخروج من "إنجلترا" إلى "أمريكا" لتوليّ قيادة العالم. "فقد برزت، منذ البدء فكرة الرِّسالة العالميّة هذه فجذرت الإحساس بوجوب تأسيس الأمة على قيمٍ ساميةٍ، فأعدَّت سلفاً للإعتقاد بشكلٍ ما بالتفوّق الأميركي. فأميركا تؤكد، بكل طيبةِ خاطرٍ، بأنها تجسِّد الخير. وهكذا نشأ نوعٌ من التفوّق الأخلاقي بإستمرارٍ، من الإلتزامات الخاصّة لجمهورية الولايات المتحدة في الداخل كما في الخارج"[٢]

ولعلَّ هذا الشعور بالتفوّق، ووجود واجبٍ يجب القيام به تجاه الآخرين هو الذي دفع الرئيس الأمريكي "جورج بوش" لأن يقول في مقابلة لقناة تلفاز ''Fox News'' في ٢٢ أيلول عام ٢٠٠٣، تماماً قبل لقائه الرئيس الفرنسي "جاك شيراك": [سأذكِّرُه، يجبُ أن يسمعني أقول ذلك بوضوح وسوف يسمعني **بأن أميركا أمّةٌ طيبّةٌ رسميّاً وشرعياً]**[٣]

---

(1) للتوسع في هذا الموضوع راجع دراسة الأستاذ شاكر النابلسي، المحافظون الجدد والليبراليون الجُدد بين الواقع ومهاترات الغوغاء، دراسة منشورة على الانترنت على موقع http://www.rezgar.com. ودراسة الأستاذ قيصر عفيف، أولئك المحافظون الجدد الأمريكيّون ليسوا محافظين ولا جُدداً، المنشورة على شبكة الإنترنت على موقع Maaber@scs-net.org.

(2) آلان فوشون ودانيال فرنه [م. س] ص ٣٥، ٣٦ بتصرّف.

(3) المرجع السابق نفسه ص ٣٧.

وكما قلتُ سابقاً فقد ورثّ المحافظون الجُدد المبادئ والأفكار السابقة عن (ليوشتراوس) وقاموا بالإضافة عليها وتطويرها حتى غدت كالبرنامج العقائدي الثابت الذي لا يقبل التحويل والتبديل وسآتي على هذا البرنامج العقائدي لاحقاً بإذنه تعالى...

والسؤال الذي يفرضُ نفسه الآن هو هل كانت هذه الأفكار "الشتراوسية" سبباً كافياً لولادة يمينٍ محافظ تقليديٍّ، وفيما بعد محافظٍ جديدٍ في الولايات المتّحدة؟؟؟ الإجابة هي قطعاً لا، فقد كان اليمين المسيحيُ الأمريكي أسبقَ من نظيره الأوروبي ميلاداً وتطوُّراً ولكنّ الذي حدث هو تبنّي هذا اليمين الأمريكي (الموجود أصلاً كما قلنا) لأفكار ومبادئ شتراوس. وهنا تبدو الحاجةُ مُلِحّةً لتوضيح كيفية ميلاد وتطوّر اليمين المسيحي الأمريكي. والذي أراه في الإجابة على ذلك **أنّ اليمين المسيحيّ وُلِدَ مع ولادة أمريكا ونما منذ بداية الاستيطان الطّهوري في المُستعمرَات الأولى؛ فالطهوريون الأوائل آمنوا بالأفكار الأصوليّة وبالعهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس، وإستمرَّ تأثيرهم في مختلف مراحل تطورِّ الأمة الأمريكية حتى الآن. لقد كان المستوطنون الطّهوريون الأوائل ينتمون إلى البروتستانتية الكالفينية، وهم لذلك أقربُ إلى الإيمان بالأفكار القدريّة التدبيرية التي يحملها اليمين المسيحي اليوم.** "وقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر حركاتِ إحياءٍ دينيٍ رئيسيٍّ في معظم أوساط المجتمع وطبقاته، ثم جاء القرن التاسعُ عشر بمجموعةٍ كبيرةٍ من المذاهب والكنائس الجديدة "الإيفانجيلية" والتبشيرية، وكان جُلُّ هذه المذاهب يقرأ في نصوص الكتاب المقدس نبوءاتٍ ستتحقّقُ قريباً ضمن خطة إلهيّةٍ للكون".[١]

"وفي العقد الثاني من القرن العشرين ظهرت بوادرُ موجةٍ من النّشاط الديني اليمينيّ في أمريكا، ووصف بعض قادة الحركات الجديدة أنفسهم وأتباعهم بالأصوليين، لأنهم، كما قالوا، يعودون إلى أصول الدِّين بما في ذلك النّصوص الدينية وتعاليم المسيح وتلامذته الروّحّية والأخلاقية والاجتماعية. لقد كانت أفكارهم، آخذةً في تطرُّفها نحو اليمين، **عمد الأصوليون الجدد، كما فعل الطهوريون الأوائل، إلى الإصرار على عصمة الكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) وعلى تفسيرٍ حرفيٍّ لنصوصه.** وكان من نتيجة ذلك أن رفض كثيرٌ من اليمينيين النظرياتِ العلمية الحديثة مثل نظرية النشوء والتطُّور الداروينية وفكرةَ كروية الأرض، بل إستمر بعضُهم في معارضة هذه

---

[1] الدكتور فؤاد شعبان، [م. س]، ص ٢٣٦.

النظريات حتى منتصف القرن العشرين وطالبوا بتدريس الكتاب المقدَّس ككتابٍ علميٍ يطرحُ بدائلَ لهذه النظريات".[١]

أمّا عن الوسيلة التي تمكَّن هؤلاء اليمينيون من خلالها من الوصول إلى الجمهور الأمريكيّ وبثّ أفكارهم وزرع معتقداتهم فيه فقد كانت **الكنيسة** حيث "**لعبت الكنيسةُ طوال التاريخ الأمريكي دوراً ما في السياسة الأمريكية وأعطتْ لطريقة الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية ولنظامها صفاتٍ مقدّسة**"[٢].

وهنا تجدرُ الإشارة إلى أنّ طوائف البروتستانت، التي تشكّل غالبية الحركة المسيحية الأصولية، من أهم الكنائس الأمريكية تأثيراً على السياسة العامّة الأمريكية، ليس بسبب كثرتها العدديّة فقط، بل لكونها كنيسة الطبقةِ العُليا "ويحرص الرؤساء الأمريكيون على الإجتماع بقياداتها والإلتحاق بعضويّتها، مثلما فعل الرئيس الأمريكي الأسبق "آيزنهاور" حينما أُنتخبَ رئيساً. فقد سارع إلى الإلتحاق بكنيسةٍ معمدانيّةٍ لمزيدٍ من التعبئة الجماهيريّة حوله"[٣].

لقد كانت هذه الأفكار والمعتقَدات من الثوابت التي لا تتغيّر لدى اليمين المسيحي الأمريكي وكان يبثّها في الناس، كما ذكرت، من خلال الكنائس، سواءً ألكنائسُ المرئيّة المُتلفزَة[٤] أم الكنائس الموجودة على أرض الواقع. **ولمّا جاءت فترةُ الستّينات من القرن الماضي لم يكتفِ اليمين المسيحي في الولايات المتحدّة بالمنابر الدينيّة والكنيسة بل لجأ إلى تطوير وسائله والمشاركة في العمل السياسيّ والإعلان عن أفكاره ومعتقداته علانيةً، وحشد الكثيرين من الأتباع والمؤّيدين لدعم مُرشّحي الرئاسة الذين يمثّلون اليمين المسيحيَّ الأصولي ويحملون معتقداته. وكيف لا؟ ووصول رئيسٍ منهم إلى السّلطة سيمكنّهم من تحويل أحلامهم إلى وقائع، ويتّخذونه أداةً لتنفيذ مخططّاتهم** يدعمونه إن سار كما يريدون ويحاربونه إذا خالفهم ... وهذا الذي كان؛ فقد نجح اليمين المسيحيَ في إيصال بعض الرؤساء الذين يحملون أفكاره إلى كرسيّ الرئاسة في الولايات المتحدة ومن هؤلاء على سبيل المثال "**جيمي كارتر**" و"**رونالد ريغان**" ومن ثمّ دعمهم للرئيس جورج بوش عندما ترشّح لفترة رئاسةٍ **ثانيةٍ** وقد فاز بها. وكان هؤلاء الثلاثة من أشدِّ الدَّاعمين للكيان الصهيوني.

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢٣٦، ٢٣٧ بتصرف وإختصار.

(2) الدكتور يوسف الحسن، [م. س] ص ٧٣.

(3) المرجع السابق نفسه ص ٧٤.

(4) هي محطات تلفاز إنجيليّة كثيرةٌ تخصّصت في بث أفكار الأصوليين الإنجيليين من خلال برامجها الدينية على مدار الساعة. ولا همّ لها سوى دعم الكيان الصهيوني وسياساته واستقطاب الدعم له وللأفكار التي يحملها الأصوليون والمسيحيون الصهاينة.

وبالعودة للحديث عن الرؤساء الأمريكيين التابعين لرغبات هذا اليمين المسيحي المتصهين ولبيان مدى إلتزامهم ببرامج هذا اليمين وتنفيذها فمن المستحسن ذكرُ ما يلي:

أولاً: بالنسبة لجيمي كارتر: فقد كانت أبرز إنجازات فترة حكمه تتمثّل في خدمة المصالح الحيوية للكيان الصهيوني وكان من أهمّها "دوره المباشر في إتفاقات "كامب ديفيد" الموقعة بين جمهورية مصر العربية وإسرائيل في أيلول ١٩٧٨، وتزويده إسرائيل بمساعداتٍ عسكريةٍ وإقتصاديةٍ أكثر من أيِّ رئيس أمريكي قبله؛ فقد تسلّمت إسرائيل في عهده عشرة "مليارات دولار"، وهي حوالي نصف ما تسلّمته طوال تاريخها، كما كان "كارتر" أول رئيسٍ أمريكيٍ يؤسِّسُ لجنةً رئاسيةً لموضوع "الهولوكوست" أو حرق اليهود في العهد النازي وكان أول رئيسٍ أمريكيٍ يضغط بإتجاه فرض قانونٍ أمريكيٍ لمناهضةِ أنظمةِ المقاطَعةِ العربيّة لإسرائيل في عام ١٩٧٧، بعد أن رفض كلٌّ من الرئيسين الأسبقين "نِكسون، وفورد" مواجهة المقاطعة العربية لإسرائيل"[١] ويعلق الدّكتور يوسف الحسن على منجزات كارتر هذه بقوله[٢]: **[وما لا شكَّ فيه أنّ المعتقدات التوراتية التي آمن بها الرئيسُ "جيمي كارتر" كانت من بين العوامل المهمة التي شكّلت سياسته الخارجية تجاه الصراع العربي ــ الإسرائيلي، وساهمت في توفير المناخ لنهوض الحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة].**

ثانياً: وأمّا بالنسبة لرونالد ريغان: "فقد تربّى على قراءة "الكتاب المقدّس" الذي كانت والدته تواظب على قراءته مساءَ كلِّ نهارٍ، لذا فقد تأثَّر كثيراً بوالدته، كما تأثَّر كثيراً بجماعات "التدبير الإلهي" أمثال الواعظ الأشهر "بيلي جراهام" والقس "جورج أوتيس"، وأضحت خطواتُ ريغان السياسيّة سواء في ترشيحه حاكماً لولاية "كاليفورنيا" أو لاحقاً كرئيسٍ للولايات المتحدة، مدفوعة بالرؤى الكتابيّة"[٣]. وكان يجاهر علانيةً بالمعتقدات التوارتية لليمين الأمريكي وقد قال عام ١٩٧١: "إنَّ جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدّون قد مرت. ففي الإصحاح ٣٨ من سفر حزقيال أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتّين ويعودون جميعهم مرّةً ثانيةً إلى الأرض الموعودة ... **لقد تحقَّقَ ذلك أخيراً بعد ألفَيْ سنةٍ، ولأولِ مرّةٍ يبدو كلُّ شيءٍ في مكانه بإنتظار هرمجدون والمجئ الثاني للمسيح** ...إن حزقيال يقول إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطرُ على أعداء شعب الرب.

---

(1) الدكتور يوسف الحسن، [م. س] ص ٨٤.

(2) المرجع السابق نفسه ص ٨٤.

(3) الأستاذ إميل أمين، [م. س] ص ٢٠٣.

إنّ ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يُدَمَّرُون بواسطة السلاح النووي ... ويخبرنا حزقيال أن جوج وماجوج، الأمّة التي ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتي من الشمال إن جوج يجب أن تكون روسيا. ليس من الأمم القديمة شمالي إسرائيل غير روسيا. لقد أصبحت روسيا شيوعيةً وملحدةً لتضع نفسها ضدّ الرب والآن تنطبق عليها تماماً مواصفات جوج. "[١]

"وفي حملته للرئاسة عام ١٩٨٠، ذكر ريغان في مقابلة مُتلفزةٍ أجراها معه الواعظ التليفزيوني "جيم بيكر" [إنّنا قد نكون الجيلَ الذي يشهد هرمجدون] وفي العام نفسه، نقل "ويليام سافاير معلّق صحيفة "نيويورك تايمز"، إن ريغان قال أمام مؤتمر يهودي [إنّ إسرائيل هي الديمقراطيةُ الثابتةُ الوحيدةُ التي يمكنُ أن نعتمد عليها كموقعٍ لحدوث هرمجدون]. [٢]

ثالثاً: وأمّا عن جورج بوش (وهو أبرز من خدم مخططات اليمين المسيحي في تاريخه) فهو لا يبدأ إجتماعاته أو عمله في "البيت الأبيض" إلاّ بقراءةٍ من الكتاب المقدّس، وإنشادِ بعض المزامير، "ذلك لأنه رئيسٌ متديِّنٌ إلى أبعد الحدود، ولم يشهد المكتب البيضاوي، مثالاً له إلاّ الرّئيس جيمي كارتر".[٣] وفي عددهـــا الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١١ فقــد خصّصَتْ مجلـــة (News Week) الأمريكية تقريراً خاصاً للحديث عن "بوش الرئيس المؤمن" بعنوان "بوش والرب"، وفيه تخلصُ إلى أنّ بوش الإبن هو الرئيس المرشّحُ لقيادة أمريكا في المواجهات الدينيّة القادمة من خلال الثوب السياسّي والعسكرّي الذي تتزيّا به بلاده المسيطرةُ على مقدَّرات الكون في العقد الأخير، أما عن تلك السمات التي تؤهل بوش لذلك فمنها: [٤]

* إنّه، بحكم عقيدته الدينية، هو أكثرُ تقليديةً بطريقةِ تفكيره كما أن إدارته إدارةٌ تبشيرية عسكريّةٌ في ذات الوقت.
* بوش أعمتهُ معتقداتهُ الدينيّةُ عن رؤية العالم المحيط به، أو قراءة أحداثه بصورةٍ متوازنةٍ، وقد قال لمستمعيه مرّةً [إنّ الولايات المتّحدة مدعوة إلى إيصال هدية الحياة التي منَحها الربُّ لكل إنسان على وجه المعمورة].

أمّا حال البيت الأبيض فربما لا يبتعد عن ذلك كثيراً، وهنا يقول جستين ويب مراسل شبكة ألـــ "بي بي سي" في واشنطن متهكّماً **[إنّ إدارة بوش تترنَّمُ بالصّلوات دائماً. وإنّ تجمُّعاتِ الصَلاة**

---

(1) للتوسع في مواقف ريغان "راجع كُلاً من الأستاذ رضا هلال، [م. س] ص ١٣٥، والأستاذ جورجي كنعان، [م. س] ص ١٣٠، ١٣١، وغريس هالسل، يد الله، [م. س]، ص ٩٧، ٩٨ والأستاذ إميل أمين، [م. س]، ص ٢٠٣ – ٢٠٥.

(2) المراجع السابقة نفسها.

(3) الأستاذ إميل أمين، [م. س] ص ٢٣٩.

(4) المرجع السابق نفسه ص ٢٣٩، نقلا عن صحيفة (News Week) في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١١.

تعقدُ ليل نهار ... وليس من المستغرَب أن ترى العاملين في البيت الأبيض وهم يهرعون وبأيديهم الأناجيل][١]

وممّا تقدّم ذكره يُستنتَجُ أنّ أفكار اليمين المسيحي كانت موجودةً وبعمقٍ وجذورٍ "بيوريتانية" في الساحة الأمريكية منذ أمدٍ بعيدٍ جدّاً وكانت الكنيسةُ منبرها للتعبير عن ذلك. ثمّ تطوَّر الأمر في الستّينات من القرن الماضي حيث قرر اليمين الأمريكي الإنخراط في العمل السياسي وإستطاع أن يُوصِل بعضَ المرشحّين الذين يحملون معتقداته إلى كرسيّ الرئاسة. **وقد إتّضحت أفكار هذا اليمين بكل جلاءٍ في الثمانينات (في عهد إدارة رونالد ريغان) حيث إنضَّم العديدُ من المحافظين اليمينيين الذين كانوا في الحزب الديموقراطي إلى الحزب الجمهوري وشكّلوا تياراً محافظاً جديداً لعب أدواراً هامّة وخطيرةً في رسم السّياسة الخارجية للولايات المتحّدة** ومن ذلك أنّهم كانوا "يحثّون إدارة ريغان على إستعمال شدّةٍ أكثر وقسوةٍ مع الإتحاد السوفياتي من أجل إسقاط النظام الشيوعي هناك. وكان **على رأس هؤلاء المحافظين الجدد دونالد رامسفيلد، وديك تشيني وجيب بوش وزالماي خليل زادة وريتشارد بيرل ودوغلاس فايث، وولفوفيتز، وغيرهم** "[٢]

ويُذكر في النهاية أنّ هذا التيار اليميني المحافظ الجديد المُسّمى "**المحافظين الجدد**" ما كان لينجح لولا تحالفه مع التيّارات المسيحيّة الأصولية المتطرّفة الداعمة لإسرائيل (بوصفها شعب الله المختار والأرض التي ستحقق فيها النبؤات المستقبلية) وما كان لينجح لولا أنّ ضمّ في عضويته عشرات بل مئات اليهود الأثرياء والمتنقذين والقادرين على صنع المخططات ورسم السيّاسات حتى يقوم الرؤساء في البيت الأبيض بتنفيذها لصالح هذا اليمين وبالتالي لمصالح الكيان الصّهيوني!!!.

---

(1) المرجع السابق نفسه ص ٢٣٩.
(2) الأستاذ شاكر النابلسي، [م. س] ص ١.

المبحث الثالث

ماذا يقول المحافظون الجدد عن أنفسهم؟؟

إنتهينا فيما سبق إلى أنّ الفكر اليمينيّ المسيحي المحافظ في الولايات المتحدة الأمريكية قد بدأ مع بداية الوجود "البيوريتاني" التطهيري فيها، ونما وإستمرَّ وتبلورت لديه في الستّينات من القرن الماضي فكرة ممارسة العمل السياسي ودعم مرشحيّن للرئاسة يتبنّون عقائده وتوجّهاته، وكانت الظروف السياسة أنسبَ ما يكون للتعبير الصّريح عن ميلاد يمينٍ مُتطوِّرٍ جديدٍ يختلفُ عن اليمين التقليدي المحافظ. هذا اليمين ساعدت على صناعته ظروفٌ تمثّلت في التوجُّه لمحاربة الشيوعية من جهةٍ والتوجُّه لكيفيّة التعامل مع الآثار السلبيّة لحرب "فيتنام" من جهةٍ أُخرى "فخرجَ نتيجةً لذلك تيارٌ سياسيٌ، أو فلنَقُل جبهة، جديدٌ يجمعُ بكلِّ غرابةٍ بين تصوّرات وآراء الفئتين الأمريكيتين القابعتين على أقصى اليمين المحافظ وعلى أقصى اليسار "الليبرالي"، أطلَقتْ عليه وسائل الاعلام الأمريكيّة في ذلك الوقت مُسمّى المحافظين الجدد"[١]

"وقد دُعوا بالمحافظين الجُدد لأنّ عدداً كبيراً منهم بدأ كيساريٍّ معادٍ "للستالينيّة" أو "كليبراليٍّ" قبل إنتقاله إلى موقع اليمين المتطرّف"[٢]

ويرى "مايكل ليدن" أنّ مُنّظري هذا اليمين الجديد "إنّما هم نتاجُ القطاع اليهودي الأمريكي وأنّهم مالوا أخيراً إلى نزعةٍ عسكريةٍ "إمبرياليةٍ" لا سابق لها في تاريخ السياسة والثقافة الأمريكيتين. كما يرى أنّ هؤلاء المحافظين الجدد موجودون في مراكز الأبحاث ذات الإتجاهات المحافظة والمؤسّسات والجامعات وبعض الصحف والمجلات ذات الإنتشار الواسع"[٣] ويدعم ما سبق ذكره من كلام عن المحافظين الجُدد الكتابُ الهامُّ الخطير الذي ألفَّهُ المؤرخ اليهودي الأمريكي "**موري فريدمان**" والذي نشرته مطابع جامعة "كامبريدج" والذي حمل عنوان **(ثورة المحافظين الجدد: المثقفون اليهود وتشكيل السياسة العامّة)** "وقد أشار مؤلف هذا الكتاب في مقدّمته إلى تعاطفه مع أفكار المحافظين الجدد مما جعله مدفوعاً لشرح أفكارهم وتاريخهم وتأثيرهم وإيضاحه. وهو يرى أنّ غالبيّة قيادات المحافظين الجدد هم من اليهود وأنّ غالبية اليهود الأمريكيين كانوا محافظين حتى عشرينات القرن الماضي"[٤].

---

(1) الدكتور وحيد بن حمزة عبد الله هاشم، مَنْ همُ المحافظون الجدد، صحيفة الجزيرة السعودية العدد ١٢٥٩٦ بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٢٥.

(2) مايكل ليدن، كيف إكتسحَ المحافظون الجدد واشنطن وشنّوا حرباً، ص١، دراسة منشورة على الانترنت على موقع www.yahoo.com.

(3) المرجع السابق نفسه ص ٣.

(4) راجع مقالة الأستاذ علاء بيّومي مدير الشؤون العربية في مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) في عرضه لكتاب ثورة المحافظين الجدد على موقع كير على الأنترنت arabic@cair-net.org.

وممّا تجدرُ الإشارة إليه هنا فيما يتعلّق بتسمية المحافظين الجدد، أنّ هذا المسُمّى لم يرق لهم في البداية، لاسيّما وأنّ منهم مّن ينتمي إلى اليسار "الليبرالي" الأمريكي. بيدَ أن التطوّرات السياسيّة والعسكرية التي حدثت بعد أن تبنّى الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغان) لسياسة الحرب على الشيوعية، مُطلِقاً مُسَمّى (إمبراطورية الشرّ) على الإتحاد السوفيتي السابق ساهمت في توضيح ومن ثمّ تركيز الأضواء على المحافظين الجدد بعد مطالبتهم بضرورة دعم سياساتِ الرئيس "ريغان" وتفعيلها لمواجهة المخاطر التي كان يمثّلها الإتحاد السوفيتي كزعيم للعالم الشيوعي ولكونه خطراً مباشراً على الأمن القومي الأمريكي.

لكن بعد إنهيار الإتّحاد السوفيتي وتفكّك منظومته السياسيّة والعسكريّة والعقديّة في بداية التسعينيات من القرن الماضي، هدأت حركة المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية الخارجية ودخلوا في حالة من السكون السياسي، بل ولم تَعُدْ وسائل الإعلام ولا الوسط الأمريكي السياسي يذكرُ وجودَهم السياسي ولا دورهم في التأثير في صناعة القرارات ... **ولا شكَّ أنّ قوّة المحافظين الجدد عادت لتتضح بشكل ملموس ولتزدهر في عهد الرئيس "جورج بوش" الإبن.**

والغريب في موضوع المحافظين الجُدُد أنّهم يرفضون كلَّ ما سبقَ ذكرهُ عنهم من سبب التسمية ومِن كون معظم قياداتهم من اليهود. **وقد تمّت صياغة كل ما يُمكن تسميته بـ (أفكار دفاعيّة) عن المحافظين الجدد في كتابٍ خَطّه المحافظون الجدد بأقلامهم وكان عنوانه (Neo con. Reader) (قارئ المحافظين الجُدُد) وضعه عدّةُ مؤلفين من المحافظين الجدد وحرّره (Irwin stelzer) (آروين ستلزر)** ونشرته (جروف برس، نيويورك) في شهر كانون الثاني من عام ٢٠٠٥[١]. وقد إحتوى الجزء الأول من هذا الكتاب على فصلٍ بعنوان (أساطير عن المحافظة الجديدة) بقلم "ماكس باوت" الباحث بمجلس العلاقات الخارجية والكاتب في مجلة (The Weekly Standard) حيثُ يحدّدُ وينتقدُ عدداً من الأفكار الشائعة عن المحافظين الجدد مثل سيطرتهم على سياسات إدارة الرئيس "جورج دبليو بوش"، وكون المحافظين الجدد مجموعةً من "الليبراليين" الذين تحوّلوا إلى التوجُّهِ المحافظِ الأمريكي، وكونهم مجموعةً من اليهود الذين يخدمون مصالح إسرائيل ويرتبطون بعلاقاتٍ وثيقةٍ مع حزب "الليكود الإسرائيلي"، كما يرفض "باوت" فكرةَ أنّ المحافظين الجدد هم شبكةٌ مترابطةٌ تمتلك مواردَ ونفوذاً إعلامياً وفكرياً ضخماً. في

---

[١] لمعرفة المزيد عن هذا الكتاب وعرضه باللغة العربية، راجع مقالة الأستاذ علاء بيومي، مدير الشؤون العربيّة في مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) المفصّل. المنشور بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٦ على شبكة الانترنت على موقع arabic@cair-net.org وعلى موقع "كير" على الإنترنت arabic@cair-net.org. فهو مصدر معلومات كل ما ساورده عن التعريف بهذا الكتاب.

المقابل يتّفقُ "باوت" مع مّن يعتقدون أنَّ المحافظين الجدد يؤمنون بأفكار الرئيس الأمريكي السابق "ويدور ويلسون" والذي دفع أمريكا بإتّجاه إنهاء عزلتها الدوليّة والعملِ على نشر المبادئ الديمقراطية "والليبرالية" في العالم!.

كما يحتوي الجزء الأول من الكتاب على مقال صغير للكاتب "ديفيد بروكس"، وهو أحد كبار مُحّرري مجلة (The Weekly Standard)، يرى فيه أنّ العداء للمحافظين الجدد هو عداءٌ "آيديولوجي" غيرُ عقلانيٍّ، ويرى أنّ الكتابات التي تتحدّثُ عن المحافظين الجُدد غالباً ما تدورُ حول عددٍ قليلٍ جدّاً من الأفراد والمؤسسات البحثيّة والمطبوعاتِ وأنّه لا يمكنُ لهذا العدد القليل من الأفراد والمؤسسات إختطافُ سياسةِ دولةٍ بأكملها!!!.

وتستمر اللهجةُ والكتاباتُ الدِّفاعيةُ خلال الكتاب إذ يحتوي الجزء الرابع وقبل الأخير منه على مقال "لجاشوا مورافشيك" الباحث بمعهد (American Enterprise Institute) يعارضُ فيه فكرة أن يكون المحافظون الجدد قد تأثروا بشكل قويٍ ومباشرٍ على المستوى الفلسفيّ بأفكار الفيلسوف الأمريكي الألماني الأصل "ليو شتراوس" والذي يرى بعضهم أنه الأب الفلسفي للمحافظين الجدد. وفي المقابل يرى "مورافشيك" أنَّ الرباط بين "شتراوس" والمحافظين الجدد هو نتاجٌ لأفكار بعض السياسييّن والكُتّاب الأمريكيين المتطرّفين والبعيدين عن المصداقيّة، ويُدَلّلُ على ذلك بترويج هؤلاء لفكرة أنَّ المحافظين الجدد يُدِيرون سياسة أمريكا لصالح إسرائيل، **حيث يرى "مورافشيك" أنَّ بعض أبرز المحافظين الجدد ليسوا يهوداً وإن كان الكثيرُ منهم يهوداً!!!.**

ويؤكد "آروين ستلزر" محرِّرُ الكتاب، والباحثُ الحاليُّ بمعهد (Hudson Institue) والباحث السابق بمعهد (American Enterprise Institute) على الفكرة ذاتها حيث يرى أنَّ رواجَ أفكار المحافظين الجدد في السنوات الأخيرة يعود لتغُّير الظروف الدّولية وأنّ هذه الظروف هي التي برّرتْ أفكار المُحافظين الجدد. **كما يرى بأنّ أفكارَ المحافظين الجدد ليست جديدةً فهي تُعَبِّرُ عن توجُّهاتٍ موجودةٍ وراسخةٍ في التّراث السياسي الأمريكي، كما يرى أنّ المحافظين الجدد يستمدّون أفكارهم من رؤساء أمريكيين عظماء سابقين مثل "ويدور ويلسون" وجون أدامز"، كما أنَّ رفضَ المحافظين الجدد للعمل الدولي وإيمانّهم بالقوّة الأمريكية ورغبتهم في نشر الديمقراطية هي أفكارٌ رائجةٌ في أوساطِ الشعب الأمريكي.**

وفي الجزء الأخير من الكتاب يؤكد **(مايكل جوف)** الكاتب بجريدة (The Times) البريطانية على أنّ جذور أفكار المحافظين الجدد تمتدُّ إلى تقاليد بعض أهم القادة السياسييّن

البريطانيين على مدى التاريخ المعاصر مثل وزير الخارجية البرريطاني "جورج كانينج" الذي قاد بريطانيا للإنتصار في حروبها ضدَّ "نابليون"، ورئيس الوزراء البريطاني "وينستون تشيرشيل" الذي قاد بريطانيا للإنتصار على ألمانيا النازيّة. **وهو يرى أنَّ هؤلاء القادة الكبار آمنوا بضرورة إستخدام الحروب الإجهاضيّة لحمايةِ أمنِ "بريطانيا" والعالم، وأنهم واجهوا إنتقاداتٍ عديدةً قبل شنِّهم لهذه الحروب، ولكنَّ التاريخ أثبتَ أنّهم كانوا على صوابٍ.**

لذا يدعو "جوف" الباحثين للإهتمام بالعلاقة بين أفكار المحافظين الجدد والتَّقاليد السياسية البريطانيّة، كما يدعو البريطانيين للإحتفال بالمحافظين الجدد كَوَرَثةٍ تلقائيين لتراثِ عظماءِ القادة السياسييّن البريطانيين، **كما يدعو اليمين البريطانيّ بشكلٍ خاصٍ واليمينَ الأوروبيّ بشكل عام للتعلُّم من المحافظين الجدد الأمريكيين وتقليدهم، فهو يرى أنَّ المحافظين الجدد نجحوا في الجمع بين عقلانيّةِ اليسَار وأخلاق اليمين والرؤية الواقعّية للطبيعة البشريّة ورؤيةٍ حديثةٍ للأخطار الدّولية المعاصرة وعلى رأسها مواجهةُ الأخطار القادمة من العالم الإسلامي!!!.**

أما "إيرفنج كريستول" والذي يعدُّ الأبَ الروحيّ الجديد للمحافظين الجدد فهو يشاركُ في الكتاب بثلاثة فصولٍ قصيرةٍ، يؤكّدُ في أوّلها على أنَّ التحالف بين المحافظين الجدد واليمين المسيحي المتديِّن هو أمرٌ لم يكنْ مُتوقَّعاً، ولكنّه أعطى المحافظين الجدد قوةً هائلةً، كما يشير إلى أن المحافظين الجدد كُتبتْ لهم "حياةٌ ثانيةٌ" في الفترة الحاليّة بعد أن توقّعوا نهايتهم في مُنتصَف التسعينات.

ولعل كلمات كريستول السابقة هذه تقودنا لحديثٍ مُعَمّقٍ عن كيفيّة عمل هذا اليمين المحافظ الجديد ومرتكزاته الفكرية ومن ثم عن تحالفاته الجديدة وهذا ما سيتم بحثه في الفصلين التاليين بعونه تعالى.

المبحث الرابع

المرتكزات الفكريّة لأجيال المحافظين الجُدُد

لا غنىً لكلِّ مـَن يحاول قراءة وفهم وتفسيـر ظاهرة "المحافظين" عـن قراءة كتاب **(The New American Militarism) (النزعة العسكرية الأمريكية الجديدة) لمؤلفه أستاذ العلاقات الدولية (Andrew Bacevich) "آندرو باسفيتش"** وقد صدر هذا الكتاب في شهر شباط من عام ٢٠٠٥ وإحتوى هذا الكتاب القيِّمُ على رؤيةٍ دقيقةٍ محايدةٍ عن المحافظين الجدد وتاريخهم وتطوّرهم كجماعةٍ، وعن الأفكار التي تحرِّكهُم.[*]

وفي هذا الكتاب يذهب المؤلف إلى أنّ المحافظين الجدد إنّما يتكّونون من جيلين متميّزين من المفكّرين والمثّقفين والمُحلّلين السياسيين؛ أمّا **الجيلُ الأول** فقد تبلورَ في الستّينات من القرن العشرين. وجاءت أفكاره كردِّ فعلٍ للظروف الدولية، والتحدّيات الدّاخلية التي تعرّضت لها أمريكا خلال الفترة الممتدة من الحرب العالمية الأولى حتى نهاية حرب "فيتنام" في منتصف السبعينات من القرن الماضي. **وأما الجيل الثاني** فقد ظهر في التسعينات من القرن نفسه وجاءت أفكاره لتعبِّر عن الظروف الأمريكية والدولية في هذه الفترة، لذا يؤمن "باسفيتش" بإمكانية العثور على تناقضاتٍ في مواقف الجيل الأول مقارنةً بالجيل الثاني من أجيال المحافظين الجدد؛ نظراً لأنَّ كلَّ جيلٍ نشأ في ظروفٍ مُختلفةٍ مؤمناً بأفكارٍ متميّزةٍ. وقبل عرضه للمرتكزات الفكرية للجيل الأول يؤكد "باسفيتش" على بعض القواسم المشتركة بين جيلي المحافظين الجدد، مثل إيمانهم بدور الأفكار في تغيير الواقع، وسعيهم الدائم للتأثير على مسار الجدل الأمريكي العام بخصوص القضايا التي تهُّمهم، وعرض أفكارهم ومهاجمة معارضيهم، وخطابهم الذي يتميَّزُ بالثّقة والحماس والرّضا الدّاخليّ بشكلٍ مبالَغ فيه أحيانا.

بالنسبة للجيل الأول يرى "باسفيتش" أنّ المرتكزات الفكريّة لهذا الجيل تقوم على أفكار ستٍ رئيسية هي:

أولاً: الفكرة الأولى وهي تتعلّقُ بنظرة المحافظين الجدد للتاريخ وخاصّةً لأحداث الفترة الممتدّة من الحرب العالمية الأولى وحتى الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي شهدت الكسادَ الكبير

---

[*] لمعرفة المزيد عن هذا الكتاب وعرضه باللغة العربيّة راجع مقالة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق الشايجي، المحافظون الجدد ... محاولة للفهم، المنشورة على شبكة الإنترنت على موقع (www.gogel.net) بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٢٤ ومقالة الأستاذ علاء بيّومي، مدير الشؤون العربيّة في مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير)، كيف يفكّر المحافظون الجدد؟ المنشورة على شبكة الإنترنت على موقع arabic@cair-net.org ومقالة الأستاذ جيمس الزعبي رئيس المعهد العربي الأمريكي، كيف يعمل المحافظون الجدد، المنشورة على شبكة الإنترنت على موقع صحيفة الأوطان www.alawtan.com.

وصعود النازية وتراجع دور أمريكا الدولي بعد الحرب العالمية الأولى، ويقول باستفينتش أن هذه الفترة أكدت لدى المحافظين الجدد قناعتين مركزيتين أولهما **أن الشرَّ ظاهرةٌ حقيقيّةٌ واقعيةٌ موجودةٌ لا يمكن إنكارها، وثانيهما أنَّ صعود الشرِّ مرهونٌ بشرطٍ بسيطٍ وهو تواني أعدائه عن مقاومته،** وهنا يرى المحافظون الجدد أن عزلة أمريكا وإنغلاقها على نفسها مثّلَ سبباً رئيسياً لصعود النازية وانتشارها وما قادت إليه من شرور.

ثانياً: الفكرة الثانية وهي تتعلق **بدور القوّة العَسكريّة كأداةٍ أساسيةٍ لمواجهة الشر،** حيث يرى المحافظون الجدد أنّ القوة العسكرية، وليس الدبلوماسية أو العدالة أو المجتمع الدولي، هي التي تمكنت من إيقاف زحف النازي، لذا يكنُّ المحافظون الجدد قدراً كبيراً من الرفض والتشاؤم فيما يتعلق بدور المنظمات الدولية والقانون الدولي وجهود الحدِّ من التسلُّح، حيث يرون **أنَّ القوّة العسكريّة يجب أن تبقى أساسا رئيسياً للسياسة الخارجيّة الأمريكيّة.**

ثالثاً: الفكرة الثالثة وهي رفضُ المحافظين الجدد المطلق لفكرة عزلة أمريكا أو تراجع دورها الدوّلي، **فهم يرون أن لأمريكا دوراً تاريخّياً كقائدةٍ للعالم الحُرِّ وحاميةٍ له وكناشرةٍ للديمقراطية والحريّة خلال العالم، كما يرون أن على أمريكا والأمريكيين القبول بهذا الدور وتحّمل تكلفته مهما كانت،** فهم يرون أن رغبة الأمريكيين في العزلة هي رغبةٌ أنانيّةٌ.

رابعاً: الفكرة الرابعة وهي بحث المحافظين الجدد الدّائم عن مشاريعَ وأهدافٍ خارجيّةٍ كبيرةٍ لأمريكا، لذا عاني المحافظون الجدد كثيراً خلال السبعينات والثمانيات بسبب تبعات حرب "فيتنام" التي أثرت سلباً على تأييد الشعب الأمريكي للجيش ودور أمريكا الدّولي، كما عانى المحافظون الجددُ أيضاً مع نهاية الحرب الباردة وتآكُل الإتحاد السّوفياتي في نهاية الثمانينات، لأنّ ذلك أفقدَ المحافظين الجدد المشروع الكبير الذي يمكّنهم صياغة سياسة أمريكا من خلاله.

خامساً: الفكرة الخامسة وهي **إيمانُ المحافظين الجدد بدور القيادة السياسيّة، وسعيهم الدّائم للعثور على قيادةٍ سياسيةٍ حاسمةٍ قادرةٍ على صناعة التّاريخ،** ولذا كره المحافظون الجدد (كارتر) الذي ركّزَ على دعاوى السلام والحدِّ من الحروب في العالم، ولم يرضوا بشكلٍ كاملٍ عن (ريغان)، لأن خطاب ريغان القوي الرنان لم يطابق أفعاله في أغلب الأحيان.

سادساً: الفكرة السادسة وهي داخليّةٌ تعبِّرُ عن **إيمانِ المحافظين الجدد بدور السلطات التقليدية كالآباء والجيش ومؤسسات تنفيذ القانون والأسرة داخل المجتمع الأمريكي،** فقد رفضَ المحافظون الجدد الثورةَ الثقافية التي إجتاحت أمريكا في الستّينات والتي نادت بالتعدّدّية

الثقافيّة وحقوق الأقليّات والناس والشّواذ، إذ رأى المحافظون الجدد أنَّ الهجوم على المؤسسات التقليدية من شأنه أن يُضعفَ أمريكا داخلياً مما يُضْعِفُها خارجياً.

وأمّا بالنسبة للجيل الثاني فقد برز بشكلٍ واضح، كما يرى "باسفيتش" في العام ١٩٩٥ وذلك بعد إستقالة "نورمان بودهوريتز" من رئاسة تحرير مجلة "Commentary" وهي اللسان الناطق بإسم المحافظين الجدد وكانت تصدرُ عن اللجنة اليهودية الأمريكية وحلَّ مكانها **(في السيطرة)** مجلة (The Weekly standard) التي أسّسها ويليام كريستول إبن "إيرفنج كريستول" (الذي أشرتُ إليه فيما مضى بوصفه الأب الروحي الجديد للمحافظين الجدد عند حديثي عن كتاب "قارئ المحافظين الجُدُد" ومن المعلوم أنّ المموِّل والدّاعم بهذه المجلة هو إمبراطور الإعلام والملياردير اليهودي المعروف "روبرت مردوخ" المشهور بميوله اليمينية المتطرّفة. وقد تميّزت هذه المجلّة في مقالاتها ورسوماتها بنزعةٍ جماهيرية، على حدّ وصف باسفيتش لها، كما يرى أنّ الجيل الثاني من أجيال المحافظين الجدّد تميَّزَ بنزعةٍ "آيديولوجية" وحركيّةٍ وجماهيريةٍ أكبرَ من الجيل الأول **مع الأخذ بعين الإعتبار أن الجيل الأول صعد في فترةٍ خيَّم فيها على الرأي العام الأمريكي شعورٌ بعدم الثقّة في القوة والسيّاسة الخارجيّة الأمريكية نتيجةً لما حدثَ في "فيتنام"، لذا سعى الجيل الأول بالأساس لإعادة الثقة المفقودة، أمّا الجيل الثاني فقد ظهر بعد فوز أمريكا بالحرب الباردة وبعد أن أعاد "ريغان" ثقة الأمريكيين في جيشهم، لذا تبنّى الجيل الثاني هدفاً مختلفاً وهو كيفية إستخدام أمريكا قوّتها وموقعها الدّولي غير المسبوق كقطب وحيدٍ للعالم في تحقيقِ أهدافِ أمريكا وتشكيل العالم وفقاً لرؤيتها.**

ويرى باسفيتش أن المرتكزات الفكريّة لجيل المحافظين الجدد الثاني إنّما تقوم على الأفكار الخمس التالية:

أولاً: الفكرة الأولى وهي أنَّ سيطرة أمريكا ونفوذها غير المسبوق على النّظام العالمي هي قوّةٌ ما زالت في بدايتها ينتظرها مستقبلٌ طويلٌ، وهي قوّةٌ يدركها العالم ويبحث عنها ويؤيدها، إذ **يرى المحافظون الجدد أنَّ العالم يبحثُ عن قائدٍ، وأنّ أمريكا هي حتماً هذا القائد؛ فسيطرةُ أمريكا وسيادتها المطلقة على العالم، من وجهة نظرهم، هي مصدرُ إستقرار النظام العالميّ،** لذا فهم يرون أنَّ من الطبيعي أن يتوحَّدَ الغربُ وغيرهُ من دول العالم تحت القيادة الأمريكية لإعادة تشكيل النظام العالميّ الجديد.

ثانياً: يترتب على القناعة السابقة فكرة "ثانية" **وهي أنَّ فشلَ أمريكا في إستغلال الفرصة الرَّاهنة وعجزها عن قيادة العالم وتشكيله سوف يؤدي لإنهيار النظام العالمي الرّاهن، وأنّ الفوضى هي البديل الوحيد المحُتَمل لفشل أمريكا في قيادة النّظام العالميّ في الفترة الراهنة.**

ثالثاً: الفكرة الثالثة وهي أنّ قوة أمريكا العسكرية غير المسبوقة هي أداةٌ رئيسيةٌ لحفاظ أمريكا على مكانتها ولنجاحها في القيام بمهمتها كقائدةٍ للعالم ومُحافِظَةٍ على السّلام العالميّ، وهنا **يرى المحافظون الجدد أنّ وظيفة القوّة العسكرية الأمريكية الرئيسية ليستْ تجميع الأسلحة والقوات وكنزها ولكن إستخدام هذه القوات في مشاريعَ طموحةٍ وحاسمةٍ لصناعة نظامٍ عالمي قائم على السيّطرة الأمريكية ودعمها. كما يرى المحافظون الجدد أنَّ القوة العسكرية لا يجبُ أن ينُظرَ إليها كخيارٍ أخيرٍ؛ فالحربُ بالنسبة لهم هي أداةٌ لخدمة أهدافٍ كبُرى مثاليّةٍ، كما أنّ السلام الحقيقي هو السلام الذي يتبعُ النَّصرَ في المعركة.**

رابعاً: الفكرة الرابعة وهي إلتزام المحافظين الجدد المطلق بدعم القوّة العسكريّة الأمريكية وجهود تسليح وتطوير وتحديث القوات العسكرية الأمريكية.

خامساً: الفكرة الخامسة وهي رفضُ المحافظين الجدد للساسة الواقعيين وللساسة المترددين في إستخدام القوة؛ **فالواقعيّة والتردُّدَ في إستخدام القوة يمثّلان للمحافظين الجدد مرضين خطيرين.**

وقد قام الأستاذ "جيمس الزعبي" بمحاولةٍ جَمعَ فيها، تقريباً، كلَّ المقالات في الصحف والمجلات الأمريكية التي تناولت الأسس الفكرية للمحافظين الجُدد والتي تُلقي الضوء على أفكارهم السياسيّة الخاصّة بهم ومن خلال إستعراضنا لتلك المقُالات [كما يقول الأستاذ الزعبي] تبرز أمامنا ثلاثُ أفكار رئيسيّةٍ هامّةٍ: (١)

أولاً: دور النُّخبة أو الصَّفوة:

إنَّ اتباع "شتراوس" هم "طائفة" وإنَّ "شتراوس" كان يؤمنُ بأنّ الحقيقة الأساسية حول المجتمع والتاريخ الإنسانيين يجبُ أن تتبنّاها نخبةٌ أو صفوةٌ، ويجب أنّ يُبعدا عن الآخرين لأنهم لا يملكون القدرة على التعامل مع الحقيقة. وكان "شتراوس" يؤمن بأنَّ رجل الدولة الجيِّد يجبُ أن يعتمد على (بطانةٍ خاصّةٍ). وما من شكٍّ أنّ المحافظين الجدد كانوا ينظرون لأنفسهم من هذه الزاوية.

(1) الأستاذ جيمس الزعبي، رئيس المعهد العربي الأمريكي، كيف يعمل المحافظون الجدد؟ مقالة منشورة على شبكة الإنترنت على موقع صحيفة الأوطان www.alawtan.com.

ثانياً: سياسةُ الخِداع:

وترتبط مع الدور المُهم الذي تلعبه النُّخبةُ في حماية الفكرة التي تقول إنّ على الفلاسفة إطلاق أكاذيبَ (نبيلةٍ) للناس والسياسيين المؤثرين على حد السواء. كما إنه مّن الضروري إخبار الناسِ الأكاذيب حول طبيعةِ الواقعِ السياسيّ ... وتُبقيْ النّخبةُ الحقيقة لنفسها، وهذا يمنحُ النَّخبة تبصُّراً وقوةً لا تتوافر للآخرين.

ثالثاً: الحاجة لوجود خطرٍ أو تهديدٍ خارجّي:

أشارت بعض المقالات الحديثة إلى كتاب "شادية درووري" المُعنوَن "ليو شتراوس واليمين الأميركي" تتحدّثُ فيه المؤلّفةُ قائلةً: إنّ "شتراوس" يعتقد بأنّ إستقرارَ الوضع السياسي مرهونٌ دائماً بوجودِ تهديدٍ خارجيّ ... وبتأثيرٍ من "ميكافيللي" يعتقدُ "شتراوس" إنّه في حالة عدم وجود خطرٍ خارجيٍ يهدّدُ البلد علينا إيجاد ذلك الخطر ... ويضيف شتراوس إنَّ علينا النّضال دوماً ... وهذا بدوره سيؤدي إلى ظهور سياسةٍ خارجيةٍ مُقاتِلةٍ.

وإنني أرى من المناسب أن أضيف في نهاية هذا المبحث إلى ما سبق من نقاطٍ في المرتكزات الفكرية للمحافظين الجدد مبدأ فكرياً هامّاً ألا **وهو الفوضّى الخلاَّقة (أو البنّاءة)** وهو مبدأ مُستنبَطٌ من مبادئ الفيلسوف "ليو شتراوس"، السابق ذكره، حيث يرى هذا الفيلسوف (الأب الروحي للمحافظين الجدد) أنّ السُّلطة الحقيقيّة لا يمكن ممارستُها إذا ما بقي المرءُ في حالةِ ثباتٍ أو حافظَ على الوضع الراهن، بل على العكس فإنه ينبغي العملُ على تدمير كلِّ أشكال المقاومة. ويعلّقُ الصحفي الفرنسي "تيري ميسان" على ذلك بقوله: **[الفكرةُ بإختصارٍ: إغراقُ الجماهير بالفوضى كيّ تتمكن الصَّفوة من ضمان إستقرارِ وضعها. أيضاً، حسب رأيِ الخبراء بفكر "ليو شتراوس"، بهذا العُنفِ فقط يمكنُ أن تندمجَ المصالحُ الإستعماريّةُ للولايات المتحدة مع المصالح الإستعمارية للدولة العبرية].** [(١)] ثم يقول بعد ذلك معلّقاً على المعهد الذي كان سبباً لبث أفكار هذا الفيلسوف شتراوس [لقد تعلم جنرالات إسرائيل والولايات المتحدة كيف يتعرَّفون على بعضهم الآخر منذ حوالي ثلاثين عاماً وذلك بفضل اللقاءات المُتبادلة التي ينظّمُها المعهدُ اليهوديُّ لشؤون الأمن القومي (JINSA) وهو مؤسسة تفرضُ على كبار العاملين فيها متابعة كافةِ الحلقات الدراسيّة والندوات المتعلّقة بأفكار وأطروحات ليو شتراوس].[(٢)]

---

(1) الكاتب والصحفي الفرنسي ثيري ميسان رئيس تحرير شبكة فولتير، المحافظون الجدد وسياسات الفوضى البنّاءة، مقالة منشورة على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١٣ على موقع www.voltaire.htm.

(2) الكاتب والصحفي الفرنسي ثيري ميسان [م. س] ص ٢..

يقول المحافظ الجديد مايكل ليدن: [أميركا هي بلد مُدَمِّرٌ بشكلٍ رهيبٍ ... والتدمير المبُدِعُ هو مِّيزَتُنا الفارقة. وهكذا نهدّد استقرار كل بلدان العالم ... وبالنتيجة فالإستقرارُ ليس ما نريده نحن، ولم تُولَد الولايات المتحدة من أجله. نحن مجتمعٌ ثوريٌ كبيرٌ في العالم ونريدُ الثورةَ. ولا نريدُ الإستقرار نريد إسقاطَ كلِّ الظالمين المستبدّين .. وفوق كلِّ شيءٍ نجسِّدُ رؤيةً مسيحيانيةً يبدو إنتصارها أكيداً. ورسالتنا الموجَّهة إلى العالم هي رؤيتنا المسيحيانية: انتصارُ الحريّة في كلِّ مكانٍ من العالم. هذا الأمر يُشَكِّلُ جزءاً من تركيب الـــ DNA فينا]. [١]

وبالعودة لكلام الكاتب والصحفي "ثيري ميسان" حول لقاءات الجنرالات الأمريكان بنظرائهم من الجنرالات الصهاينة في "مصنع الأفكار" و"غسيل الأدمغة" المعهد اليهودي لشؤون الأمن القوميّ فإنّه يقودنا للحديث عن المبحث القادم والذي يتحدّثُ عن التحّالف بين المحافظين الجُدد واللوبي[٢] المسيحي الصهيوني ودعم القيادة الأمريكية البروتستانتية للكيان الصهيوني منذ ولادته وحتى يومنا هذا.

وقبل إنهاء هذا المبحث أودُّ التأكيد على الملاحظات التالية المتعلّقة بالمحافظين الجدد:

الملاحظة الأولى: إنّ المحافظين الجدُد ليسوا أشخاصاً بعينهم، حتى وإنْ برزَ منهم بعضُ الأشخاص والزّعماء، لكنّهم في حقيقة الأمر تيّارٌ يشملُ فئاتٍ كثيرةً من الناس تحمل الفكر اليمينيَّ المتطّرفَ، وخطورتهم تكمن في أنّهم كُتّابٌ ومفكّرون ومثقفون أصحابُ فكرٍ متجدّدٍ وقدرةٍ على الجدل، وهذا يعني أنَّ نفوذ المحافظين الجدد صعبُ التحجيم؛ فالأفكار لا تُقالُ أو تستقيل، (وخلال السنوات الأخيرة ساندَ المحافظون الجدد بقوّةٍ عدداً من الأفكار التي إكتسبتْ رواجاً واسعاً في واشنطن وعلى رأس هذه الأفكار الإيمانُ بأنَّ أمام أميركا فرصةً غيرَ مسبوقةٍ لإعادة صياغة النّظام العالمّي نابعةً من حالة الفراغ التي يعيشها النظّامُ العالميّ الرّاهنُ بعد سقوط الإتحاد السوفياتي، وهو فراغٌ يجب أن تملأه أميركا، كما ينادي المحافظون الجدد، إنطلاقا من الهويّة الأميركية ذاتِها التي تؤمن بأنّ الأميركيين شعبٌ خَيِّرٌ ديمقراطيّ غيرُ إستعماريٍ، يريد مساعدةَ العالم القديم على اللّحاق بالعالم الجديد المتقدمِّ والذي تمثّلهُ أميركا)[٣]

---

(1) آلان فوشون ودانيال فرنه [م.س] ص ٤٣، ٤٤. والأستاذ قيصر عفيف [م. س] ص ٢ نقلاً عن (مايكل ليدن) في كتابه (الفاشيّة العالميّة).
(2) جماعات الضّغط السياسي.
(3) مقالة الأستاذ علاء بيّومي، المحافظون الجدد وصقور واشنطن باقون، المنشورة على شبكة الإنترنت على موقع الشبكة الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/١٣.

الملاحظة الثانية: نعم، إنّ تلاميذَ الفيلسوف "ليو شتراوس" وزملاءه الذين تأثّروا بأفكاره ومعتقداته في جامعة "شيكاغو" وهم أبرزُ مَن حمل لواء المحافظين الجدد في القرن العشرين وتبؤوا مناصبَ هامّةً وحسّاسةً في الولايات المتحدة ساهموا من خلالها في نشر هذا الفكر داخل الولايات المتحدة وخارجها (شغل طلاب "شتراوس" وطلاّبُهم مناصبَ مُهمةً في إدراتيْ "ريغان وبوش" ولا يزالون يلعبون دوراً أساسيّاً في الحزب الجمهوري. وبين الأسماء البارزة "بول وولفوفيتز"، السفير لدى أندونيسيا ثم نائب وزير الدفاع (والآن رئيس البنك الدولي)، وسيث كروبسى، كاتب خطابات "كاسبر واينبرغر"، "وجون إغرستو"، نائب رئيس الوقف الوطني للإنسانية، "وكارنز لورد"، المسُتشار في مجلس الأمن القومي، "وآلان كيز" مساعد وزير الخارجية للمنظّمات الدوليّة، والقاضي "روبرت بورك"، والقاضي في المحكمة العُليا "كلارنس توماس"، ووزير التعليم السابق "وليام بنيت"، ثم "وليام كريستول"، رئيس تحرير "ويكلي ستاندارد" النّاطقة بلسان المحافظين الجدد، وكان شغل منصب رئيس اركان مكتب نائب الرئيس دان كويل، "وزالماي خليل زاد")[١]

الملاحظة الثالثة: يرفض كثير من الكتّاب والمؤلّفين تسمية المحافظين الجدد؛ لأنّ الأصل أن نستخدمَ إسماً جديداً ينطبقُ على جوهر ممارساتهم وعقائدهم (فهم ليسوا محافظين، لأن "المحافظِ" يعملُ على الحفاظ على الوضع القائم والمبادئ الأخلاقية التقليدية وعلى الأعراف المتعارَف عليها. وقضايا هؤلاء ليست قضايا المحافظين التقليدية، كمنع الإجهاض وفرض الصّلاة في المدارس، مثلاً، إنّما السيطرة الكاملة داخل الولايات المتحدة وخارجها. وهذه السيطرة لا تتحققُ إلاّ في وجود خطرٍ خارجيٍّ، ولدى غياب هذا الخطر علينا، كما يقول شتراوس، أن "نخترعه". وبحجّة هذه الأخطار، سلبوا الأمريكي العادي حقوقه التي صانها الدستورُ على مدى القرنين الماضيين. وبحجّة الأمن، قضوا على الحريّة الفرديّة وصادروا حرية الرأي. وزرعوا الخوف في النّفوس وأوهموا الناس بأنهم يدافعون عنهم)[٢].

الملاحظة الرابعة: يُؤمن المحافظون الجدد بأنّ الخطر الأساسي الذي يهدِّدُ أميركا حاليا هو خطرُ الإرهاب الذي تقوم به جماعاتٌ مُسلمةٌ بالأساس، والتي يختلف المحافظون الجدد على

---

(1) مقالة الأستاذ جهاد الخازن، عيون وآذان "عودةٌ إلى المحافظين الجدد ـ ١ ـ" المنشورة في صحيفة الحياة بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٢٢.

(2) مقالة الاستاذ قيصر عفيف، (أولئك المحافظون الجدد الأمريكيون ليسوا محافظين ولا جُدُداً)، المنشورة على شبكة الإنترنت على موقع .maaber@-net.org

تسميتها، **ولكنهم يتّفقون على أنّ العالم الإسلامي عموماً والشرق الأوسط خصوصاً هما نقطة إنطلاق أميركا في سياستها لإعادةِ بناء النظام العالميّ الرّاهن.**

المبحث الخامس

تحالفُ المحافظين الجدُد مع المسيحيين الصّهاينة

ويقول "دوغلاس كريغر"[(١)] "إن الإنجيليّين الأصوليّين مَفتونون بالأرض التي وَعد اللهُ بها إبراهيمَ ونسلَه. **وإنّ بإستطاعة إسرائيل إستخدامَ الإنجيليّين الأصوليّين في أن يبثّوا عبر شبكاتهم الإذاعية والتلفزيونية الهائلة صورةً لإسرائيلَ يحبُّها الأميركيون ويقبلونها، وفضلاً عن ذلك يستطيعُ اليمينُ المسيحُيّ أن يُقنِعَ الأميركيين بالفكرة القائلةِ إنَّ الربّ يريدُ إسرائيل قويةً، مُحاربةً، ومدجّجةً بالسلاح. وإنّه كلّما إزدادت إسرائيلُ عسكرّيةً كلّما أصبح اليمينُ المسيحي الأميركي مؤيداً لها ومَسحوراً في دعمها**"[(٢)]

لعلَّ الصورةَ باتت واضحةً لدينا الآن حول إلتقاء المصالح الدينيّة والحيوية لكلٍّ من هذين التيّارين في الولايات المتحدة. ولو غضضنا الطّرفَ عن المصالح الحيويّة والإستراتيجيّة المشتركة بينهما لكانت المصالح الدّينيةُ وحدها كافيةً لعقد مثل هذا النوع من التحالف؛ وأقصدُ بهذه المصالح الدينيّة الخلفيّة التّوراتيّة المشتركة لهما ... وليس من الصّواب نسبةُ هذا التحالف ليوم محدَّدٍ بعينه؛ فهو نتاجُ تطوّراتٍ تاريخيّةٍ وسياسيةٍ وجُغرافيةٍ ودينيّةٍ مُتَّصلةٍ منذُ زمنٍ بعيد جدّاً. لكنَّ الذي حدثَ هو نموُّ هذا التحالفِ بشكلٍ لافتٍ للنظر خلال القرن الماضي خصُوصاً في السبعينات والثمانينات عندما بدأت شخصياتٌ بارزةٌ من تيّار اليمين المسيحي **تقرُّ علناً بأنّ دعم إسرائيل فرضٌ لكل مسيحيٍّ**، فقد قال "جيري فالويل" مؤسس حركة "الأغلبية الأخلاقية **[إنَّ الوقوف ضدّ إسرائيل هو كالوقوف ضدَّ الربّ. نحن نؤمن بأن الكتاب المقدس والتاريخ يثبتان أن الربّ يُجازي كلّ أمةٍ بناء على كيفية تعاملها مع إسرائيل]**. [(٣)]

وقد قدَّم رئيسُ الوزراء الإسرائيليُّ السّابقُ "مناحم بيغن" جائزة "جابوتنسكي"[(٤)] "لفالويل" عام ١٩٨١ تقديراً لدعمه لإسرائيل. كما قدَّمت الحكومُة الصهيونية طائرةً خاصّةً من نوع (ويند ستريم) يتراوح ثمنها بين مليونين ونصف إلى ثلاثة ملايين ونصف من "الدولارات" إضافةً إلى نصف مليون دولار ثمن قطع غيارٍ لها[(٥)].

---

(1) واحدُ من الزعماء الإنجيليين المتطرّفين في الولايات المتّحدة. وهو نائب رئيس المنبر الأمريكي للتفاهم المسيحي واليهودي والمدير التنفيذي لمؤسسة جبل الهيكل في القدس.

(2) الأستاذ جورجي كنعان، [م. س] ص ١٥٩.

(3) الأستاذ هشام سلامة، تحالف المسيحيّة الصهيونية واليهودية الصهيونية، دراسة منشورة على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٩. على موقع www.aljazeera.net ضمن ملفات (المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية).

(4) فلاد يمير زيف جابوتنسكي مفكر صهيوني يميني بنى مليشيات "الهاغاناه" وانشأ الحركة التصحيحّية داخل المنظمة الصهيونية.

(5) غريس هالسل، النبؤة والسياسة [م. س] ص ٧٠.

"كما شهد عام ١٩٨٠ تأسيسَ منظّمة السّفارة المسيحية العالميّة بالقُدس بهدف تقويمة الدّعم المسيحيّ العالميّ لإسرائيل. وكانت القدسُ شهدت عام ١٩٧٦ تأسِيسَ منظمة "جسور للسلام" والتي تصَفُ مَهمّتها في تحقيق السّلام على النحو التالي "**نُعطي من خلال برامجنا فرصةً للمسيحيين، سواءٌ داخلَ أو خارجَ إسرائيل، للتعبير عن مسؤوليتهم الكتابيّة أمام الرب كأولياء لإسرائيل وللمجتمع اليهودي**"[(١)]

ولعلّ السؤال الذي كانَ الشارعُ العربي ولا يزال يسأله هو لماذا كلُّ هذا الدعم الأمريكي لإسرائيل؟ ولماذا هذه المعاداة للعرب والمسلمين؟ لماذا يحبّونهم ويكرهوننا؟ ويساعدونهم ويحاربوننا؟؟ وفي الإجابة عن هذه التساؤلات الهامّة المُلحَّةِ أقول: إنّ سبب هذا التحالف الأمريكي الإسرائيليّ "أو فلنقل البروتستانتي الصهيوني" لا نستطيعُ أن نفهه تمام الفهم إلاّ إذا وقفنا على عقائد هذين الطرفين وعرضناهما، لنفهم من خلال ذلك سبب هذا الدعم المطلَق المتواصل لهم وسبب هذه الكراهية المطلقة المتواصلةِ لنا ولعروبتنا ولإسلامنا.

عقائد المحافظين الجدد والمسيحيين الصهاينة

تعتقد الفئاتُ اليميّنة إعتقاداً يقينياً بأنّ دولة إسرائيل السياسيّة هي دون أيِّ شكٍّ "إسرائيل الكتاب المقدس والنبوءات"، وترى في إنشاء دولة إسرائيل تحقيقاً لجزءٍ رئيسيٍّ من خِطّة الإله للكون ولنهاية الزمان. وتستمرُّ هذه الفئات بإستعمال وسائل الإعلام للتأثير على الرأي العام حيال هذا الموضوع. وكان الدكتور فؤاد شعبان قد عرض ملخّصاً لمعتقدات اليمين المسيحي المحافظ في كتابه "من أجل صهيون"[(٢)] ومنها:

١. عصمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.
٢. كل حرفٍ كتبه مؤلّفو الكتاب المقدّس بجميع أجزائه وأسفارهِ هو وحيٌ من الله أو الرّوح القدُس الذي حلَّ فيهم.
٣. القراءةُ الحرفيّةُ للكتاب المقدّس، ودقةُ النبؤءات المقدّسةِ بكل تفاصيلها.
٤. تحقيقُ جميع النبّوءات على الأرض (أرض إسرائيل).
٥. حتّميةُ الصّراع بين قوى الخير (جيش المسيح) وقوى الشر (جيش الشيطان) وإنتصار الخير في معركة (مجيدّو).

---

(1) الأستاذ هشام سلامة، [م. س]، ص ٢.
(2) الدكتور فؤاد شعبان، [م. س] ص ٢٤٠.

ويعلق الدكتور "شعبان" على هذه المعتقدات بقوله: [١] "ينطلق الفكر النبوئيّ الذي يؤمن به اليمين المسيحي، وخاصة في أمريكا، من مبدأ أساسيٍ هو أنّ الكتاب المقدّس بجميع أسفاره وكتبه هو كلامُ الله المنُزَلُ وأنّ كلّ ما جاء فيه معصومٌ بكلامه وحروفه. ويمضي النبوئيون في هذا الفكر إلى القول أيضاً بأنّ تفسيرَ هذا الكتاب الذي يختارونه هو أيضاً يقينيٌّ معصومٌ عن الخطأ".

وقد تقدّم الآب "قسطنطين قرمش" الراعي الروحي "لأرثوذكس" الأردن والذي هو عضوٌ في المجلس الوطني الفلسطيني بوثيقةٍ[٢] للمجلس عرض فيها مُلخصاً لإعتقادات المسيحيين الصهاينة وممّا جاء في تلك الوثيقة:

أ. المسيحُ قادمٌ ليحكمَ اليهود في فلسطين مدّةَ ألفِ عام.

ب. تجميعُ كلِّ يهودِ العالم في فلسطين.

ج. بناءُ الهيكل الثالث على أنقاضِ المسجد الأقصى المبارك.

د. القدسُ هي العاصمةُ الأبديّةُ لإسرائيل.

هـــ. على الحكومات أن تعترفَ بإسرائيل "دبلوماسيّاً" لتدعمها دوليا، وتعارض أيّة مقاطعةٍ إقتصاديةٍ.

و. السماحُ لهجرة اليهود من جميع انحاء العالم وخاصّةً من الإتحاد السوفيتي.

ز. على جميع الدّول نقلُ سفاراتها إلى القدس.

ح. على جميع الشّعوب الصّديقة أن تكفَّ عن تسليح أعداء إسرائيل.

ط. على جميع الحكومات أن تتوقّفَ عن إستضافة الإرهابيين.

ي. تشجيعُ توطين اللاجئين وإستيعابهم في البلاد العربية؛ لأن نداءات القادة العرب عام ١٩٤٨ هي التي أجبرتهم على إخلاء ميادين القتال.

ك. الإستيطان في الأجزاء من الأرض غير الآهلة بالسكّان.

ل. وختاماً، إنّ أسوأ هذه الترّهات هو ما يمسُّ الذات الإلهية؛ إذ يعتقدون أنَّ المسيحيين الذين يقومون بأعمالٍ يخدمون بها مصلحة إسرائيل، سيتعرضون إلى حسابِ آخرةٍ مُخففٍ لأنهم شاركوا في أعمالٍ تهدف إلى تقديم المساعدة والدعم لدولة إسرائيل الحديثة!!!.

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ٢٤٠.

[2] نصُّ الوثيقة معروضٌ بتفاصيله الكاملة على موقع شبكة "المهندس للإستضافة وتصميم المواقع" وقد كانت الوثيقة جزءً من دراسةٍ أعدّها الأستاذ لقمان إسكندر تحمل عنوان (تعرّف على المسيحيّة الصهيونية).

ولعلَّ نظرةً واحدةً إلى ما سبق عرضهُ تكفي للجزم بأنّ معتقداتِ الطرفين قريبةٌ جدّاً من بعضها، بل إنّها تتطابق في بعض نصوصها، وعلى وجهِ الخُصوص تلك التي تتعلّق "بإسرائيل". ومن هنا يصحُّ القولُ بأنَّ سبب هذا التَّحالف والدّعم المسيحي الأمريكي لليهود ولاحقاً للكيان الصّهيوني بعد إنشائه يستندُ إلى جذورِ المعتقداتِ التي يُؤمِنُ بها والتي برزت مع بداية بروزِ المجتمع الأمريكي وتشكيله.

"ظهر رئيس جامعة "بوب جونز" المسيحية المتطرِّفة على إحدى قنوات التلفاز الأمريكي يوم ٢٠٠٢/١٢/٢١ في برنامج "لاري كينغ" ذي الشعبيّة الكبيرة، وأجاب عن سؤالٍ يتعلّقُ بسبب دعم اليمين المسيحي لإسرائيل دون قيودٍ؛ فقَال: **[لأنَّ إسرائيل هي شعبُ الله، وتحقيقٌ لنبوءات الكتاب المقدّس كما يقول الله في سِفر (أخبار الأيام الثاني ٣٦). كلُّ مسيحيٍّ يقرأ الكتاب المقدّس يعرفُ ذلك، وعليه أن يدعم إسرائيل ويؤمن بقدسيّة هذا الشّعب]**"[(١)]

ومن هُنا نفهمُ هذا الدعمَ للكيان الصهيوني على أنّه مساهمةٌ واجبةٌ من قبل البروتستانت تمهيداً لتحقيق بقيّة نبؤات آخر الزمان. قال الرئيس الأمريكي السابق "جيمي كارتر" في حديثٍ ألقاه أمام "الكنيست" الإسرائيلي في شهر آذار عام ١٩٧٩:

"**لقد آمنَ وأظهرَ سبعةٌ من رؤساء الجمهوريّة أنَّ علاقة أميركا بإسرائيل أكثرُ من مجّردِ علاقةٍ خاصّةٍ. لقد كانت ولا تزالُ علاقةً فريدةً. وهي علاقةٌ لا يمكنُ تقويضُها لأنّها متأصِّلةٌ في وجدان وأخلاقِ وديانة ومُعتقدَات الشّعب الأميركيَ نفسه. لقد أقامَ الرُّوادُ وأقوامٌ تجمّعوا في كلا الشَّعبين من دولٍ شتى إسرائيلَ والولاياتِ المتّحدةَ ــ فشعبي كذلك أمّةُ مهاجرين ولاجئين ... إنّنا نتقاسمُ معاً ميراث التوراة ....**" [(٢)]

وفي دراسةٍ خاصّةٍ[(٣)] عن أسباب التّحالف بين المُحافظين الجُدد والصهيونيين المسيحيين أجراها البروفسور القس "دونالد واغنر" من جامعة "نورث بارك" بشيكاغو، يؤكد هذا "البروفسور" أنّ دعمّ هذا التحالف لإسرائيل نابعٌ من إيمانهم بالوظيفة التي تؤديها إسرائيل أو اليهود كما جاء في التوراة تمهيداً لعودة المسيح عليه السلام. وأصولُ الدعم ترجع إلى أنه من الناحية الدّينية يركّز الكثير من القساوسة المتشددين في الولايات المتحدة، خاصّةً فيما يعرف بولايات حزام الإنجيل في

---

(1) الدكتور فؤاد شعبان، [م. س] ص ٢٨٤.

(2) ريجينا الشريف، [م. س] ص ٢٧٤.

(3) لمعرفة المزيد عن هذه الدراسة وتفاصيلها وشواهدها راجع دراسة الأستاذ عماد مكّي، تحالف الصهيونيّة مع المحافظين الجدد، المنشورة بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٧ على موقع الجزيرة على شبكة الإنترنت www.Aljazeera.net.

الجنوب الأميركي مثل تكساس وجورجيا، على الدراسات الخاصة بـــ "نهاية العالم" وعودة المسيح ودور اليهود في معركة نهاية العالم أو هرمجدّون ثم تحولهم إلى المسيحية أو فنائهم بالكامل.

وكثيرٌ من العامّة، خاصّةً من أوساط المجموعة الكبرى من المتدينين العاديين الذين إكتشفوا دينهم مؤخَّراً ويطلق عليهم "ولدوا للمسيحية من جديد"(١) أو "المولودون من جديد"يعتقدون أنه يتعيَّنُ عليهم الدخول في خندقٍ واحدٍ مع مناصرين آخرين لإسرائيل وعلى رأسهم بالطبع تيّار المحافظين الجدد، لأنَّ هذا التيار هو الذي يساعدُ إسرائيل على الإسراع في عودة المسيح والاقتراب من نهاية العالم.

ويشير "واغنر" إلى أنَّ المسيحيين الصهيونيين يرون "الدولة الحديثة في إسرائيل باعتبارها تحقيقا لنبوءة توراتية، وأنّها بهذا تستحقُّ دعما سياسيّاً ومالياً ودينيا". ويعتقد "واغنر: في دراسته عن الصهيونية المسيحية، أنَّ دعمها للمحافظين الجدد ولإسرائيل هو دعم تحركهُ المشاعر المعادية للإسلام والتعصُّب الديني أكثر من المشاعر الدينية المسيحية.

يمكننا مما سبق أن نستنتج أنّ هذا التحالف عُقد من باب الواجب الديني كمساهمةٍ للتعجيل في عودة المسيح ومجيئه الثاني كما نستنتج أنّ هؤلاء المسيحيين الصهاينة أشدُّ حرصاً على عقد مثل هذا النّوع من التحالف من اليهود أنفِسهم. ونستنتج كذلك أنَّ هذا التحالف ليس ناتجاً عن كثرة اليهود أو نفوذهم داخل الولايات المتحدة بالدّرجة الأولى وإنما هو ناجمٌ عن وجود معتقداتٍ تُوجِبُ مثل هذا التحالف والدّعم لإسرائيل بوصفها شعب الله. وهذا الحلفُ مبُارَكٌ مَدْعومٌ من الكنيسة البروتستانتيّة الأكثر سيطرةً ونفوذاً داخل الولايات المتحدّة مع الأخذ بعين الإعتبار كثرة الكنائس المُعارضة له إلاّ أنّ الكلمة الأعلى في هذا الشأن هي للكنيسة المُسيطِرة على مقاليد الحكم والمُمسكِة بزمام الإدارات الأمريكية المتوالية.

"ورغم أن إسرائيل في السياسة الخارجية الأمريكيّة لا تعدو ظاهرياً كونها مسألةً سياسيةً أو علمانيّةً، إلا أنّها عند الكنيسة ذاتُ طابع مِميّز؛ فإسرائيل تقع في الأرض المسيحية المقدّسة. وهي الأرض التي وُلدَ فيها السيد المسيح، عليه السلام وجرت عليها الأحداثُ الدينيّةُ المسيحيةُ. وإسرائيل أيضاً مُعْلَنَةٌ كدولةٍ للشعب اليهودي، الذي هو عند معظم الكنائس البروتستانتية "شعب الله المختار"، وأن فلسطين هي "الأرض الموعودة"، من أجل ذلك، ولأسباب لاهوتيةٍ متنوعةٍ أُخرى، فإن أغلب

---

(1) المولودون من جديد مصطلح يستخدم عند حدوث تحّول جذريّ في عقيدة الإنسان المسيحي وإهتدائه إلى الإيمان بالمسيح وإلتزامه بكل التعاليم والواجبات الدينية المسيحية، وهذا المصطلح يرتبط غالباً بالمعتقدات اليهودية المسيحية.

الكنائس الأمريكية تجد نفسها غيرَ قادرةٍ أو غير راغبةٍ في إلتزام الصمت تجاه المسائل المتعلقة بإسرائيل"(١)

والذي أراه في ختام هذا المبحث أنّ المحافظين الجدد لم يأتوا بجديدٍ فيما يتعلّق بخدمةِ المصالح العظمى للكيان الصهيوني ولكنّ الذي قاموا به هو أنّهم أخرجوا هذه الخدمة من الشعبيّة والفرديّة إلى الرّسميّة و"الحكوميّة" وصاغوا البرنامج المطلوب لتقوم الإداراتُ المتعاقبة بتنفيذه خلال السنوات القادمة .... يقول السياسيُّ اليهوديُّ هارون ولدافسكي(٢) "**إنَّ إسرائيل مِن الغرب ومِن صُنعهِ وله، سواءٌ أحبَّ الناس ذلك أم لم يحبوه. وإسرائيل، بقرارها التطوُّر، تحسُّ وتشمُّ وتبدو كبلدٍ غربيٍّ وهي ليست "كفيتنام" ... إنها ليستْ جزءاً من المحيط الخارجيّ للغرب ولكنها لُبُّهُ. إنَّ إسرائيل هي نحن سواء أكان ذلك للأفضل أم للأسوأ. وحين تتصرفُ الولاياتُ المتحدة وكأنَّ ليس لها مصلحةٌ أميركيةٌ قوميّةٌ في إسرائيل فهي بذلك إنما تتخلّى عن هويّتها الدّينيّة والأخلاقيّة والسياسيّة والثقافية**".

(1) الدكتور يوسف الحسن، [م. س] ص ٧٤.
(2) ريجينا الشريف، [م. س] ص ٢٧٨.

الخاتمـــــة

لقد توصَّلتُ في نهاية هذا البحث المتواضع إلى جملةٍ من النتائج والحقائق التي أضعُها بين أيدي إخوتي وزملائي طلبة العلم الشّرعيّ عسى أن يكون فيها فائدة وخير. وأهمُّ هذه النتائج ما يلي:

أولاً: كانت صكوك الغُفران التي أصدرتها الكنيسة إضافةً إلى ممارساتها القمعيّة سبباً مباشراً ورئيسياً في إنطلاق حركة الإصلاح الديني التي شهدتها أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

ثانياً: تسببّت الخلافاتُ بين البابوات في فقدان كثير من المسيحيين لإيمانهم بالكنيسة الرسمية وفي إثارة تساؤلاتهم حول جدوى دور الكنيسة في حياة الناس.

ثالثاً: لم تتجّه أوروبا إلى طريق النهضة والتنوير إلاّ بعد أن أزاحت الكنيسة وفتحت الباب للحرّيات الدينيّة والعلمية والسياسيّة. ممّا يُثبتُ أنّ الكنيسة كانت عقبةً كؤود في طريق التحرُّر والنّهوض.

رابعاً: كان الخلافُ في مسألة حضور المسيح في العشاء الأخير (هل هو رمزيٌ أم حقيقيٌ) سبباً هاماً في إنشقاق الطائفة البروتستانتية.

خامساً: مناداة لوثر بالحريّة الشخصيّة في فهم الإنجيل وتفسير آياته كانت ولازالت سبباً هاماً في تفرّق البروتستانت إلى طوائف وكنائس متعدّدة.

سادساً: وُضِعت أموال الكنيسة وممتلكاتها التي صُودرت بعد إعلان الثورة في بعض البلدان الأوروبية تحت وصاية الحُكّام والأمراء وأصبحت جزءاً من ثرواتهم وممتلكاتهم مما يعطينا إنطباعاً بأنّ دعم الحكّام والأمراء لبعض الثورات كان فيه إعتباراتٌ خاصةٌ تراعي مصالحهم وتعود عليهم بالنفع وأنها في الوقت ذاته كانت بمثابة ردِّ الصاع صاعين للكنيسة على ما سلف من إذلالها لهم وتحكّمها في رقابهم.

سابعاً: قام لوثر بكتابة (المسيح وُلِدَ يهودياً)، واتبعه بمحاولاتٍ إستمرت عشرين عاماً في دعوته لليهود والحثّ على حُسن معاملتهم وإحترامهم، ممّا ساهم في تحسين أوضاع اليهود في أوروبا وإعادتهم إلى واجهة الأحداث بعد أن طوى التاريخُ صفحتهم وتفرّقوا في "الشتات".

ثامناً: كان لوثر أوّل من دعا إلى وجوب العمل بحرفيّة الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد (التوراة والإنجيل) وقد كانت دعوتُه تلك مصدرَ إلهام للمسيحيين الذين زاد إهتمامهم بنصوص التوراة، وإتخذت نبؤاتها المتعلّقة بأرض إسرائيل وشعبها المختار أهميّةً بالغةً منذ دعوة لوثر تلك.

تاسعاً: أجاد اليهود إستغلال دعوات لوثر لتحسين أوضاعهم ومعاملتهم وأدركوا مدى قيمة الأفكار التي طرحها في كتاب (المسيح ولد يهودياً) بالنسبة لهم وعرفوا أنّها تحملُ بذور إنقلابٍ تاريخيّ في النّظرة المسيحية لهم، فعملوا على نشر هذا الكتاب على نطاقٍ واسعٍ في أوروبا، ويكفي هنا أن أذكر أنّ هذا الكتاب أُعيدت طباعته سبع مرّاتٍ في عامٍ واحدٍ.

عاشراً: يكاد اليهود يكونون المستفيدَ الوحيد من دعوة لوثر إلى الإصلاح الديني وهي الدعوة التي ما كُتِبَ لها أن تنجحَ لولا أنّها لبستْ ثوب الثورة والإصلاح.

حادي عشر: فشل "لوثر" في دعوة اليهود إلى المسيحيّة فشلاً ذريعاً فتاب عن أفكاره ودعواته السابقة المتعلّقة بهم وكتب قبل وفاته بسنتين كتيباً حمل عنوان (أكاذيب اليهود) كان بمثابةِ تراجعٍ عن كلِّ ما سبق من معتقداته المتهوّدة، ولكنّ ذلك كان كالندم حينُ لا ينفعُ الندم فلم يلقَ هذا الكتابُ آذاناً صاغيةً وظلَّ مجهولاً وطيَّ الكتمان سنواتٍ عديدةً. وقد إعتذر البروتستانت المعاصرون عمّا ذكرهُ "لوثر" من إساءات بحق اليهود في كتابه هذا.

ثاني عشر: كان عهد الثورة "البيوريتانية" في إنجلترا بقيادة "أوليفر كرومويل" العهد الذهبيّ لليهود في أوروبا وقد وصل الأمر إلى حدِّ المطالبة بجعل التوراة دستوراً لإنجلترا آنذاك. ولكنَّ هذا العهد لم يكن طويلاً وإنتهى بعودة النظام الملكي إلى الحكم في إنجلترا ومحاربته للبيوريتانت والتضييق عليهم.

ثالث عشر: سبق "كريستوفر كولومبوس" البروتستانتَ كُلَّهم في حمل لواء تهويد المسيحيّة وكان من أبرز أولويات بحثه عن قارّات وبلدانٍ جديدةٍ العمل على توسيع البلاد التي تحمل لواء الصليب والعثور على صهيون الجديدة ومحاربة إمبراطورية محمد الشريرة.

رابع عشر: كانت القارة الجديدة "أمريكا" الملاذَ الآمِنَ والتربة الخصبة التي هاجر إليها البيوريتانت المتهوّدون وكانوا يرون فيها "كنعان الجديدة" و"صهيون الجديدة" وكانوا يرون أنّهم الصّفوة التي إختارها الله من بين البشر وأنّه جعل لهم دوراً مركزياً في خطّة خاصةٍ به أعدَّها لهذا الكون. وكانوا يرون تطابقاً بين حالهم عندما خرجوا مُطارَدين من "الملك جيمس" الأول في الجزر البريطانية إلى العالم الجديد وبين حال بني إسرائيل عندما خرجوا مُطارَدين من "فرعون" في مصر إلى الأرض المقدسة المباركة ويشهدُ لذلك أنّهم أعطوا مدنهم الجديدة في أمريكا الأسماء التي تربطها بفلسطين مثل (كنعان وبيت لحم والناصرة) مع ملاحظة أنه يوجد في الولايات

المتحدة الآن على الأقل إثنتا عشرة مدينةً وبلدةً إسمها (Hebron) الخليل، وستّ مدن إسمها بيت لحم.

خامس عشر: بدأ التوجُّه الأمريكي إلى فلسطين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مع بداية الأطماع الاستعمارية الأمريكية في دول الشرق والعالم الإسلامي. وقد كان هذا التوجّه منذ بدايته دينيّ الدوافع إستعماريَّ الطابع، وبدأت منذ ذلك الوقت الإرساليّاتُ التبشيرية الأمريكية بالتوافد على أرض فلسطين التي أساءهم وقوعها تحت ماسمّوه (الإحتلال) التركّي.

سادس عشر: في منتصف القرن التاسع عشر إزدادت رحلات الحج والزيارة الأمريكية إلى القدس وكان منظّموها بلا إستثناء، من المسيحيين الصّهاينة الذين كانوا يغذّون في السيّاح والزّوار معتقداتٍ مفادُها أنّ هذه أرض الميعاد وشعبها الإسرائيلي هو حفيد ووريث شعب العبرانيين الأوائل. وكانت هذه الأفواج السيّاحية تأتي لزيارة فلسطين عن طريق مصر ثمّ إلى البحر الأحمر ثم إلى سيناء ثم إلى جنوب فلسطين ثم إلى القدس وذلك إنطلاقاً من قراءتهم الحرفيّة لنصوص الكتاب المقدّس ورغبةً منهم في إستشعار الألام التي شعر بها أسلافهم اليهود عندما خرجوا من مصر إلى فلسطين والرّغبة في المضيِّ على خطاهم.

سابع عشر: لم تكتف حكومات الولايات المتّحدة المتعاقبة، منذ بدايتها، بتوفير الأرض والتّربة الخصبة لولادة ونموٍّ وتطوّر التيارات المسيحيّة اليهوديّة، بل إنها ساهمت في تقديم كلِّ أنواع الدّعم والعون المادّي والمعنوي للكيان الصهيوني منذ ميلاده وحتّى يومنا هذا. وقد كانت هذه الحكوماتُ، وعلى الدوام، مدفوعةً بدوافعَ دينيّةٍ محضةٍ مبعثُها الإيمانُ بالتّوراة والعمل على تحقيق نبؤاتها.

ثامن عشر: إنَّ أخطرَ ما في معتقدات البروتستانتيّة المتهوّدة هو النبوءات التوراتيّة، والتي يتمُّ العملُ لتحقيقها على مدار السّاعة. وأبرز هذه النبوءات وجوب العمل على تحقيق ومن ثمّ دعم (إسرائيل المعاصرة) لأنّها الأرضُ الموعودة التي يجب العملُ على إعادة شعبها إليها حتّى يكون ذلك مقدّمةً لنزول المسيح ومجيئه الثاني ليقيم مملكةً يحكم فيها ألف سنة.

تاسع عشر: ترفض الغالبيّة العظمى من كنائس العالم، وبالذات كنائس الشرق، تهويد المسيحيّة على أيدي البروتستانت، وتعتبرُ ذلك مسخاً للهويّة المسيحيّة وتهديداً لها.

عشرون: المسيحيّة الصّهيونيّة هي في الأساس تيارٌ وليست كنيسةً؛ فلا توجد كنيسةٌ تُسَمّى كنيسة المسيحيين الصّهاينة أو الأصوليين، لكنّها تيّارٌ يوجَد في الكثير من الكنائس في الولايات المتّحدة.

الحادي العشرون: هذا التيار المسيحيُّ الصهيونيُّ ليس كبيراً من حيث عدد أتباعه ومناصريه، ولكنّه يملكُ الإمكانيّات والأموال ومحطّات التلفاز والدّعاية الضخمة.

الثاني والعشرون: تحوّل التيار المسيحي الصهيوني للعمل المؤسّسي في الستّينات وقرَّر المشاركة في دعم بعض مرشّحي الرئاسة الأمريكيّة الذين يتبنّون المعتقدات المسيحية الصهيونية ويدعمونها مثل (جيمي كارتر، ورونالد ريغان، وجورج بوش).

الثالث والعشرون: ظهر تيّار المحافظين الجدد إلى الوجود في الستيّنات، وقد كان ظهوره نتيجةً لتحالفٍ غريبٍ بين اليمين المسيحيّ المحافِظ و"الليبراليين" وكان معظمهم من اليهود. وكانت وسائل الإعلام الأمريكيّة آنذاك هي أوّلَ من أطلقَ عليهم هذه التسمية.

الرابع والعشرون: إنّ المحافظين الجدُد ليسوا أشخاصا بعينهم، حتى وإنْ برزَ منهم بعضُ الأشخاص والزّعماء، لكنّهم في حقيقة الأمر تيّارٌ يشملُ فئاتٍ كثيرةً من الناس تحمل الفكر اليمينيَّ المتطرِّفَ. وخطورتهم تكمن في أنهم كُتّابٌ ومفكّرون ومثقفون أصحابُ فكرٍ متجدّدٍ وقدرةٍ على الجدل، وهذا يعني أنَّ نفوذ المحافظين الجدد صعبُ التحجيم.

الخامس والعشرون: إنّ تلاميذَ الفيلسوف "ليو شتراوس" وزملاءه الذين تأثّروا بأفكاره ومعتقداته في جامعة "شيكاغو" هم أبرزُ من حمل لواء المحافظين الجدد في القرن العشرين وإحتلوا مناصبَ هامَةً وحسّاسةً في الولايات المتحدة ساهموا من خلالها في نشر هذا الفكر داخل الولايات المتحدة وخارجها.

السادس والعشرون: يؤمن المحافظون الجدد، كما آمن مِنْ قبلهم البيوريتانت بأنّهم الصّفوةُ والنُّخبةُ التي إختارها الله لتلعب دوراً هامّاً في قيادة الكون وريادته، وأنّ لهم دوراً هامّاً تجاه الآخرين يجب أن يقوموا بتأديته.

السابع والعشرون: يؤمن المحافظون الجدد بأنّ الخطر الأساسيّ الذي يهدّدُ أمريكا حالياً هو خطرُ الإرهاب الذي تقوم به جماعاتٌ مُسلمةٌ بالأساس، والتي يختلف المحافظون الجدد على تسميتها، ولكنهم يتّفقون على أنّ العالم الإسلامي عموماً والشرق الأوسط خصوصاً هما نقطة إنطلاق أمريكا في سياستها لإعادةِ بناء النظام العالميّ الرّاهن.

التّوصيـــــات

بعد الإنتهاء من هذا البحث أشعرُ أنّ ثمّة إقتراحات أتمنّى أن تتحقق وهي:

١. توجيه الدّراسات المتعلّقة بالأديان والعقائد في الجامعات نحو مثل هذا النوع من الدراسة، وتخصيص موادّ لتدريس معتقدات وشرائع الطوائف المسيحيّة الصهيونية.

٢. زيادة مخزون مكتبات الجامعات والكليات الجامعية من الكتب التي تتناول مثل هذا الموضوع.

٣. تشجيع طلبة العلم الشرعيّ على حضور الندوات والمناظرات التي تُعقدُ بغرض عرض ومناقشة معتقدات اليمين المسيحي.

٤. أثبت هذا النوع من الدراسات الحاجة الملحّة إلى تسلُّح طلبة العلم الشرعي باللغة الإنجليزية وإتقانها لتكون وسيلةً لقراءة وفهم كلّ نتاجٍ فكريٍ جديدٍ يتعلق بموضوع المسيحية اليهودية والمحافظين الجدد.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

أرمسترونج، كارين، (٢٠٠٠). معارك في سبيل الإله. ترجمة د. فاطمة نصر ود. محمد عناني. (ط١). مطابع لوتس.

إمين، إميل، (٢٠٠٦). ذئاب في ثياب حملان. (ط١). القاهرة: دار المريّخ للنشر.

الجعبري، معتز محمد، (٢٠٠٣). نصارى الغرب المتصهينون يرقصون على طبول هرمجدّون. (ط١). عمان: دار عالم الثقافة.

د. الحسن، يوسف، (١٩٨٩). البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـــ الصهيوني. سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٥): مركز دراسات الوحدة العربية.

حبيب، صموئيل، (١٩٩٥). المسيح ثائراً. (ط١). مصر: دار الثقافة.

حسوّنة، محمد ورفعت، محمد، (١٩٢٥). معالم تاريخ العصور الوسطى. (ط١). مصر: المطبعة الرحمانيّة.

د. السّماك، محمد، (٢٠٠٠). الأصولية الإنجيليّة أو الصهيونية المسيحيّة والموقف الأمريكي. (ط٣). بيروت: دار النفائس.

د. الشريف، ريجينا، (١٩٨٥). الصهيونية غير اليهودية (جذورها في التاريخ الغربي). ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز. الكويت: المجلس الوطني الكويتي للثقافة.

د. الطويل، توفيق، (١٩٤٧). قصّة الإضطهاد الديني في الإسلام والمسيحيّة. (ط١). مصر: دار الفكر العربي.

القاسم، أنيس. نحن والفاتيكان وإسرائيل. سلسلة كتب فلسطينية (٢) بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية.

القرآن الكريم.

الكتاب المقدّس "ترجمة تفسيرية"، (١٩٨٨). (ط٣). القاهرة: جي. سي. سنتر.

الكيلاني، إسماعيل، (١٩٨٦). الخلفيّة التّوراتية للموقف الأمريكي. (ط١). الدوحة: مكتبة الأقصى.

د. المقدّم، إسماعيل محمد، (٢٠٠٣). خدعة هرمجدّون. (ط١).الرياض: دار بلنسية.

اليازجي، عيسى، (٢٠٠٤). المسيحيّة المتهوّدة في خدمة الصهيونية العالميّة. (ط١). سوريا: الدار الوطنيّة.

اليسوعي، صبحي حموي، (٢٠٠٣). تاريخ الكنيسة المفصّل. (ط١). بيروت: دار المشرق.

ديورانت، ول. قصة الحضارة. ترجمة د. عبد الحميد يونس. الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

د. رزفي، صموئيل، (٢٠٠٣). تجديد الفكر الدّيني في المسيحيّة. (ط١). مصر: دار الثقافة.

رستم، سعد، (٢٠٠٥). الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم. (ط٢). دمشق: دار الأوائل.

د. ريبوني، إنريكو، (٢٠٠٤). الإلحاد وأسبابه (الصفحة السوداء للكنيسة). ترجمة د. زينب عبد العزيز. (ط١). دمشق: دار الكتاب العربي.

د. سعد الدين، ليلى، (١٩٨٥). أديانٌ مقارَنة. (ط١). عمّان: دار الفكر.

د. شعبان، فؤاد، (٢٠٠٣). من أجل صهيون. (ط١). دمشق: دار الفكر.

د. شلبي، أحمد، (١٩٩٧). اليهوديّة. (ط٢). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

عبده، محمد، (١٣٤١ هـ). الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنيّة. (ط٣). مصر: مطبعة المنار.

د. عوض، رمسيس، (١٩٨٥). الهرطقة في الغرب. (ط١). مصر: دار سينا للنشر.

د. عوف، محمد أحمد، (١٩٩٢). المؤامرات الخفيّة ضدّ الإسلام والمسيحيّة. (ط١). مصر: الزهراء للإعلام العربي.

فوشون، ألان وفرُنه، دانيال، (٢٠٠٥). أمريكا المسيحانيّة. (ط١). لبنان: دار جروس برس.

فيشر، هربرت، (١٩٦٥). أصول التاريخ الأوروبي الحديث. ترجمة د. زينب عصمت راشد ود. أحمد عبد الرحيم مصطفى. مصر: دار المعارف.

كنعان، جورجي، (١٩٩٥). الأصولية المسيحية في نصْف الكرة الغربي. (ط١). لبنان: دار بيسان.

د. لمعي، إكرام، (١٩٩١). الإختراق الصهيوني للمسيحيّة. (ط١). مصر: دار الشروق.

د. لوثر، مارتن، (١٩٧٤). نفاق اليهود أو "أكاذيب اليهود". (ط١). بيروت: دار الفكر.

مقار، شفيق، (١٩٩٢). المسيحيّة والتّوراة. (ط١). لندن وقبرص: دار رياض الريّس للنشر.

هالسل، غريس، (١٩٩٠). النبؤة والسياسة. ترجمة د. محمد السّماك. (ط٣). لبنان: دار الناشر.

هالسل، غريس، (٢٠٠٠). يد الله (لماذا تضحّي الولايات المتّحدة بمصالحها من أجل إسرائيل). ترجمة د. محمد السّماك. (ط١). مصر: دار الشروق.

هلال، رضا، (٢٠٠١). المسيح اليهودي ونهاية العالم. (ط٢). القاهرة: مكتبة الشروق.

وايت، أندرو ديكسون، (١٩٣٠). بين العلم والديّن.ترجمة د. إسماعيل مظهر. مصر: دار العصور.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

Long, Leonard, Deadlier than H. Bomb. Britons Publishing society, London, 1965.

ثالثاً: مراجع الصحف

جهاد الخازن، عيونٌ وآذان "عودة إلى المحافظين الجدد ج١"، الحياة، لندن، ٢٢ كانون الأول، ٢٠٠٥.

محمد جلال عناية، الفكر السياسي الأمريكي، الخليج العربي، دبي، ٢٥ أيار، ٢٠٠٤.

وحيد بن حمزة عبد الله هاشم، من هم الحافظون الجدد، الجزيرة، الرياض، ٢٥ آذار، ٢٠٠٧.

رابعاً: مراجع شبكة الإنترنت

د. أسعد السحمراني، الصهيونية، الأطماع والمواجهة. www.yahoo.net.

ثيري ميسان، المحافظون الجدد وسياسات الفوضى البنّاءة. www.voltaire.htm.

جيمس الزعبي، كيف يعمل المحافظون الجدد. www.alawtan.com.

د. رياض جرجور، صهيونية مسيحية أم صهيونية أمريكية. موقع الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجيّة.

شاكر النابلسي، المحافظون الجدد والليبراليون الجدد بين الواقع ومهاترات الغوغاء. www.rezgar.com.

د. عبد الرزّاق الشايجي، المحافظون الجدد... محاولة للفهم. www.gogel.net.

علاء بيومي، المحافظون الجدد وصقور واشنطن باقون. www.islamway.com.

علاء بيومي، ثورة المحافظين الجدد. arabic@cair-net.org.

علاء بيومي، قارئ المحافظين الجدد. arabic@cair-net.org.

علاء بيومي، كيف يفكّر المحافظون الجدد. arabic@cair-net.org.

عماد مكيّ، تحالف الصهيونيّة مع المحافظين الجدد. www.aljazeera.net.

قيصر عفيف، أولئك المحافظون الجدد الأمريكيون ليسوا محافظين ولا جُدداً maaber@scs-net.org

لقمان إسكندر، تعرَّفْ على المسيحية الصهيونية. موقع شبكة المهندس للإستضافة وتصميم المواقع.

ماجد كامل، معاداة الساميّة. www.yahoo.com.

مايكل ليدن، كيف إكتسحَ المحافظون الجدد واشنطن وشنّوا حرباً. www.yahoo.com.

محمد بن المختار الشنقطي، المسيحيّة الصهيونية والسياسة الأمريكيّة. www.aljazeera.net.

د. هبة رؤف عزّت، المحافظون من رؤى المجتمع إلى العولمة والإمبريالية. www.islamonline.com

هشام سلامة، تحالف المسيحيّة الصهيونية واليهودية الصهيونية. www.aljazeera.net.

THE RELATIONSHIP BETWEEN PROTESTANTISM AND ZIONISM IN THE UNITED STATES (ANALYTIC THEOLOGICAL STUDY)

BY

RAJEH IBRAHEEM MOHAMMAD SABATEEN

SUPERVISOR

DR. MOHAMMAD AHMAD AL-KHATEEB PROF

ABSTRACT

"Martin Lauther" has been famous in the Christian history for his being the man who liberate Christians from the Church people's authorities, and deter them to the freedom of religion and the direct deal with the context without any mandatory control by the Churchmen. Luther has led the disunion, which ended up in the emergence of the "Protestantism" which most Americans have adopted today…

Martin Luther of German origin has started his rebellion against the pope of "Rome" after the process of selling "Deeds of forgiveness" was demonstrated by popes. Luther has considered such demonstration as a transfer of religion to a trade on earth, considering this as a deliberate falsifying of the truth of religion.

He expressed about this by formulating the ninety-five theses, which carried the title "A research in revealing the strength of the Deeds of

Forgiveness". In the agitating dispute with the pope, Luther has find that it is better for him to be closer to the Jews, consequently, he criticized the popes' authority against them, and the popes dealing with them as dogs and non-humans according to his saying as well as he wrote a small book bearing strong implication, which has become one of the most fundamental slogans to those followers and believers of Christian Zionism. The title of the book was, "Christ was born Jewish".

The motives of Luther in such situation were to adopt Christianity so far, for he argued in h is book that the rude dealing and treatment practiced by the Church Authority against the Jews is the ultimate reason, which make them refrain from Christianity, leading to making them preferring to stay on their religion.

And even if some of them decide to adopt Christianity, he finds himself under the oppression and the blackmail of Church, so, he regrets leaving his religion of origin.

Martin Luther continued revealing his Christian incentives behind sympathizing with the Jews is saying " I hope that if each one of us treated the Jews politely and friendly teaching them through the holly bible in a subtle manner, so many of them would be loyal Christians".

Yet, the most significant concept in this book with regard to our research was stated in the saying of "Martin Luther" addressing the Christians: "Before being proud of our status, we must remember that we are only "aligns" but the Jews are related in their origin to the Christ, we are aligns and strangers, but the Jews are relatives, cousins and brothers of the "Lord Jesus" such concept being addressed in Luther's book indicates that he fell under the effect of the old testament and the other Hebrew Contexts, so, the feelings of sympathy towards the Jews have invaded his heart and brain, thus he called

for respecting and appreciating them considering then the origin of Christianity.

It is clear that "Martin Luther" was not recognizing the value of the ideas he proposed and its historical impact, particularly, the concept of "regarding the Christ born Jewish" which was developed by Luther's followers of Protestant Clergymen yet to the extent it meant today within the context meaning:

- The Jews are the tribal family of Jesus, they have special holiness and purity, that's why it is deemed necessary to support and serve them as well as to be kind and generous with them as set forth in the Old Testament.
- The accusation of Jews that they shed the Jesus blood is not acceptable, how come, when they are the relatives and the people of Kinship?? Yet the bible's entire context mentioned in this regard must be alliterated or revoked.
- The Jews are the sons of "The Lord".
- The Jews are the people, who are selected by God, and this must be accepted, and the saying that the Christians have occupied such place with the descendant of Jesus is a revoked saying.

It is obvious that Luther has not meant to extend his concept to this long and wide extent, and he can do this as being the son of his era, the European Middle ages century, however Luther was the first one who gave up such ideas aforementioned in his book, consequently, he wrote, two years before his death, his book entitled the lies of Jews or the "Hypocrisy of the Jews" such book is considered the most severe book against the Jews during many centuries and the most effecting in the Christian Psychic anti Jews.

Yet, the Jews have realized the value of the concept addressed by Luther in his book "Jesus born Jewish" and recognize that such ideas are carrying the

seeds of historical turnover in the Christian outlook to the Jews. For this reason, some of the Christian historians mentions that the Jews have published the book and distributed it on a wide extent in the whole Europe.

They recognized well the severe of such concept and they have started to prepare for the revival of their old dream, so they work hard along with Luther's followers (As: Zweingly and John Calvin) to publish such concept and thinking until it merged with the list of the clashed concepts and thoughts inside Europe before the Renaissance, which has witnessed during two consecutive centuries a sharp fight between the Catholic's men and the supporters of the new Judaized Christian Protestantism, despite the strength of the resistance f the pope's church and the old system, the new creed was able to prevail for the basic reason revealed in its wearing the mask dress of revelation and reformation.

The enormous triumph has raised up by the uprising of the puritans or the pure people in the British Islands, those who confronted the "Royal Regime", attacked the Catholic sector, revived the Hebrew language, invited the persons of Torah, Pentateuch old testament, and they succeeded in making the saying of old Testament, the first key source of the historical information in all the continent of Europe in general. The invention of printing press has helped on the prevailing of such concept and thought in the whole Europe.

And for the "Puritans" to avoid the English Government intensive harassment, they escaped and flee to the new continent, the New World (America) where they have built their first colonies on an absolutely religious ground where they saw in it the "New Land of Canaan" they categorized themselves as the elite, which God has chosen for carrying his message to the World and they believed that there is a convention of Promise between God and them and that God has made a fundamental, central role for them on earth

within his plan for the universe. Such beliefs were only the beginning of religious radicalism of the rightists, which we see today in the USA.

The opinions and believes of Zionism have been deeply rooted in the US soil ever since its discovery, as well as it has had a basic role in all the successive US Government policies, particularly the government of the "New Conservatives" which has emerged on the Arena of politics in the 1960s, and developed in 1980s yet to the extent it reached in our nowadays time.